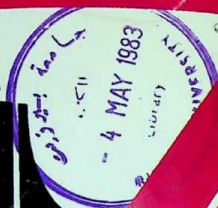


٣٧/٣٦

المكتبة

لثقافة الإنسانية والتقدم



و. تاسل

المعدان

الموس والمبايع والشلاشون

سجل - ايار ٨٣

الطوب الآن تعزيز الثقة بالجماعة
وبناء الوحدة الوطنية الراسخة

حول مقررات المجلس الوطني الفلسطيني

وادي وأسماء
الاحسانين في القرية وقطاع غزة

حوار مع القادة محمد المناصرة

التي في مدينة العربية العربية

مقدمة في علم الجمال الماركسي

الموقف العدائلي من التيارات

مراجعة نقدية لعميد

ملا

المركبة لعدم تعلقه

شهريات العتبات

الطبقة العاملة الفلسطينية في ظل الاحتلال

عَنْزَة .. وَلَوْ طَارَتْ !

لأعد الأعداء

البيان الاردني الذي صدر عقب الجولة الختامية للمباحثات الفلسطينية - الاردنية الاخيرة ، يحمل أكثر من معنى ، وليس هناك ما يبرره سوى السعي الى تجاوز منظمة التحرير والعمل بشكل أحادي الجانب للدخول في دائرة الحلول المطروحة على اختلاف مسمياتها ، قلنا ولا نزال ، بأن تفويض منظمة التحرير للاردن أو لاي طرف عربي أو غير عربي للتحديث باسمها ، إنما هو توقيع منظمة التحرير على شهادة وفاتها بنفسها . وقلنا ولا نزال ان مزيداً من التنازلات لا يجر غير مزيد منها ، وغير السقوط في مستنقع الحلول الاستسلامية المطروحة ، لا أحد يقف معارضا للحوار المتكافئ ، أما التنازل عن قضية مبدئية فهو الموت بعينه ، وان كانت الانظمة العربية تحرص على الشعب الفلسطيني وعلى قضيته . وتحرص على استعادة ارضه وتحريرها ، فليس أمامها غير تطبيق المبادئ الاساسية التي تحقق ذلك الهدف وأهم هذه المبادئ اطلاق الحريات الديمقراطية بكل أشكالها ، تحديد العلاقة الاستراتيجية انطلاقاً من مصالح الجماهير الاساسية ، وهذا يحتم وقف التذليل لمعسكر الامبريالية وحلفائها وتوطيد العلاقة مع معسكر الاصدقاء ، وفي مقدمتهم دول المنظومة الاشتراكية ، اما اللهات وراء ما طرحه موائد البيت الابيض فلن ينالنا منه غير الفتات الذي لا يسد جوعاً .

أما أولئك اللاهتين وراء سراب الحلول عبر دعوتهم منظمة التحرير الفلسطينية للتنازل عن اهم مقومات وجودها . فعليهم ان يدركوا ان لشيء سيتحقق بمعزل عن الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في الوجود ، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة التامة .

ان رهان بعض الشخصيات الفلسطينية في المناطق المحتلة على الحمان الاردني لم يعد ما يبرره ، اذ ان هذا الحمان عاجز عن الدخول الى غرب النهر ولو لمسافة عشرة أمتار ذلك ان السياسة الاسرائيلية وهي جزء من سياسة البيت الابيض واليد الطويلة لها ، لا تتحدث عن دور للنظام الاردني في الضفة الغربية أو قطاع غزة ، بل تسعى الى توقيع النظام الاردني على ما هو قائم ، وكما قلنا فان أقصى ما يمكن ان يحصل عليه النظام الاردني هو عدم احتلال مشارف السلط . ليس الا ، وخاصة في ظل الخلل

القائم في موازين القوى ، وعليه فان الحديث عن تفويض والقاء تبعه ضياع الارض على منظمة التحرير لانها ترفض تفويض الاردن بالتحدث عنها ، مفروض من أساسه ، ذلك ان السؤال الذي يحتاج الى اجابة واضحة ، هو عم نتحدث ؟ وهل بقي في الاراضي المحتلة اراض تتحدث عنها ؟ ان للخلاص من الاحتلال طريق واحد ومبادئ يجب ان نتعامل معها بدل الانجراف الى مسلسل التنازلات ، وإلى تحويل القضية الى تفويض أو عدم تفويض ، وعلى الذين يرون عكس ذلك ، أن يعطونا تفسيراً لما يجري في المناطق المحتلة . سواء اقامة نابلس العليا أو الاعلان يومياً عن خطط لاقامة مستوطنات جديدة ، أو مصادرة آلاف الدونمات من الاراضي العربية أو تصعيد الاحتلال لممارساته اليومية ضد المواطنين الفلسطينيين من تفتيش واعتقال وامانات اجبارية ومنع تجول . الخ . أليس في هذا وغيره اجابة وتوضيحاً لموقف الحكومة الاسرائيلية من قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، أم ان البعض لا يزال يصّر على أنها عنزة ولو طارت ..

الكاتب

للتقافة الإنسانية والتقدم

العددان السادس والسابع والثلاثون السنة الرابعة

مآهبات الإصباح لمحمد الماروس
أسعد الأسعد - القدس
المراسلات - رام الله - ص. ب. ٩٩٥

المحتويات

صفحة

رئيس التحرير
أسعد الأسعد
هيئة التحرير
محمد البطراوي
بسام الصالح
صالح زقوت
جميل السامحوت
المسؤول الإداري
محمّد شقير
صف ومنتاج
إيلين عويس
خديجة شلودي

- ٣ عمرة ولوطيات كلمة الكاتب
أسعد الأسعد
- ١١ مبريات العدد
المطلوب الآن تعزيز الثقة بالجماهير
وبناء الوحدة الوطنية
صالح حكمت
- ١٥ الطبقة العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة
(ندوة الشهر)
كارل ماركس
- ٤٧ مفكر عبقري وثوري متوقّد
بوريس بونوماريوف
- ٦٢ ماركسية بعد مئة عام على رحيل ماركس
بيوتر فيدوسيف
- ٧٤ في التراث المجيد لكارل ماركس
بسام الصالح
- ٨٠ ماركس والمسألة اليهودية
صالح زقوت
- ٨٥ صداقة ماركس وانجلز - دروس تربوية -
محمد سعيد
- ٩٤ حول مقررات / المجلس الوطني الفلسطيني
د . احمد حمزة الشنة
- واقع وابعاد السياسة الاقتصادية الاسرائيلية
في الضفة الغربية وقطاع غزة
خالد سعيد

ترتيب المواد يحضّر لضرورات فنية - المواد الواردة لا ترد اذا لم تنشر - المص : ٥٠ - كامل

- حوار مع الكاتب محمد موسى المناصره
- ١٠٠ أخرى اللغات / حمل السلاح
- قصاصة على شجرة الميلاد / شعر
- ١٠٧ محمد حسن مسم
- النظام الرجعي في شبه الجزيرة العربية
- ١٠٨ مواطنون من الحررة العرس
- مقدمة في علم الجمال الماركسي
- ١١٩ مكي نصر / حامد سرور
- الموقف العقلاني من التراث
- ١٢٦ حمل السلاح
- الشخصية القصصية بين الثبات والتطور
- في مجموعة "عرس الحماحم" لصبحي حمدان
- ١٣٠ فصل الرمماوى
- باقة ورد لعبون ٠٠٠ بونس / قصة
- ١٣٦ أسامة محسن العس
- الديكـة / قصة من البحرين
- ١٣٨ محمد عبد الملك
- ثلاث قصائد
- ١٤٢ يعقوب أحمد
- بلاد قابلة للنسيان / شعر من دمشق
- ١٤٦ عادل محمود
- مطاردة السحره / مراجعة نقدية
- ١٥١ ليست اعترافات / شعر من دمشق
- ١٥٤ فرح سرفدار
- اقلام شابة / المخاض شعر
- ١٥٧ سلام حرب
- انا انسان / شعر
- ١٥٨ رائدة عوض / جامعة بيت لحم
- اصدااء ثقافية
- ١٥٩

جُذُورٌ وَبَرَاعٌ

" تضرب جذورنا عميقا في الارض ، في تاريخنا النضالي ، لتحمل
النسخ الثوري لبروى براعم النضال القتية ، فتتلاحم عبر الماضي
وخبرته ، مع انطلاقا الجديد وعنفوانه... "

أعياد

في الانتخابات البلدية التي جرت في
المناطق المحتلة عام ١٩٧٦ والتي انتصرت
فيها القوى الوطنية انتصارا ساحقا رغم كل
هدير الاحتلال ووعيده . ولعل هذه الذكرى
تؤكد لنا اتصال حركة الثورة ، اتصال الجذور
بالبراعم ، اتصال نضال الابد بالابناء...
لقد اعلنت ثورة ١٩٣٦ في المؤتمر القومي
الحاشد الذي اقيم في مصبفه المناضل
المرحوم أحمد الشكعة . ویشاء النضال
الم متصل لابناء شعبنا ان يكون المناضل بسام
الشكعة هو رمز النصر للاجماع الوطني في
الانتخابات البلدية بعد أربعين عاما ..

وقديفا قال جاليليو : انها تدور .. ونحن
نقول انها تسير ولن تتوقف رغم قطع الارجل
ورغم كل العسف والتكليل ...

الدم الفسائي

براعم الربيع في نيسان تذكركنا بالبراعم
الاولى لثورة هذا الشعب على مضطهديه
ومستبمي حقوقه .. تعالوا لنقرأ أعياد نيسان .
الثورة الفلسطينية الاولى عام ١٩٢٠ ، انتفض
الفلاحون والعمال غضبا على الاستعمار
البريطاني ووعد بلفور وتسريب الارض . والثورة
الفلسطينية الثالثة في الرابع من نيسان
عام ١٩٢٩ حفاظا على مقدساته وتراثه
وتاريخه والتي سميت بثورة البراق الشريف ،
وبداية ثورته الكبرى في أواسط نيسان عام
١٩٣٦ ، تلك الثورة التي أثبت فيها هذا
الشعب قدرته على النضال ووحدة الكلمة
بالاضراب الكبير الذي شمل الحياة كلها لمدة
سنة أشهر ..

ان كل يوم مضى من تاريخ شعبنا كان
عيدا ثوريا ومنازة نضال ، وتأتي الايام ..
ايامنا هذه ، لتتصل هذه النضالات فتسطر في
كل يوم ، بل في كل ساعة من كل يوم ، صفحة
جديدة من صفحات الاصرار على تحقيق
الاهداف الوطنية . وقد تمثلت هذه الارادة في
اجماع شعبنا ومرة أخرى على انتخاب ممثلية

تتعمد نضالات الشعوب بدم الثوار وقد
بذل شعبنا من دم ابنائه الكثير . وسقط
الشهداء مضحين بالارواح ايماننا بالثورة وكتابة
صفحات النصر .. فامت معارك باب الواد ما
بين الرابع والثامن من نيسان عام ١٩٤٨ ،

واستشهد الشهداء من المدافعين، وكان من بينهم ابن بار من أبناء شعبنا، استطاع بشرف ورجولة ان يكون قائدا للنضال .. وباستشهاده أصبح رمزا للتضحية والكفاح .. ذلك هو القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ..

وتمتد يد الغدر الآثمة لقادة آخرين .. كمال ناصر . كمال عدوان ، محمد يوسف النجار يقتحم الغادرون بيوتهم ليلا في بيروت في العاشر من نيسان عام ١٩٧٣ ويسيل الدم الغالي .. وفي باريس وبعد ايام يفتال الاثمون باسل الكبيسي، ويسيل الدم الغالي هناك أيضا ..

وقبل أيام قليلة تمتد يد الاثم الهمجية لتغتال عصام السرطاوي في اسبانيا وبروي النجيع أرضا أخرى بعيدة ..

هل يظن الاثمون على اختلاف أزمانهم ومنطلقاتهم ان الارهاب الفردي والقتل السياسي يمكن ان يقتل فكرة .. صفحات التاريخ تؤكد ان القتل ومن وراءهم واهمون لانه وكما قال شاعرنا الجواهري .

دع الدم الغالي يسيل
فان المسيل هو القاتل

أمجاد

وفي نيسان تحل ذكرى تأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني الاول عام ١٩٣٦ مواكبة بذلك نبض الثورة الفلسطينية على الاستعمار واستجابة لارادة الطبقة العاملة والكادحين في بلادنا . ويخطط الحزب الشيوعي الفلسطيني الاول طريقا جديدة للنضال لم تعرفها من قبل القيادات القومية .. طريقا ماركسيا يقتدى

بفكرها ونظريتها ويستمد من تجارب العمال والفلاحين الثوريين في كل أنحاء العالم خبرة نضالية تصاف الى تجارب وخبرات شعبنا النضالية ..

ويتعرف أبناء شعبنا ولاول مرة الى الامجاد الثورية التي صنعها عمال ثورة اكتوبر بقيادة لبنين العظيم . ويتعرف شعبنا كذلك الى الدور النضالي العظيم الذي يقوم به وطن اكتوبر الاتحاد السوفيتي لكنس الاستعمار وسيادة الشعوب المستعمرة .. ويجد فيه شعبنا صديقا مخلصا وحليف نضال أبدي ..

ولما كانت انتصارات الانسانية وأمجادها هي انتصارات وأمجاد لنا كذلك، فان نيسان يحمل لنا ذكرى القضاء على الوحش النازي وخلص الانسانية من البربرية الهنلرية عندما رفرفت راية النصر السوفيتية الحمراء فوق مبنى (الرايخستاغ) قلعة الفكر النازي البربري في الثلاثين من نيسان عام ١٩٤٥ - هذه الحقيقة التاريخية التي تؤكد هزيمة كل المعتقدات الفاشية والافكار الضيقة وحتمية انتصار الفكر الانساني الواسع الذي يلغي من قاموسة كل التفرات العرقية والايديولوجيات العنصرية المقيتة ..

ويحمل لنا التاسع والعشرين من نيسان ذكرى تحرير سايغون عام ٧٥ وكنس آخر جندي من جنود الاحتلال عن الديار الفيتنامية .

ان المحتلين لبلادنا سيفمضون العيون حتما عن هذه الذكرى ، حتى لا يروا فيها مصيرا محتوما مماثلا ...

بأقرب
على صدوركم لأجله

أدانته الانسانية كل جرائم الإبادة

الذى ولدوا فيه وورثوه عن آبائهم وأجداد
أجدادهم ...

واليوم نسمع تصريحات عنصرية متحججة
حول طرد السكان العرب من المناطق المحتلة
وحول الخطأ الذى ارتكب باقائهم بعد حرب
(٦٧) ، ونرى تلك الجريمة البسعة
التي تستهدف ترويع السكان وحملهم على
مغادرة موطنهم بتسميم طالبات المدارس .
نسمع هذا ونقول ان الزمن وعبرة الماضى لم
تغير شيئا من تفكيرهم .. ولكننا يا قوم ..

الجماعية والارهاب والترويع .. وقد ذاق
نعينا مرارة وقطاعة تقتيل ابنائه بالجملة ..
محزنة دير ياسين شاهد لا يملّ الشهادة
بدين هؤلاء الذين يتسحون سدة الحكم فى
إسرائيل عندما أقدمت مجموعات بالاغارة على
قرية دير ياسين الهادئة المسالمة وقتلت المئات
من سكانها . لا شيء الا لترويع العرب
المجاورين واحبارهم على ترك بيوتهم
وقراهم والفرار من الموت الاثيم الذى
يترصدهم ان هم أقاموا فى مكانهم الطبيعي

انهيار مئذنة جامع حسن بك أحدى أجزاء سلسلة الاعتداء على المقدسات

المسجد نتيجة عمل تخريبي مدير من قبل
الجماعات اليهودية المتطرفة ما يرويه السكان
اليهود المجاورون للمسجد وما يرويه السواح
الاجانب المقيمون فى فندق "استوريا" المجاور
للمسجد وما أعلنته صحيفة أجنبية منهم
"أنها أفاقت مذعورة من نومها على صوت
انفجار فاطلت من شباك غرفتها فى الفندق

فى الثانى من شهر نيسان ١٩٨٣ تم
تفجير مئذنة جامع حسن بك فى يافا مما أدى
الى انهيار المئذنة ورغم ان السلطات
الإسرائيلية تزعم ان الانهيار ناتج عن الامطار
الغزيرة التي هطلت هذا العام متناسية ان
اليوم والاسبوع الذى انهارت فيه المئذنة
لم تتساقط فيه الامطار، وبؤكد صحة انهيار

في حينه "أن البلدية كانت تريد حث العرب لاستصلاح المسجد" !!
 ان الاعتداءات الاسرائيلية على مسجد حسن بيك لم تكن الاولى ولن تكون الاخرى بل هي سياسة اسرائيلية رسمية معتمدة ضد المقدسات العربية الاسلامية والمسيحية منها. فعشرات المساجد والكنائس والمقابر هُدمت وجرفت دون مراعاة لمشاعر العرب من قبل

وشاهدت انهيار المئذنة والتقطت عدة صور لها وهي تنهار. وقالت الصحفية انها مستعدة للادلاء بشهادتها في الموضوع " .

- راجع الاتحاد الحيفاوية عدد الثلاثاء ٥ نيسان ١٩٨٣ -

كل العالم سمع ما أعلنته بلدية تل - ابيب في اواخر عام ١٩٨١ من انها تنوى عمل



● مئذنة مسجد حسن بك في يافا : الى اليسار - قبل تفجيرها والى اليمين - بعد ان طالتها يد التخريب الاجرامية ●

سلطة تزعم انها تحافظ على حرية العبادة .
 واذا كانت اسرائيل تزعم انها لم تكن تريد ان تهدم مسجد حسن بيك في يافا كي تعمل منه "مركزا سياحيا" فانها أقدمت على مثل هذا العمل في عشرات المواقع في أمكنة أخرى ولعل فندق "بلازا" في القدس خير شاهد على ذلك حيث انه بني على مقبرة

مسجد حسن بيك ورواقه "مركزا سياحيا" وانها أعطت تنفيذ العمل الى أحد المقاتلين وهو أخ شمعون بيرس زعيم حزب العمل الاسرائيلي ولكن البلدية تراجعت اثر الاحتجاجات الهائلة من قبل العرب والمسلمين في يافا والجليل والمثلث والضفة الغربية وقطاع غزة وأعلن شلومو لاهط رئيس بلدية تل - ابيب



● مسجد حسن
يك في مدينة يافا
بعد انهيار مافنته ،
ويظهر في خلفية
الصورة جزء من
فندق استورا الذي
كان منواريا خلف
المذلة .
ومما يذكر ان
بلدية تل ابيب كانت
تمتزم تحويل المكان
الى منطقة فنادق
سباحية ! ●

بأداء الطقوس الدينية والصلوات في المسجد
الاقصى آخذ بالاقتراب وان الحاخام دافيد
البوم اشترى لهذه الغاية آلة تسج لحياكة
البسة خاصة من الكتان لكي يتم استخدامها
أثناء الصلاة في الاقصى" ١١؟

وفي نفس اليوم ايضا طالب المؤتمر
الخامس عشر لحركة شباب مدارس "بنى
عكيبا" الدينية الحكومة الاسرائيلية بايجاد
"تعبير ساطع لسيادة اسرائيل على المسجد
الاقصى وذلك بالسماح لليهود بأداء فرائضهم
الدينية فيه"

وكذلك الحال بالنسبة للحرم الابراهيمي
في الخليل حيث حول جزء منه الى كنيس
يهودي . وفي الوقت الذي كان وما زال حكام
اسرائيل "يتباكون" فيه على المارونيين في
لبنان فانهم شردوا أهل قريتي اقزث وكفربرعم
المارونيين من قريتيهما ومنعواهم من استعمال
كنائسهم ومقابرهم ..

"أمن الله" المعروفة باسم "ماميلا" وهذه
المقبرة تحتوى على رفات بعض الصحابة
والمجاهدين على مر العصور .

ولن يغيب عن بال أحد ما يقوم به
المتطرفون اليهود من محاولات مدعومة
سلطويا للاعتداء على المسجد الاقصى المبارك
أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فاذا
ما استئينا اشعال النار في منبر الاقصى في
٢١ آب ١٩٦٩ واطلاق النار على المصلين
في ١١ نيسان ١٩٨٢ ومحاولة الاستيطان في
المسجد في ١١ آذار ١٩٨٣ والحفريات
المستمرة تحت بناية المسجد المبارك فانه لا
يكاد يمر شهر دون محاولة المستوطنين اقتحام
المسجد من أجل "الصلاة فيه" ١١؟ ويزيد من
خطورة الوضع ما كتبه صحيفة معاريف
الاسرائيلية في عددها الصادر يوم ٥ نيسان
١٩٨٣ من "أن اعضاء " حركة أمثاء جبل
الهيكل " يرون ان اليوم الذي سيسمح لهم

التي تحتملها ظروف التطور النضالي لآسيا
المناطق المحتلة لمواجهة المشاريع الاحتلالية
والردّ بحزم على المشاريع الامبريالية
ومشاريع الرجعية العربية المبنية للبقاء
على طموحاتنا الوطنية في اقامة دولتنا
الفلسطينية المستقلة ..

وتحيتنا لطبقتنا العاملة في عيدنا
العالمي . ومزيدا من التقدم على درب الوحدة
الكفاحية والنضال ..

الدول من أيار

عيد العمال العالمي

١٧ نيسان

يوم السجين الفلسطيني

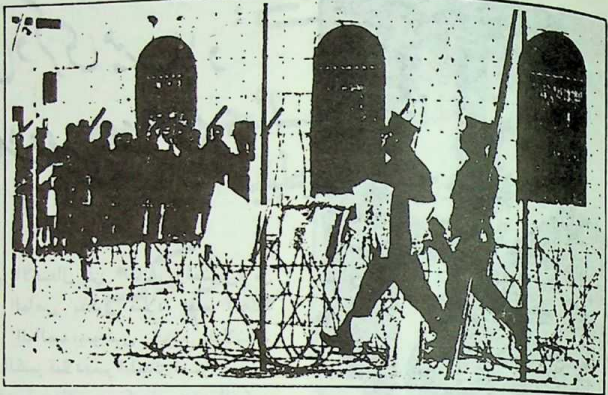
يكرس شعبنا في الداخل والخارج مع قوى
التحرر العالمي يوم السابع عشر من نيسان
للتذكير بالويلات والمآسي التي يعيشها
الاسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال
الاسرائيلي ..

ان "الديمقراطية" الاسرائيلية التي ما
زالنا ترفض تطبيق قوانين جنيف الدولية
الخاصة بأسرى الحروب على الاسرى
الفلسطينيين انما تضيف حلقة جديدة من
ضمن السلسلة الطويلة لخرقها للاعراف
والقوانين الدولية ، علما ان تلك القوانين
تتطبق على الاسرى الفلسطينيين باعتبارهم

يحتفل عمال العالم بعيد الاول من أيار ،
وفي كل عام تحقق الطبقة العاملة في بلادنا
انتصارات جديدة تتجلى في تلاحمها
التنظيمي ودرايتها بأساليب النضال من أجل
تحقيق استقلالها وتطوير تنظيماتها النقابية .

لقد كان الاول من أيار وسبقه رمزا للكفاح
البطولي للطبقة العاملة في كل أرجاء
العالم .. وقد خاضت الطبقة العاملة
الفلسطينية معارك ونضالات شتى في الماضي
والحاضر فأنشأت تنظيمها النقابي الاول الذي
تمثل في جمعية العمال العربية الفلسطينية ،
وتمكن العمال بحسبهم الطبقي من عزل بعض
القادة النقابيين الذين استهدفوا في الماضي
حرف نضال الطبقة العاملة وربطه بالاحزاب
البرجوازية القائمة آنذاك ، فأسس العمال
عام ١٩٤٤ مؤتمر العمال العرب في
فلسطين وجريدتهم المركزية "الاتحاد"
واستطاع العمال بحق أن يصبخوا على الصعيد
السياسي قوة قادرة وقفت في وجه القيادات
الرجعية والبرجوازية الصغيرة .

ان احتفالنا بالاول من أيار هذا العام
يدفعنا الى تأكيد ضرورة توحيد الحركة
النقابية في المناطق المحتلة ، تلك الضرورة



برودة الشتاء الماضي القاتلة بالإضافة الى
اطلاق النار عليهم وقتل العشرات منهم دون
ذنب .

في حين تتناقل وكالات الانباء المعاملة
الحسنة التي يتلقاها الاسرى الاسرائيليون
الثمانية المحتجزون لدى مقاتلي منظمة
التحرير الفلسطينية . بالإضافة الى اشادة
الطيار الاسرائيلي الذي اسر اثناء الغزو
الاسرائيلي البربري للاراضي اللبنانية وعاش
حصار بيروت مع مقاتلي منظمة التحرير حيث
اشاد بالمعاملة الحسنة التي تلقاها ، في حين
أن اسرائيل كانت تقوم بنقل الاسرى
الفلسطينيين واللبنانيين في شباك ترفعها
طائرات الهيلوكبتر الاسرائيلية وكأنهم
أسماك وقعت في شباك صياد ..

ان شعبنا اذ يحيي الاسرى الفلسطينيين
في مختلف السجون التي يرحلون فيها .
ينظر بعين التقدير والاعجاب لنضالاتهم
التي يجترونها من أجل تحسين اوضاعهم
المردية ، ويرى أنها رافد شر في نهـر
نضالنا الفلسطيني العام ..

اسرى حرب ..

فكم من سجين فلسطيني لقي حتفه اثناء
التحقيق تحت سياط "الديمقراطية الاسرائيلية"
وخرج حثة هامة .وكم من سجين توفى في
السجون الاسرائيلية نتيجة للاوضاع المأساوية
التي يعيشها ..

ان اسرائيل مطالبة بتحسين الظروف
الحياتية للاسرى الفلسطينيين من النواحي
الصحية وتوفير الغرف الملائمة وتقديم العلاج
الملائم والغذاء الصحي وهذه أمور لا تتوفر
في المعتقلات الاسرائيلية حيث الامراض
المزمنة نتيجة لافتقار هذه الامور اضافة
لبقايا التعذيب الوحشي الذي يتعرض له
الاسرى اثناء التحقيق .

والاوضاع الاكثر مأساوية هي اوضاع اسرى
"معتقل انصار" في جنوب لبنان والذي
تحتجز فيه اسرائيل اكثر من ستة آلاف أسير
فلسطيني ولبناني في ظروف غاية في السوء
فقد امضوا شتاء قاسيا في خيام لا تقيهم

في ذكرى ميلاد فيلا ديمير ايليتش لينين



● لينين ●

تم الاحتفال في الثاني والعشرين من
نيسان الماضي بذكرى ميلاد معلم الطبقة
العامة العالمية، ومؤسس حزب البلاشفة،
الثوري الكبير فيلا ديمير ايليتش لينين .

ولقد استضافت موسكو في هذه الذكرى
العديد ممن آثروا الاحتفال في نطاق
الحركة الشيوعية العالمية، بهذه الذكرى .

وكما جاء في الكلمة التي القاها سليمان
النجاب عضو المجلس الوطني الفلسطيني
وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي
الفلسطيني لراديو موسكو ليلة الاحد ٢٠ / ٤ /

ان ذكرى لينين تعني لشعبنا تلك المثل
الراسخة لنضال الشعوب التحرري ولدفاعها
العادل عن السلام والحياة الحرة الكريمة .

ولقد ارتبط اسم لينين في اذهان
التقدميين والشيوعيين دائما ، بالصلابة
والمبدئية اللينينية في حياة الحزب الداخلية

وفي تمكين صلات الحزب بالجماهير
وارتباطه الدائم بمصالح الطبقة العاملة ،
وجماهير الكادحين والدفاع عن مستقبل
نضالها واهدافها النهائية ..

ان لينين "رجل الفكر الثوري الروسي
والحسن العملي الامريكي " كما وصفه المفكر
الماركسي هنري لوفيفر، والذي ترك بصماته
الواضحة على المسيرة اللاحقة والمتطورة
للحزب الشيوعي السوفيتي والدولية
السوفيتية مقدما تطورا نظريا وخلاقا للماركسية

حدد منذ البداية الواجب الذي تضطلع به
الدولة السوفيتية والحزب الشيوعي في تمكين
الروابط الاممية البروليتارية وتطوير وحدة
الحركة الشيوعية العالمية .

ان المواقف الحازمة والثابتة للاتحاد
السوفيتي في دعم الشعوب العربية وفي تقديم
كافة اشكال الدعم العسكري لسوريا وفي
التأييد الفعلي لمنظمة التحرير الفلسطينية
لتؤكد من جديد، على الحياة المتجددة
دائما لللينينية ولحزب لينين العتيق .

المطلوب الآن:

تعزيز الثقة بال جماهير وبناء الوحدة الوطنية الراسخة

صالح حكمت



قالك ايه .. قالك اه .. هيلاموب
.. كده تسليك .. كده توليع !!
" عن الاهالي "

خطوات الانظمة العربية واستئناف المفاوضات مع الاردن فهو طريق الجامعة العربية، طريق تحويل منظمة التحرير الى منظمة شبه رسمية، ولذلك كانت قرارات المجلس الوطني وبعد ذلك التحديد الصريح الراض لتفويض الاردن استمرار للنهج الثوري والراض لطريق الانظمة العربية .

العوامل التي يستند اليها اليمين العربي، ومن خلفه الامبريالية الامريكية لممارسة الضغوط على منظمة التحرير الفلسطينية والسعي لابتزازها من اجل استئناف العلاقات مع الاردن والذي يريدونه تخليا عن الدولة الفلسطينية المستقلة لصالح مشروع ريجان، وتخليا عن استقلالية ووحدانية، تمثيل منظمة التحرير من خلال التفويض للاردن، هذه العوامل يمكن ان تنقلب بشكل معاكس للحسابات الرجعية، اذا ما قررت منظمة التحرير الفلسطينية ذلك .

وعبر هذا الطريق وحده يمكن الاستمرار في مسار منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها حركة ثورية صلبة اغتننت تجربتها بالخبرة السياسية والتضحيات الباسلة .

واما الطريق الذي تحاول الرجعية العربية رسمه للمنظمة، طريق التحركات الدبلوماسية المجردة، والاعتماد على امريكا، والسير وفق

الفلسطينية حين دعمت الكفاح العادل لمنظف التحرير وحين تعاملت معها باعتبارها جزءاً أساسياً من حركة التحرر العربية، وأما الموقف العربي الرسمي فكان ثمره للنضال الفلسطيني ولارتباطه بحركة التحرير العربية والعالمية، وما دام هذا الأساس قائماً فإن شرعية منظمة التحرير تصبح أقوى من السابق على الرغم من كل محاولات اليمين العربي، والذي لم يجرؤ حتى الآن نتيجة لهذه الاعتبارات من طرح بديل عن منظمة التحرير وإنما يوجّه حملته الآن لشق المنظمة وتقسيمها بين معتدل ومتصلب على غرار تصنيفات ريفان.

إن هذه الحقيقة مرتبطة بالحقيقة الناصبة لثبات الموقف السياسي الواضح والالتفاف الواسع حول م.ت.ف. في المناطق المحتلة يجب أن تكون الأساس في سياسة منظمة التحرير الفلسطينية الآن، ومن أجل تنفيذ قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ..

ساحة المناطق المحتلة:

إن انتقال مركز الثقل في النضال الوطني الفلسطيني إلى المناطق المحتلة، والتي هي مركزاً للتواجد المنظم للشعب الفلسطيني على أرضه، والتي تستعر بمحabbات يومية مع الاحتلال، وتنبسط فيها رجالات الأردن الآن من أجل تشكيل الوفود المؤيدة للملك. ولزيادة الضغط على م.ت.ف. أن هذه الساحة لا تضعف من المقومات الأساسية التي ينبغي أن تعتمد عليها م.ت.ف. في سياستها بل هي عامل أساسي ويمكن الثقة به في الاستجابة لمتطلبات النضال الوطني في هذه الظروف ولتعميق الالتفاف الشعبي حول م.ت.ف.

لقد حسمت هذه الساحة العديد من القضايا النضالية التي اكتسبتها خبرة كفاحية

فما هي العوامل التي تراهن عليها الرجعتيات العربية، وتسعى لممارسة الضغوط من خلالها على منظمة التحرير الفلسطينية؟ أنها في توجه منسجم مع صعوبة الواقع الناجم عن توازن القوى المختل وعن الصعوبات الجديدة أمام منظمة التحرير الفلسطينية، كفقْدان الأرض التي كانت تتمركز عليها القوة الفلسطينية، مما يوحى للرجعية الإشارة إلى انقضاء وتشتت الجماهير الفلسطينية من حول منظمة التحرير. وانعدام الأساس لشرعيتها سوى من خلال الانظمة وموتمرات القمة وأموال الدعم النفطية والتلويح بسحب الاعتراف الرسمي الذي أقرته الدولة العربية في الرباط عام ١٩٧٤ بمنظمة التحرير الفلسطينية ..

وتتوجه الانظمة العربية للضغط بقوة أكبر مستفيدة من تردّي العلاقات الفلسطينية السورية، وجو التوتر الذي يسودها، الأمر الذي يطمئن الرجعية العربية من تنامي مركز نضالي قوى في حالة التحالف بين سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية، والذي يستفيد من الامكانيات الهائلة للدعم السوفييتي، فضلاً عن تبلور آفاق إقامة جبهة عربية مكافحة ضد الامبريالية تخرط فيها دول واحزاب وحركات وطنية معادية للقواعد العسكرية وتسعى للمحافظة على استقلال بلدانها الوطني ..

إن الحالة الراهنة في المنطقة واحتلال توازن القوى لم تغبّر من حقيقة وجود قوى التغيير في المنطقة ممثلة بغالبية الطبقات الشعبية التي يجري استغلالها وتهديد منجزاتها الوطنية يوماً بعد يوم، وهذه القوى هي التي اعطت في الأساس ومن خلال قواها الوطنية والتقدمية الشرعية لمنظمة التحرير

هائلة ومنذ الانتخابات البلدية عام ٧٦ والتي نحت فيها شعارات الالتفاف حول م.ت.ف. والدولة الفلسطينية المستقلة وشكلت هزيمة لرحلات الاردن في اثر من مدينة لم يضعف التزام الجماهير الفلسطينية، بمواقفها. بل عكسته الانتفاضات الشعبية المتوالية، وموقفها الحامض ضد اتفاقيات كامب ديفيد وانبثاق لجنة التوجيه الوطني كإطار جبهوي واسع لعب دورا بارزا في المناطق المحتلة، وتم افسال محاولات البدء بتطبيق الحكم الذاتي في قطاع غزة والتي انضمت بسرعة الى موقف الجماهير الرافض للحكم الذاتي واتفاقيات كامب ديفيد في الضفة الغربية ..

وعلى الرغم من اجراءات السلطة وحملاتها لمكرره وحل لجنة التوجيه الوطني وعزل رؤساء البلديات فقد استمر النضال الشعبي ضد مشاريع الاحتلال والادارة لمدينة، وتحلّى اخيرا في الموقف الواضح من زيارة كارتر والذي كان تأكيدا لموقف الجماهير في الداخل من مشروع ريفان ..

ويحاط رحلات الاردن الان والداعين الى تشكيل الوفود لزيارة الاردن بعزلة جماهيرية واسعة، وصلت حتى الدعوة الى تشكيل هذه الوفود بطرق ملتوية وبدون الافصاح عنها خوفا من ردة فعل غاضبة من الجماهير ..

ان توقف المفاوضات الفلسطينية الاردنية لم يقابل في المناطق المحتلة بالدموع، الا من نفر قليل ومعزول كرر اكثر من مرة قبل ذلك دعوتهم م.ت.ف. للاستسلام، ولم يتورع عن المطالبة ببديل لها في كل المراحل الحرجة، الا ان ذلك لا يعكس توسعا في القاعدة الاجتماعية المعادية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولا يمكن الحديث عن انضمام فئات طبقية جديدة نوعيا الى قاعدة العداء لمنظمة التحرير ان محاولات التشكيك بمنظمة التحرير التي ساعد عليها الانقسام في ساحة المناطق

المحتلة، لم تلق نصيبها من النجاح، ليس فقط لانعدام الارضية الموضوعية في تحلّي قوى اجتماعية عديدة عن هدفها في الاستقلال الوطني وانما ايضا لانعدام اي اساس للثقة بالبدائل التي يطرحها هؤلاء ..

لقد حاولت السلطات من خلال اجهزة دعمها المختلفة ان تفرض روابط القرى، الا ان الموقف الحازم للجماهير الفلسطينية والنضال المتأبى ضد الروابط، افسل محاولات السلطة، وهذا كان دلالة واضحة ايضا على مستوى الوعي العالي ولنضالي للجماهير في الداخل .. وهذا الامر الذي لم يتغير هو عنصر هام في افسال اصحاب القيادات البديلة، والذين لم يستطيعوا طوال ستة عشر عاما من عمر الاحتلال ان يقدموا اي اسهام نوعي خاص يسمح لهم الان بادعاء تمثيل أي جزء من شعبنا الفلسطيني، وبمحاولاتهم التشكيك بوحداية تمثيل م.ت.ف. انما يكشفون مجددا عن مواقفهم السابقة ..

ان عنصر الابتزاز الذي تسعى اليه الاردن والرجعية العربية، وبالدعم المكشوف من الادارة الامريكية لشخصيات كفريج والشوا وغيرهما هو محاولة مكشوفة لتضخيم دور هؤلاء ومحاولات تصويرهم كقادة جماهيريين بالاستفادة من اجراءات السلطة القمعية وبالدور المنوط بوسائل الاعلام الاسرائيلية والعربية ..

الا ان الحقيقة التي ميزت موقف جماهير بيت لحم وقطاع غزة عند زيارة كارتر للمنطقة خيبت آمال فريج والشوا وظهرتهم على حقيقتهم معزولين عن الجماهير ودعاة استسلام ..

مقومات القوة في الداخل :

ان هذا الدور البارز للمناطق المحتلة لم يكن

في جوهره عفويا، بل كان مسنودا بعوامل قوة يمكن لها ان تتطور اكثر فاكثر وتؤمن التواصل اللازم لكفاح الحركة الفلسطينية وتحقيق الانسجام الاقصى مع اهداف الاستقلال الوطني والالتفاف حول منظمة التحرير الفلسطينية...

ان حجم القوى والطبقات الاجتماعية، المتأثرة من سياسة الاحتلال يتسع على الدوام واذا ما كانت جماهير الطبقة العاملة تشكل اكثر من ٦٠٪ من مجموع العاملين، فان المصادرات الدائمة للارض تدفع بفئات واسعة من الفلاحين الى الاصطدام المباشر بالمحتلين ويجب ان يذكر انه الى جانب حملات الاستيطان المتصاعدة تتصاعد كذلك حملة المقاومة وتتأسس لجان الدفاع عن الارض، وتقوم لجان العمل التطوعي تحت شعار "الارض هي الهوية" في كل قرية معرضة للاستيطان فضلا عن امتدادهما السريع في قطاع غزة، وتتضرر اقسام واسعة من الموظفين والعاملين في سلك التعليم من ضغط الاوضاع الاقتصادية وتدمير الجهاز الثقافي والتخفيف الدائم في دورهم الذي تسعى السلطة لغرسه يوميا من خلال اغلاق المدارس الدائم ومن خلال تغيير المناهج ومن خلال النقل التعسفي والغاء حقهم في التنظيم النقابي. وعلى الرغم من الدور الذي تلعبه اموال الصمود فالاحتلال الاسرائيلي ينهش يوميا بالضرائب وبانخفاض الليرة المستمر من دور الصناعة المحلية المتواضعة، ويلقي بثقله على آلاف التجار والتجار الصغار الذين يعصرهم السوق يوميا...

ان هذه القوى المتناقضة يوميا مع الاحتلال تتجه بتسارع شديد الى التنظيم، عبر الاشكال المختلفة للمؤسسات والمنظمات الجماهيرية، فالامتداد الواسع للجان العمل التطوعي ولجان المرأة والنقابات العمالية

ولجان الطلبة الثانويين ولجان الدفاع عن الارض، ومراكز الشباب والاندية لا يعكس سوى التشتت القائم والانقسام في صفوف الحركة الوطنية...

وبامتلاك هذا العنصر في التنظيم الجماهيري، ويتوحيد كل المنظمات الجماهيرية الموازية (النقابات، لجان العمل والشبيبة الخ) حسب متطلبات الخطة الاساسية لمواجهة المشاريع التصفية ولتأمين الالتفاف حول منظمة التحرير وحول قرارات المجلس الوطني تستطيع المناطق المحتلة ان توظف طاقاتها بافضل الاشكال الممكنة.

ولا يستند هذا الاتساع في اشكال العمل الجماهيري الى فراغ سياسي، بل على العكس فجزور الحركة الوطنية ممتدة في مختلف المناطق، وتأثيرات القوى السياسية المنظمة واضحة، الامر الذي يدفع بقوة نحو اعادة بناء صرح الوحدة الوطنية في الداخل...

ان قرارات المجلس الوطني الفلسطيني كانت تعبر عن خطة كفاحية طويلة النفس واستندت الى مقومات الكفاح الوطني الفلسطيني واولت عن حق لساحة الداخل اهمية كبرى وفي هذا لا يوجد أي شيء من المبالغة فان تاريخ النضال العريق، ووضوح الشعارات والاهداف امام جماهير شعبنا في الداخل، والنجاح في بناء اكثر من شكل للوحدة الوطنية في المراحل الزمنية المختلفة والوجود المنظم لعدد من القوى السياسية، قادر على توفير ارضية كفاحية ملائمة.

المطلوب فقط : عدم النظر الى الوراء، وعدم الاستجابة لضغوط اليمين العربي في استئناف المفاوضات مع الاردن، والسير قدما لبناء الوحدة الوطنية الراسخة تحت شعار الدولة الفلسطينية المستقلة...

ندوة الشهر

الطبقة العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة

س ١ كيف يمكن تحديد الخريطة الطبقة
لمختلف القوى والطبقات الاجتماعية، الآن
وفي أي اتجاه يحرى التعبير في تناسب
بين القوى الطبقة واتجاهات تطور مختلف
هذه الطبقات ؟

عادل سمارة

حول الخريطة الطبقة في المناطق المحتلة
وتناسب القوى ؟
كثيراً ما نظر الى التحليل الطبقي في
المناطق المحتلة وكأنه احدي الكبائر . وعليه
فان تناول المناطق المحتلة بمنهاج التحليل
الطبيقي يعرض المحلل للنقد وربما للتشويه ،
وكانه يتحدث عن شيء ما " شديد الضرر " غير
موجود ، وجريمة المحلل انه يحاول دحشه في

توجيه " الكاتب " في ندوتها الشهرية ،
والمخصصة هذا الشهر لمناسبة الاول من أيار
عيد العمال العالمي ، مجموعة من الاسئلة .
لعدد من الدارسين والنقائين البارزين ،
وقد كان هناك العديد من القضايا التي طرحت
في نطاق الاجوبة التي تلقتها المجلة ، ونحن
اذ نشر هذه الاجوبة ، ونظرا للاهمية الكبرى
للموضوع المثار حول " وضع الطبقة العاملة
الفلسطينية في المناطق المحتلة " فاننا نترك
المجال مفتوحاً لكل من يرغب بالتعليق
والنقاش على ما ورد من اجوبة الزملاء
المختلفة ، باتجاه تعميق واغناء الموضوع ،
وعنى عن القول هنا ايضا ان الاجوبة تعبر
عن رأى اصحابها ولا تعكس بالضرورة رأى
المجلة ..

جسم مجتمع المناطق المحتلة هذا .

هناك اعتراضان على هذا التحليل هما الأكثر شيوعاً وأن كانا على طرفي نقيض : -

الأول : - وهو الاعتراض البرجوازي الواعي لأهمية وحساسية التحليل الطبقي ، والذي يعترض على مجرد نبش هذا التحليل متذرعاً أننا مجتمع واحد بلا طبقات " والكل سواسية ومشكلة هذا الاعتراض أنه موقف طبقي يعمل لصالح طبقة معينة بهدف إثبات عدم وجود طبقات ، وفي هذا مفارقة واضحة . أو من جانب آخر أننا نخضع للاحتلال وأن هذا سابق لاوانه .

الثاني : - اعتقاد بعض المقتنعين بأهمية التحليل الطبقي . أن المناطق المحتلة لم تشهد بعد ولادات طبقية واضحة .

بالنسبة للاعتقاد الأول . فإن معارضة التحليل الطبقي بسبب وجود الاحتلال ، أما نابع عن عجز في التحليل لدى الماركسيين ، أو عن عمق في المخادعة لدى مثقفي البرجوازية ، لأن الوجود الطبقي في مجتمع معين لا يمكن إخفاؤه تحت يافطة المصالحة الوطنية ، وإنما الوضع الصحيح للمعادلة هو أن الوجود الطبقي في مجتمع معين وفي فترة زمنية معينة يمكن استغلاله بالشكل الأفضل ضمن التحالف الوطني لمختلف الطبقات ذات المصلحة في النضال خلال حقبة زمنية معينة .

أما عن الاعتقاد الثاني ، فتهمنا الإشارة إلى أن عدم حصول الصراع الطبقي في مجتمع معين ، لا يعني غياب وجود الطبقات ، أو طبقة معينة من الطبقتين المركزيتين في عملية الصراع الطبقي أي البرجوازية في مقابل الطبقة العاملة . ولو كان وجود الطبقات وتبلورها يفترض مباشرة عملية الصراع الطبقي ، لكان علينا أن نجد فرنسا وبريطانيا وألمانيا الخ وقد دخلت المرحلة الاشتراكية من جانب آخر فإن الطبقة ، تحدد من

خلال علاقاتها بوسائل الإنتاج ، وتوضح من نظام الملكية الذي يعطي المجتمع مراسم قانونية ويفرض عليه تكويناً معيناً .

إذا أجرينا هذا التعريف على المناطق المحتلة نجد أن هناك وسائل إنتاج ، وأن هناك علاقات إنتاج ، وأن هناك بالتالي طبقة تملك وسائل الإنتاج وأخرى يتم استخدامها لتشغيل وسائل الإنتاج هذه . وتسود بين الطبقتين علاقات إنتاج معينة ، تمت صياغتها عبر قوانين في مجملها هي الملكية الخاصة ، من جهة ثانية ، تجدر الإشارة إلى أن غياب الوعي الطبقي ، للطبقة العاملة تحديداً لا يعني حقناً في إنكار وجودها ، فكل واحدة من هاتين المسألتين ، ذات شأن خاص بها

ولكن هناك مسألة قومية تدخل في حديثنا عن المسألة الطبقيّة ، وهي من خصوصيات الوضع الفلسطيني ، وهي ، هل الطبقة العاملة في المناطق المحتلة طبقة مستقلة متكاملة ؟! والسؤال نفسه تجاه مختلف الطبقات الاجتماعية الأخرى ؟ .

ثم ما هو المشترك بين العمال في الضفة الغربية والعمال في قطاع غزة ، وكذلك ما هو المشترك بين سائر الطبقات الاجتماعية الأخرى في الضفة والقطاع ؟ .

أن التقسيم الجغرافي التعسفي الذي خضع له المجتمع الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ قد مزق البنية الطبقيّة للمجتمع الفلسطيني نظراً لكونه قد مزق البنية أو الأرضية الانتاجية لهذا المجتمع . فوجدنا تجمعاً فلسطينياً أساسياً في كلٍّ من الضفة والقطاع ، والضفة الشرقية ، والمثلث والجليل ، ولبنان ، واقطار أخرى كثيرة . هذه التجمعات كل واحدة على حدة بقيت على انتمائها القومي / السياسي / الفلسطيني ، لكنها في العديد من الأماكن لا تملك أرضية انتاجية مستقلة من جهة ولا أرضية انتاجية خاصة لها من جهة ثانية .

القطاعية او ما قبل الرأسمالية (١) .

وابعد من هذا فقد جرى تلميح اقتصاد المناطق المحتلة ايضا بالتناقضات الاساسية للرأسمالية المتقدمة في اسرائيل ، كالتضخم وارتفاعات الاسعار المتتالية ، وتزايد معدل الاستهلاك وتنوعه .

يمكننا طرح التكوينات الطبقية في المناطق المحتلة على الشكل التالي :-

البرجوازية الكبيرة .

البرجوازية الصغيرة .

الطبقة العاملة والفلاحين .

البرجوازية الكبيرة :-

لا يمكن التعامل مع وضع الطبقة

البرجوازية الكبيرة ، دون التعامل مع الشرائح الطبقية المكونة لهذه الطبقة وكذلك الفئات الطبقية فيها .

أ - البرجوازية الرأسمالية المحلية :- وهي الفئة الاساسية لهذه الطبقة في المناطق المحتلة ، والمكونة من أصحاب رؤوس الاموال المستثمرة محليا ، او قل جزءا من رأسمالها مستثمر محليا ، كأصحاب المصانع والمعامل القائمة في المناطق المحتلة ، وهذه الفئة تعيش وضعا تكامليا من جهة ، وتناقضيا من جهة ثانية مع الاحتلال .

فالوا :- وضعها تكاملي مع الاحتلال حيث تعتمد في ما تستعمله من مواد خام على مصادر الاحتلال الخاصة به او المستوردة من الخارج ولذلك تشكل الى حد ما استكمالا لمصانع الاحتلال ذات الانتاج نفسه ، مثالا على ذلك مصانع الصابون ، الاعلاف ، الحلويات ، البلاستيك الاثاث... الخ .

وثانيا :- تناقضية على مستوى التسويق ، فهذه المصانع تسوق في المناطق المحتلة فقط واثيانا في الاردن ، وسوقها (اي المناطق المحتلة) مفتوح للبضائع الاسرائيلية

بناء على ما تقدم ، فان الطبقة العاملة الفلسطينية بالمفهوم القومي / السياسي / موجودة في الاماكن المشار اليها وذات سمه مشتركة قوميا اما بالمفهوم الطبقي وعلى الاساس الانتاجي فانها مقسمة الى مناطق منزلة تماما عن بعضها البعض ، فالطبقة العاملة في الضفة الغربية غير متحدة حاليا مع جزئها (القومي / السياسي) في القطاع او في الضفة الشرقية... الخ لان هناك انفصالا في البنية الانتاجية نفسها .

ولهذا يجوز لنا الحديث عن طبقة عاملة في المناطق المحتلة ، رغم الانفصال الجغرافي القائم بينها وبين اجزاء الطبقة العاملة (الفلسطينية) الاخرى .

× × × × × × × × × × × × × × × ×

من الواضح ان العلاقات الانتاجية الرأسمالية شهدت تسارعا واضحا في المناطق المحتلة في ظل الاحتلال ، وقد تم ذلك على حساب علاقات الانتاج (قبل الرأسمالية) فيها وأوضح مؤشرات ذلك التحول هي :-
- تزايد الحجم العددي للعمال
المأجورين .

- عمالة المرأة .

- وابعد من هذا عمالة الصبية .

- ارتفاع معدل الاستهلاك .

- ارتفاع اسعار الارض (لا يشمل هذا

السعر الخاص لمسمرة الارض للاستيطان) .

- امتصاص العمل للبطالة المقنعة

(بغض النظر عن اسبابها) .

- انهيار وحدة الانتاج الاساسية وتسارع السير الرأسمالي للزراعة وهجرة الريف وبهذا يمكننا القول ، ان الرأسمالية في المناطق المحتلة قد ادخلت اكثر من كونها قد انتجت داخليا اي لقد قام الاحتلال الكولونيالي (بدحش) الرأسمالية في المناطق المحتلة اكثر من كونها نمت في رحم العلاقات

المشابهة . في حين محظور عليها التسويق في السوق الاسرائيلي .

من جهة أخرى فان هذه الفئة الطبقية ذات وضع تكاملي مع الاقتصاد الاردني لان الكثير من انتاجها يتم تسويقه عبر الجسور . ولان جزءا من سيولتها المالية في البنوك الاردنية ، كما ان لها مشاريع في الاردن ، او مشاريع في دول عربية أخرى تمارس عملها فيها عبر علاقتها بالاردن . كما انها احيانا تستورد مواد خام لمصانعها من او عبر الاردن لتعيدها مصنعة عن نفس الطريق .

هذا الوضع يجعل هذه الفئة الطبقية ثلاثية الانتماء السياسي ، لانها ثلاثية الوضع المصلحي .

— ذات انتماء فلسطيني على الاساس السياسي / القومي / ومؤخرا على اساس حصولها على (حق) مالية من اموال الصمود لكن هذا الانتماء لا يعني بالضرورة دعما لم . ت . ف .

— ذات انتماء سياسي للنظام الاردني عبر مصالحها المذكورة .

— ذات ميل (تساومي) مع الاحتلال حفاظا على مصالحها ولكسب تسهيلات لتلك المصالح .

بـ البرجوازية الكمبرادورية :—

هذه الفئة الطبقية ، محكومة بالولاء للسلطة الحاكمة لانها هي التي تسهل لها الحصول على الكسب ، فاذا كانت البرجوازية الرأسمالية تملك مقوماتها الانتاجية وهذه المقومات هي المحدد لهويتها الطبقية ، فان مقومات الكمبرادور هي الارتباط بالسلطة المسيطرة للحصول على امتياز وكالات استيراد وتوزيع المنتجات الاسرائيلية ، او سلعاً من خارج اسرائيل تحصل على امتياز استيرادها من سلطات الاحتلال ، ولذا فان هذه الفئة ليست مرشحة للانتماء السياسي القومي كالبرجوازية الرأسمالية . .

جـ - الرأسمالية الزراعية :— وهذه الشريحة اقل حضورا واقل تأثيرا من سابقتيهما وتشكون من اصحاب الملكيات الكبيرة (زراعية عقارية) كالبيارات والابنية والفنادق . . الخ وهذه الشريحة تتداخل كثيرا مع الرأسمالية الكبيرة من حيث تشريك الرأسمال بينهما . كما يتداخل ايضا وضعهما السياسي . .

٢) البرجوازية الصغيرة :—

هذه الطبقة اوسع من الاولى عدديا وفنوا ولذا يصعب حصر الشرائح المنتمية لها فهي في قمتها تتداخل مع الرأسمالية الكبيرة وفي قاعها تتداخل مع الطبقة العاملة، وتتداخلها هذا يأخذ الشكلين المصلحي والسياسي .

وربما يزيد من صعوبة تحديدها انها ليست احد القطبين الاساسيين في قط الانتاج الرأسمالي بل انها تكمن بينهما أي بين الرأسمالية من جهة والطبقة العاملة من جهة ثانية . .

والشرائح المكونة لهذه الطبقة هي التجار المتوسطون والمثقفون ، واصحاب الملكيات الزراعية والعقارية المتوسطة ، وكبار الموظفين واصحاب المعامل والورش . .

ان مصالح هذه الطبقة اقل تتداخلا مع اقتصاد الاحتلال من البرجوازية الكبيرة وبالتالي فهي اقل استفادة منه، بل انها اكثر تضررا، الا ان الضرر الذي يقع عليها هو ما يصيب الواقع الوطني بجملة وليس عملية الصدام المباشر بينها كطبقة وبين الاحتلال، اما علاقتها بالاردن، فليست على ارضة اقتصادية (مالية او انتاجية) ولذا فهي اضعف ايضا من علاقة الرأسمالية الكبيرة، الا ان التوجهات الجديدة للاردن تأخذ بالاعتبار الحجم الكبير ، والوضع النشط لهذه الطبقة مما دفع الاردن للسماح بنفاذ او برشح مبالغ مالية معينة لاساط هذه الطبقة كالقروض وربما

الفروض الميتة، والهبات المباشرة، في سعي
لشراء الولاء السياسي .
لكن رغم ذلك، فإن هذه الطبقة اقرب في
ولايتها السياسي الى منظمة التحرير الفلسطينية
لان دورها السياسي والنضالي في الاساس اوسع
من دور الرأسمالية الكبيرة، اضافة الى كونها
اقرب على فكر المقاومة السياسي، وبأن هذه
الطبقة تفقد بشكل اساسي وتوجه سياســة
المنظمة .

(٣) الطبقة العاملة والفلاحون :-

في معرض الحديث عن الطبقات فإن
الفلاحين لا يشكلون طبقة متميزة ومحددة
ويقول ماركس في هذا الصدد (ان الفلاحين
المبعثرين يكونون كتلة هائلة يعيش
اعضاؤها في ذات الوضع، ولكن بدون
الدخول في احتكاكات متعددة مع بعضهم
البعض. ان طريقة انتاجهم تعزلهم بعضهم عن
بعض، عوض ان تضعهم في تعامل متبادل . .
وفي القياس الذي فيه لا يوجد بين الفلاحين
المبعثرين الا رباط محلي، حيث معادلة
مصالحتهم لا تخلق اى تجمع، وأية صلة على
الصعيد القومي وأى تنظيم سياسي فانهم لا
يكونون طبقة) .

اما لوكاتش فيوضح الامر اكثر بالمقنطف
التالي (لذلك كان ان الوعي الطبقي
للفلاحين يلبس هيئة ايدولوجية ذات محتوى
متغير اكثر من بقية الطبقات وهي دائما
هيئة مستعارة فعلا) (٢) .

رغم ذلك سوف نستمر في الحديث
عن الفلاحين (تجاوزا) كطبقة، لكننا لن نفرد
لها موقفا خاصا كسائر الطبقات .

من التجاوز الحديث بشكل مندمج عن
الطبقة العاملة والفلاحين، ويظهر هذا التجاوز
اكثر في المجتمعات المستقرة الا انه يظل

تجاوزا مقبولا في وضع المناطق المحتلة اذا
أخذنا بالاعتبار الحراك المتواصل بين هاتين
الطبقتين، وخاصة انتقال الفلاحين الى
صقوف الطبقة العاملة . .

هذا الانتقال، لا يتم فقط بسبب هجرة
الريف الى المدينة، بل ايضا بسبب تحريد
الفلاحين من ارضهم بفعل الاستيطان، وكذلك
بسبب الرملة المستمرة للزراعة، وفقدان
القرية دورها الانتاجي الاساسي، والعجز
المتزايد للميازات الزراعية الصغيرة عن اشباع
حاجة مالكيها وتشريك العمل للعديد من
الفلاحين حيث يعملون كعمال ومزارعين في
الوقت نفسه .

في بدايات الحديث حول العمال
والفلاحين، تجدر الاشارة الى ان هاتين
الطبقتين اقل الطبقات تمازجا مع نظيرتيها
في اسرائيل، فاذا كانت البرجوازية الكبيرة
تعتمد في المواد الخام على البرجوازية
الاسرائيلية، والكمبرادور على السلطات وحتى
شرائح عديدة من البرجوازية الصغيرة تعتمد
على تسويق السلع الاسرائيلية في متاجرها،
فان طبقة الفلاحين اكثر الطبقات تضرا من
وجود الاحتلال اما الطبقة العاملة فاكثرت طبقة
يتم سلخ فائض، وفائض قيمة منها لاقتصاد
الاحتلال، علاوة على الاستغلال المزدوج
الواقع عليها قوميا وطبقيا .

وطبقتي العمال والفلاحين ايضا غير
مستفيدتين من الاردن الذي يضخ اموال
الصمود الى المناطق المحتلة، وبالتالي فإن
ولائهما للاردن يكاد يكون معدوما . .

يبقى ان الاغلبية الساحقة من عناصر
المقاومة الفلسطينية هي من ابناء هاتين
الطبقتين، ولذلك فهما تشكلان الارضية
الجهادية الفعلية لمنظمة التحرير
الفلسطينية

ولكن، ماذا عن التناسب بين القوى
الطبقية في المناطق المحتلة (٥٩) .
على الصعيد العددي، هناك تزايد واضح
في صفوف الطبقة العاملة، يتم اجتذابه من
طبقة الفلاحين التي تتعرض لتفكك مستمر،
ومن البرجوازية الصغيرة التي يقود واقع
الاحتلال والظروف الاقتصادية الصعبة الى
افلاس الكثيرين من اوساطها، ولكن على
الصعيد السياسي، فان دور الطبقة العاملة ما
زال اقل من حجمها العددي ووزنها الاجتماعي
العام فطوال سنوات ما بعد ١٩٦٧، والقيادات
الوطنية في يد طبقة البرجوازية الصغيرة
كقائدة للثورة الفلسطينية، وفي الوقت الحالي
يجري تعزيز القيادة البرجوازية الصغيرة
لمواقعها بعملية تلاحم مع البرجوازية الكبيرة
(وهذا التطور طبيعي تاريخيا) حيث تحاول
القيادة الفلسطينية اكتساب تأييد
البرجوازية الكبيرة، رغم التنافس الشديد
الذي يبديه النظام الاردني في كسب ود هذه
الطبقة، والتي مع تضعف وضع م.ت.ف.
تغدو اكثر قبولاً للاردن، مدعومة في ذلك
بفئة الكمبرادور وبتسهيلات من الاحتلال .
المهم بالنتيجة، ان الوزن السياسي
للطبقة البرجوازية الكبيرة يزداد نسبيا على
حساب الطبقة العاملة، بغض النظر عن الطرف
الذي يزداد لصالحه او بالتحالف معه هذا
الـوزن . .
ان الدعم الاقتصادي عبر اموال الصمود
والذي تتلقاه البرجوازية الكبيرة يلعب دورا
اساسيا في ترميم بنائها، هادفا الى خلق
ارضية اقتصادية رأسمالية في يد هذه الطبقة،
تهدف الاردن بها كسب ولاء هذه الطبقة
(اذا عادت الاردن هنا)، وتهدف بها منظمة
التحرير بناء قاعدة لاقتصاد رأسمالي (اذا
حصلت على دولة فلسطينية) . وفي الحالتين
كما انه في حالة بقاء الاحتلال فان الاستغلال

الحقيقي يقع فقط على الطبقة العاملة، ولعل
افضل من عبر عن (ان الاستغلال الدائم في
أية علاقات بين الدول المختلفة والدول
الامبريالية يقع فقط على الطبقات العاملة من
الماركسي الفرنسي تشارلز بتلهام .
البرجوازية المحلية، في سعيها للحفاظ
على وضعها لا تقدم أية فرصة قد تفيدها
فهي ايضا (ولو في حالات نادرة) تقم مشاريع
مشتركة مع الرأسمال الاسرائيلي، وان كانت
هذه المشاريع غير مكشوف منها الا القليل (٢)
ان امتلاك الارضية المادية، يعزز امكان
السيطرة الاجتماعية السياسية، ولهذا فان
البرجوازية المحلية تسيطر الى حد كبير
(وتتخذ السير اكثر للسيطرة) على المؤسسات
الاجتماعية القائمة، بلديات، جمعيات خيرية
نقابات مهنية . . الخ . وهذا يجعلها اكثر اقارباً
للباحثين عن الولاء الاجتماعي وبالتالي
السياسي في المناطق المحتلة . .
تبقى الاشارة، الى ان القمع يلعب دورا
بارزا في زيادة مكاسب البرجوازية في تغير
تناسب القوى الطبقية في المناطق المحتلة
فلاعتقالات، والمضايقات، واغلاق النقابات،
وابعاد قادة نقابيين، كل هذه تغل من فاعلية
الطبقة العاملة لصالح تعمد القيادات
البرجوازية في الساحة، وهذا الى جانب
الواقع المشلول لنشاط ما يقارب ٧٠ ألف عامل
من المناطق المحتلة يعملون داخل الخط
الاخضر ولا يقومون بالدور المطلوب والممكن
لهم في المناطق المحتلة .
وهكذا فان الواقع الراهن يزيد حدة
البرجوازية في الكسب السياسي، مع ان التزايد
العددي للطبقة العاملة يفتح آفاقا اوسع
لدورها المستقبلي، الا ان هذا الدور مرهون
بعوامل عدة منها، تزايد نضالاتها السياسية،
والاقتصادية والنظرية لتأخذ دورها الطبقي

وهي متلحة بكل الاسلحة المطلوبة لذلك الدور.

"ان تحرير الطبقة العاملة يجب ان يكون من صنع العمال انفسهم . . . ماركس

عسان الخطيب

وضع الطبقة العاملة الفلسطينية في الاراضي المحتلة .
(ا) مخلفات العهد الاردني:

تميز الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية في العهد الاردني بالضعف العام على الصعيد الصناعي واعتماد الاقتصاد الاردني على مصدرين اساسيين الاول : الزراعة حيث كانت تشكل المصدر الرئيسي في الاقتصاد الاردني . والثاني : المساعدات الخارجية وكانت تصرف على الجهاز الحكومي والجيش وذلك لتدعيم النظام القائم . هذا الوضع الاقتصادي كان له انعكاس واضح على صعيد الوضع الاجتماعي في البلاد والتقسيم الطبقية . اما على صعيد الطبقة العاملة فكان مردود ذلك واضحا في قلة عددها من ناحية وفي عدم وجود تجمعات - مصانع أو ورش كبيرة - من ناحية اخرى بالاضافة الى أن غالبية الايدي العاملة متركزة في الانتاج الزراعي ، فاذا اضفنا الى كل هذا بعدا آخر وهو ضعف الوعي الاجتماعي الناتج عن سياسة التجهيل الحكومية وسياسة تشجيع الفئات القطاعية في مرحلة سابقة وتشجيع الفئات الرأسمالية في مرحلة لاحقة - خاصة تلك الرأسمالية العاملة في التجارة الخارجية (كبرادور) - . نرى كم هو

ضعيف وضع الطبقة العاملة وما يحتويه هذا الواقع من بطالة مقنعة وضعف في التنظيمات العمالية . .

(ب) وضع الطبقة العاملة في بداية الاحتلال والتغيرات التي حصلت على الطبقة العاملة خلال مراحل الاحتلال :

وهكذا كان الوضع العام للطبقة العاملة في بداية الاحتلال ولعل من ابرز المميزات في هذا المجال هو صغر الحجم النسبي للطبقة العاملة بالنسبة لمجموع السكان في الاحصائية التالية دلالة واضحة على التنامي الملحوظ في حجم الطبقة العاملة بالنسبة لعدد السكان وبشكل مطلق ايضا

فمن ٩١٧٠٠٠ عامل عام ١٩٧٠ الى ١٩٦٣٠٠ عامل عام ١٩٧٣ الى ٢٠٧٠٠٠ عامل عام ١٩٧٦ الى ٢١٥٠٠٠ عامل عام ١٩٧٩ ، وليس هذا فحسب بل ان الاحصائيات تشير الى أن الزيادة لم تحصل في العدد المطلق للطبقة العاملة بل ان نسبة الزيادة في عدد الطبقة العاملة فاق نسبة الزيادة في حجم القوى العاملة عموما (القوة البشرية في سن العمل) ففي الوقت الذي بلغت فيه الزيادة في حجم الطبقة العاملة بين ١٩٧٠ وسنة ١٩٧٦ حوالي ٣٢٤٠٠٠ عامل ، لم تبلغ الزيادة في حجم القوى العاملة الا ٣٢٤١١ . وكذلك الامر بين عامي ١٩٧٥ - ١٩٧٦ بلغت الزيادة في حجم الطبقة العاملة ٢٥٠٠ عامل في الوقت الذي تبلغ فيه الزيادة اكثر من ٦٠٠ في حجم القوى العاملة .

عدد العمال في الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء
من سن ١٤ سنة فما فوق - بالالاف -

السنة	العدد بالالاف	يعمل في اسرائيل	الرجال	النساء
١٩٧٣	١٩٦٣	٦١٣	١٧٢٥	٢٣٨
١٩٧٤	٢ ١٢٥	٦٨٧	١٨١٢	٣١٣
١٩٧٥	٢٠٦٧	٦٦٣	١٧٧٦	٢٩١
١٩٧٦	٢٠٧٥	٦٤٨	١٧٧٩	٢٩٦
١٩٧٧	٢٠٦١	٦٢٩	١٧٧٤	٢٨٧
١٩٧٨	٢١٣٦	٦٨٢	١٨٣	٣٠٦
١٩٧٩	٢١٥٤	٧٥٨	١٨٨٩	٢٦٥

وحتى نهاية آذار عمال الضفة الغربية لوحدها كان كالتالي :-

١٩٧٣	١٢٧٧	٣٨٦	١٠٨٤	١٩٣
١٩٧٤	١٣٩	٤٢٦	١١٢٩	٦٢١
١٩٧٥	١٣٣٩	٤٠٤	١٠٩٧	٢٤٢
١٩٧٦	١٣١٣	٣٧١	١٠٦٨	٢٤٥
١٩٧٧	١٢٨٨	٣٥٥	١٠٥٢	٢٣٦
١٩٧٨	١٣٢٨	٣٦٨	١٠٧١	٢٥٧
١٩٧٩	١٣٢١	٤١٤	١١٠٥	٢٧٦

د. اياد البرغوثي

هذا ينطبق على الوضع الان، وعليه في زمن الاردن وعلى هذا الاساس لم تجد اسرائيل صعوبة اقتصادية كبيرة لضم الاراضي المحتلة لعجلتها الاقتصادية بل كانت معظم الصعوبات حقوقية وشكلية. من ناحية اخرى فان وجود هذا الانتاج الضئيل يكثر من وجود الطبقات والفئات الاجتماعية التي تعيش على هامش الانتاج ويساعد على ذلك - أي التمدد الطبقي - تعدد انماط الانتاج ايضا داخل هذا الانتاج الضئيل فبكل نمط انتاج ترتبط طبقة او طبقات اجتماعية معينة ، وهنا يجب ادراك ان تعدد انماط الانتاج يحول دون جعل البروليتاريا والبرجوازية وهما الطبقتان اللتان

في البدء لا بد من التنوية الى ان اقتصاد الاراضي المحتلة سواء الان او على زمن الوجود "الفرساني" الاردني - حيث ان الاردن ما زال متواجد سياسيا الان هنا - هذا الاقتصاد يمتاز بطابع التخلف، بالطابع الغير منتج وحتى ننطلق من القاعدة الصحيحة لتعريف الطبقة وهي انهم مجموعة كبيرة من الناس يتحددون بصورة رئيسية بموقعهم في نظام الانتاج يجب ان ننوه ان هذه المناطق تنتج بصورة موسخة جدا، فالزراعة والصناعة والانشاءات تنتج اقل من ثلث الدخل الاجمالي

تستقطبان الجز الأكبر من السكان وتصبح
البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى من أوسع
الفئات الاجتماعية الموجودة. فالبرجوازية
الصغيرة عند الكثير من المتخصصين في هذا
المجال بأنها "طبقة الانماط المتعددة
الشهيرة".

نظرا لوجود صناعة وطنية ضلحه في
الأراضي المحتلة منذ زمن الأردن وحتى الآن
فإن البرجوازية الوطنية ضئيلة جدا من ناحية
ومن ناحية أخرى فإن لها طابع كوميترادوري
حيث أنها غالباً ما تجمع المواد الخام المستوردة
من الخارج أو من إسرائيل (حتى شركات
الجابر الوطنية مثلاً تستورد ٨٠٪ من
خاماتها من جنوب أفريقيا) ومن هنا يأتي
عدم حزمها أمام الاحتلال بل ومهادنته في
أحيان كثيرة وهي تتبدل للبرجوازية
الكوميترادورية الموجودة بكثرة في الأراضي
المحتلة من ناحية ومن ناحية أخرى فإن لها
علاقة وثيقة بالبرجوازية البيروقراطية
ال فلسطينية الموجودة في الحارج والتي لها
صالح كبيرة في الأردن، وهنا يكمن مصدر
الخطر على قضية الشعب الفلسطيني، أنه
ثالث خطر جداً: كوميترادور فلسطيني مرتبط
بالاحتلال + ارتباطه وضمن مشاريع اقتصادية
واضحة ومحدودة ومتخمة بالبرجوازية
البيروقراطية في الأجهزة الفلسطينية المختلفة
+ ارتباطهما معا بالبرجوازية الأردنية، وهذا
الثالث مرتبط بالبرجوازية النفطية
والامبريالية في نهاية المطاف، ففي قضية
الشرق الأوسط وقفت البرجوازية حائره بين
كونها حفيداً للامبريالية من ناحية وبين كونها
نعاى أو عادت الابن الآخر للامبريالية أي
المهيوبية والاحتلال الاسرائيلي. وهنا يكمن
ايضا سبب ابقاء باب المساومة مفتوحاً أمام
الحلول التي تحاول تجاوز حق الشعب
الفلسطيني في تقرير مصيره، وهذا يؤدى الى

حقيقة واضحة ايضاً مؤداها ان عدم تبني
فكر الطبقة العاملة يبقى المجال مفتوحاً
للمساومة مع الامبريالية وهنا يكمن جوهر
التراجمات الموجودة حالياً، والجانب الآخر
لهذه الحقيقة تأكيداً آخر لجوهر حركة
التحرر الوطني في العصر الحالي وهو انها
يجب ان تكون تقدميه وهذا بثبته حركات
التحرر الموجودة الآن في امريكا اللاتينية
وجنوب شرق اسيا وافريقيا ولن تكون فلسطين
خارج هذا الاطار ..

وفي حين ما زالت القرية تلعب دوراً
انتاجياً لا بأس به في المناطق المحتلة إلا ان
دور الزراعة يقل بسرعة كبيرة بسبب هجر
المزارعين للأرض للعمل في إسرائيل أو الهجرة
الى خارج الوطن المحتل، ومن المعروف ان
رخص المنتجات الزراعية وقلة الانتاج الزراعي
وزيادة تكاليف المعيشة يساعد على ترك
الزراعة والتوجه نحو العمل في إسرائيل
بالدرجة الاولى وهذا يؤدى الى انشاء جيش
كبير من اشباه البروليتاريا في المناطق
المحتلة ..

أما الفئات الوسطى الكثيرة العدد نسبياً
حالياً في الأراضي المحتلة فهي تقل تدريجياً
بقدر ما يندمج اقتصاد هذه المناطق بالاقتصاد
الاسرائيلي حيث لا مجال لوجود غير عمال
ومزارعين عرب في الاقتصاد الاسرائيلي. انني
لا اتخيل في المستقبل المنظور وجود موظفين
من الأراضي المحتلة في إسرائيل مثلاً.
أما الطبقة العاملة فهي تتناقص في
الأراضي المحتلة نفسها بسبب اغلاق مجالات
العمل المستمر وبسبب عدم فتح مجالات
جديدة كذلك وبسبب التزايد في عدد السكان
ومن ناحية أخرى يزداد وزن الجزء من هذه
الطبقة العامل في إسرائيل ويزداد حجمها
وهو يبلغ حالياً حوالي ١٠٠ ألف عامل بين
مسجل في مكاتب العمل أو غير مسجل ..

العاملة العديد من الطلبة ممن لم يتمكنوا من الخروج للتعليم بسبب الاحتلال وما ترتب عليه تم انتقال العديد من الفلاحين من العمل الزراعي الى صفوف الطبقة العاملة من خلال خروجهم للعمل في اسرائيل. الامر الذي ساهم في زيادة اعداد الطبقة العاملة بالنسبة لباقي المجتمع مما أدى الى احتلال الطبقة العاملة موقعا اجتماعيا أكثر بروزا وأهمية وأفرز ظروفًا موضوعية أدت الى تفرع امكانيات التنظيم النقابي وغيره وكذلك الى زيادة نسبة الوعي لدى هذه الطبقة، والاحصائية التالية تؤكد ان نسبة القوى العاملة الى مجموع السكان قد زادت الامر الذي يؤكد صحة الاستنتاج السابق ويدعمه:

س ٢ ما هي المميزات الخاصة للطبقة العاملة في المناطق المحتلة، وكيف يمكن مراقبة حجم وتركيب ودور هذه الطبقة؟

غسان الخطيب

فما دلالة هذه الأرقام السابقة على صعيد التركيب الاجتماعي؟

ان هذا لا يعني زيادة في حجم الطبقة العاملة ذاتيا بل يعني ان هذه الفترة شهدت نوعا من التنقل لدى بعض الشرائح الاجتماعية Social mobility في اتجاه الطبقة العاملة وهذا له تفسيره حيث استقطبت الطبقة

نسبتهم الى القوة البشرية في سن العمل من الذكور

القوى العاملة من الذكور

السنة

١٩٦٨	١٢٦٢٠٠	٥٧٪
١٩٧٠	١٥١٤٠٠	٦٢٪
١٩٧٢	١٧٢٥٠٠	٦٦,٢٪
١٩٧٦	١٧٧٩٠٠	٦٢٪

وليس هذا هو التغيير الوحيد فالاحصائية التالية ايضا تشير الى ازدياد تركيز العمال في مجالات انتاجية مثل الصناعة والبناء والمواصلات على حساب الزراعة. في مجموع المناطق المحتلة

السنة مجموع الطبقة الزراعية الصناعة البناء الخدمات المواصلات مرافق آخرون العاملة (الآلاف)

١٩٧٠	٩١٧	٢٤٢	١٢٦	٢١٧	٢٦	٣٨	٢٣١	٣٧
١٩٧٢	١١٤٧	٢٥٢	١٩٣	٣٢٣	٣٩	٤٧	٢٥٦	٤٧
١٩٧٣	١١٩	٢٢٠	٢٠١	٣٦٦	٣٨	٥٥	٢٥٣	٤٧
١٩٧٤	١٢٩٥	٢٢٦	٢١١	٤١١	٤١	٥٦	٢٥٩	٤٩
١٩٧٥	١٢٣٦	١٨٦	٢١٥	٤٢٤	٤٥	٥٩	٢٦٣	٤٤
١٩٧٦	١٢٦١	١٨١	٢٣٩	٤١	٥٣	٥٧	٢٧٢	٤٩

المصدر : المجموعة الاحصائية الاسرائيلية لعام ١٩٧٧ .

عام ١٩٧٥ امضوا فترة تزيد عن سنة واحدة لدى رب عمل واحد وكذلك فان ٣٢٨/ لم يغير رب العمل طوال فترة عملهم حتى ذلك التاريخ . . ملاحظة اخرى :

تفيدها المجموعة الاحصائية الاسرائيلية لعام ١٩٧٦ هي ان نسبة ٣٩٨/ من مجموع القوى العاملة في سن العمل هم دون ال (٤٥) سنة .

ان مجموع الملاحظات السابقة تعكس قضيتين هامتين على صعيد تقييم ودراسة وضع الطبقة العاملة الاول : اختلال التوازن الطبقي عدديا لصالح الطبقة العاملة . والثاني : تحسن مزايا البناء الداخلي للطبقة العاملة وتطور وعيها وتمركزها . وقد انعكست هاتان القضيتان في التوازن الاجتماعي - على صعيد الموقع الاجتماعي لكافة الطبقات الامر الذي ابرز مظاهر عديدة له من اهمها تغير ملموس في التوازن على صعيد الدور السياسي للطبقات المختلفة وهناك مؤشرات عديدة نأخذ بعض الامثلة عليها :-

(١) عندما انشئت لجنة التوجيه الوطني في الضفة الغربية وقطاع غزة لم تستطع ان تكون فعالة الا بضم ممثلين للنقابات العمالية من مختلفة مدن الضفة .

(٢) لاحظنا كيف كان للعمال دور رئيسي في المؤتمرات الشعبية التي ميزت النضال السياسي لسكان الضفة الغربية خاصة في مجال مقاومة مؤامرة كامب ديفيد والادارة الذاتية حيث كان لاتحاد النقابات كلمة رئيسية في كل من هذه المؤتمرات وكذلك الحال في البيانات السياسية والعرائض الامر الذي لم يكن بهذه الصورة في بداية الاحتلال .

(٣) اضطرار اصحاب العمل في كثير من الحالات لاعتماد النقابات كممثل معترف به للعمال في

وهذه الارقام تحمل دلالات كبيرة في مجال التطور النوعي في التركيب الداخلي للطبقة العاملة فازدياد العمال الصناعيين على حساب العمال الزراعيين يعني السير في اتجاه تجاوز امراض مثل عقلية المنتج الصغير والطابع البرجوازي الصغير (الفلاحي) في ذهنية الطبقة العاملة، وكذلك ما يؤديه هذا الوضع الى ضعف امكانيات التنظيم النقابي وسيادة العلاقات القبلية والعشائرية بين العاملين واصحاب العمل مما يميع الصراع الطبقي ويكرس بؤس الطبقة العاملة .

ملاحظة اخرى ميزت الطبقة العاملة في المرحلة الاخيرة هي تميز هذه الطبقة بارتفاع عدد المتعلمين فيها لدرجة كبيرة وهذه ليست مدفة بل ان الواقع السياسي أدى لظهورها ، فصعوبة الحصول على فرص دراسية للطلبة وصعوبة الظروف الاقتصادية لدى عائلاتهم وتوفر فرص العمل في اسرائيل تدفع العديد من الطلبة للالتحاق في المصانع الاسرائيلية . وهذه الاحصائية الصادرة عن الحكم العسكري تظهر ذلك .

العاملون في اسرائيل حسب سنوات الدراسة	اميون
نسبة ٢٠/	١٢٧٠٠٠ عامل
نسبة ٣٧/	٢٣٤٠٠٠ عامل
نسبة ١٤/	٩٠٠٠٠
نسبة ٢٨٠/	١٨٤٠٠٠
١٠٠/	٦٣٣٣
المجموع	

كما لا يفوتنا ان نذكر سمات اخرى جديدة ميزت الطبقة العاملة وتطورها مثل زيادة نسبة العمال الذين يستمرون في عملهم مدة طويلة نسبيا حيث يستفاد من الاحصائيات الحكومية الاسرائيلية ان ٦٠٪ من العاملين في اسرائيل

التفاوض لحل مشاكل العمال مثل اضراب عمال
السان جورج وشركة الكهرباء الامر الذي كان
يؤدي احيانا الى توقيع اتفاقيات عمل
جماعية مع النقابات بالنيابة عن جميع عمال
هذا الموقع الانتاجي او ذاك .

٤) تلعب الطبقة العاملة الفلسطينية بشكل
عام دورا رئيسا في التأثير على الاقتصاد
الاسرائيلي من حيث كون الضفة والقطاع سوقا
للبضائع الاسرائيلية ومن حيث دور القوى
العاملة الفلسطينية في واقع العملية الانتاجية
في الورش والمصانع الاسرائيلية ، وبسط مثال :
عندما وقع حادث الدبوبة في مدينة الخليل
فرضت السلطات العسكرية منع التجول لمدة
اسبوعين وهذا ادى الى تعطيل مصانع النسيج
"كتان ديمونة" عن العمل حيث يشغل في
هذا المصنع حوالي ٤٠٠ عامل من الخليل
وقراها الامر الذي ادى بصاحب المصنع
والشركة الى الاحتجاج على قرار منع التجول
وبالفعل احضروا باصات لنقل عمالهم والغى
نظام منع التجول عن المدينة .

عادل سمارة

الطبقة العاملة في المناطق المحتلة ،
ليست وليدة فترة وجود الاحتلال ، وان كانت
تغيرات واسعة قد جرت عليها خلال هذه الفترة
فهي وليدة العهد الاردني في الضفة الغربية
والعهد الناصري في قطاع غزة .

في العهد الاردني كان العمل النقابي
ضعيفا الى حد كبير الى جانب ضعف الوعي
النقابي نفسه ، وكانت معظم قيادات العمل
النقابي بايدي اصحاب العمل انفسهم ، علاوة
على خضوع النقابات لقانون العمل الاردني
الذي يصب في النهاية لصالح رب العمل .
هذا اضافة الى عجز النشاط الصناعي

حينذاك وقيام النظام بحصر المشروعات
الصناعية في الضفة الشرقية ، وأمام عجز النشاط
الصناعي وتخلفه ، كانت البطالة من ١٤-١٥
- ٢٠ ٪ في حين بلغت البطالة المقنعة بدد
١٩٦٥-٥٦ ٪ .

في ظل الاحتلال فان النقابات العمالية
قد تجاوزت هذا الوضع ، وتخلصت من قيادة
اصحاب العمل ، واخذت تصل الى مواقع العمل
وتوسع قاعدتها العمالية ، لكن هذا التوسع
اصطدم بعقبات فرضها الاحتلال كالملاحقة
والابعاد واغلاق النقابات . الخ .

وعموما ، فان المميزات الخاصة للطبقة
العاملة في المناطق المحتلة هي -

- توزيعها الجغرافي كما اشرنا سابقا . فهي
موزعة محليا الى ثلاثة اقسام ، هذا علاوة
على توزيعها الاقليمي في الاردن ، لبنان ،
الكويت ، وسائر اقطار الشتات . كل هذا
يلعب دورا بارزا وخطيرا في تفكيك
قدرتها الانتظامية والنضالية وتمزيق
وعيتها الطبقي وفقدانها لدورها السياسي

- توزيعها النقابي : فطالما هي موزعة
جغرافيا لا بد ان تتوزع مواقعها النقابية
القيادية وتفقد القدرة على الاستفادة من
القدرات والتجارب الخاصة بها ، نظرا
لتبعثر المراكز القيادية فيها .

- التوزيع القومي : - ان تبعثر المراكز
القيادية للطبقة العاملة الفلسطينية مرتبط
بالتبعثر البشري للشعب الفلسطيني ، ورغم
محاظة اجزاء هذه الطبقة على انتماؤها
القومي / السياسي ، الا انها لا تستطيع
ممارسة نضالها سياسيا موحدا بحكم عامل
التمزق

- الانقياد السياسي : - فان هذه التبعثرات

عامة، قادت الى فقدانها للدور القيادي في الساحة الفلسطينية بتعدد مواقعها لكي تتفوق عليها في ذلك البرجوازياتان الصغيرة والكبيرة ..

كما انها تعيش حالة تفصل موسعة، ففيها شريحة عمالية تعمل في العمل الاسود داخل اسرائيل سيات من المثلث او من الضفة والقطاع . مقابل شريحة تعمل في الزراعة المتطورة بهدف التصدير لاوروبا كالأغوار، مقابل شريحة عمال فنيين تعمل في دول البترول، وفي المناطق المحتلة نفسها شريحة العمال (الاثنين) الذين يعملون كعمال في اسرائيل والمناطق

المحتلة وكما زارعين في اراضيهم ايضا . كما اشرنا اعلاه، فان حجم الطبقة العاملة المحلية قد تزايد عدديا، بعد الاحتلال، الا ان هذا يبقى ناقصا اذا اغفلنا الاشارة الى ان الطبقة العاملة في المناطق المحتلة تشكل رافدا للطبقة العاملة الفلسطينية في الخارج من خلال نزيف الهجرات، وهذا ما يجمد الى حد كبير تزايدها العددي، أي ان حجمها النسبي تزايد بالمقارنة مع ذلك في العهد الاردني اما تزايدها المحلي فهو تزايد ضئيل ويصبح معدوما بل تناقصيا حين نرى توزيعها في العمل بين المناطق المحتلة نفسها والعمل داخل اسرائيل ..

العاملون من ١٤ سنة وما فوق من السكان وتوزيعهم على المناطق المحتلة واسرائيل

سنة	عاملون في الضفة والقطاع وسيناء	في اسرائيل	المجموع	نسبة العاملين في اسرائيل بالمئة
١٩٧٠	١٥٢٧	٢٠٦	١٧٣٣	١٣٤
١٩٧١	١٤٢٧	٣٣٨	١٧٦٨	٢٣٦
١٩٧٢	١٣٦٣	٥٢٤	١٨٨٧	٣٨٤
١٩٧٣	١٣٣٤	٦١٣	١٩٤٧	٤٥٩
١٩٧٤	١٤١٣	٦٨٧	٢١٠٠	٤٨٦
١٩٧٥	١٣٨٦	٦٦٣	٢٠٤٩	٤٧٨
١٩٧٦	١٤٠٩	٦٤٨	٢٠٥٧	٤٥٩
١٩٧٧	١٤١٥	٦٢٩	٢٠٤٤	٤٤٣
١٩٧٨	١٤٣٧	٦٨٢	٢١١٩	٤٧٤
١٩٧٩	١٣٨٣	٥٤١	٢١٢٤	٥٣٣
١٩٨٠	١٣٩٢	٥١٩	٢١١١	٥١٦

وهكذا فقد نقص عدد العاملين في المناطق المحتلة بنسبة ٦٣٪ خلال عشر سنوات، في حين ازداد عدد عمال هذه المناطق العاملين داخل اسرائيل بنسبة ٣٥٠٪ خلال الفترة نفسها. اما الزيادة العددية

العاملة لعدد العاملين في المناطق المحتلة ومنها في اسرائيل فكانت ٣٧٨٠٠ شخص فقط وهي زيادة بمقدار ٢٢٪ عن بداية الفترة المعطاه أي زيادة طفيفة، كما يلاحظ ان السنوات الثلاث الاخيرة من تلك الفترة كانت

كما يبين الجدول التالي توزيع العاملين حسب الجنس

الرجال	العدد الكلي	السنة
١٠٨٦	١٣٢٢٣	١٩٧٥
١٠٥٥	١٢٩٧٧	١٩٧٦
١٠٤٠	١٢٧٢٣	١٩٧٧
١٠٥٩	١٣١٨٥	١٩٧٨

(العدد بالآلاف)

فترة جامدة من حيث الزيادة الكلية في حين استمرت الزيادة في عدد العاملين داخل اسرائيل، وهذا دليل على ان الاستخدام المحلي للعمال في تناقص مستمر مما يعني تزايد نزيف الهجرات الى الخارج، والتسرب لاماكن العمل في اسرائيل ٠٠

هذا على الاساس العددي العام، أما على الاساس القطاعي، فيجرى توزيع المستخدمين في الضفة الغربية على النحو التالي :-

توزيع المستخدمين بالضفة الغربية

للعام ١٩٧٨

المجموع بالآلاف (٥)	١٣١٥٠٠٠
النسبة المئوية	(١٠٪)
اصحاب المهن العلمية مستقلون ومدراء وموظفون	= ١١٠٪
باعة ووكلاء	= ٩٥٪
عمال خدمات	= ٦٩٪
عمال زراعيون	= ٢٧٪
عمال مهنيون في الصناعة	= ٢٥٪
عمال آخرون في الصناعة	= ١٩٪

(عدد الشركات والورش في كل منطقة حسب الفئة العددية للعمال المستخدمين فيها)

٩-١	١٩-١٠	٢٠-٤٩	٥٠-٩٩	١٠٠ واكثر (٦)
٢٣١	٨	١٢	٤	١
٢٣٤	١٣	١٢	٢	١
٤٦٨	٢٦	١٢	-	٣
١٣٦	١	-	-	-
٤٤	٢	-	-	-
١٨١	٢	-	-	-
٧٣١	٣٢	٦	-	-
٣٤٩	٢١	١٤	-	-
٥٨	٢	٢	٢	-

رام الله
بيت لحم
نابلس
طولكرم
اريحا
جنين
الخليل
غزة
ضواحي القدس

الحرف والورش يسيطر على توزيع الطبقة العاملة في القطاع الصناعي أكثر من طابع العمل الصناعي المتطور ..
 أما عن العاملين بأجر في الضفة الغربية والذين يشكلون الهيكل العظمي للطبقة العاملة، مقارنة بالعاملين بأشكال أخرى فهناك الجدول التالي (٧) .

السنة	المجموع	العاملون بأجر	أصحاب عمل عاملون لحسابهم	دون أجر
١٩٧٠	١٤٦	٥٦٥	١٥	١٧٢
١٩٧٢	١٢٦٤	٧٣٠	٦٨	١٣١
١٩٧٥	١٣٢٣	٧٦٦	٥٠	١٥١
١٩٧٧	١٢٧٣	٧٤٠	٤٦	١٥٤
١٩٧٨	١٣١٥	٧٦١	٤٨	١٧٢

النسبة

١٩٧٠	٪١٠٠	٪٤٩٣	٪٩٢	٪٢٦٥	٪١٥٠
١٩٧٢	٪١٠٠	٪٥٧٧	٪٥٤	٪٢٦٥	٪١٠٤
١٩٧٥	٪١٠٠	٪٥٧٨	٪٣٨	٪٢٧٠	٪١١٤
١٩٧٧	٪١٠٠	٪٥٨١	٪٣٦	٪٢٦٢	٪١٢١
١٩٧٨	٪١٠٠	٪٥٧٩	٪٣٧	٪٢٥٤	٪١٣٠

أما العاملين لحسابهم فقط ظلوا على وضعهم تقريبا من حيث العدد والنسبة، بخلاف أصحاب العمل الذين استقطبت الهجرة من جهة والطبقة العاملة من جهة ثانية معظمهم، وربما استقطبت توسع المشاريع واتحاد بعضها مع البعض الآخر جزءا منهم .
 في إسرائيل بالمقابل، فإن فئة أرباب العمل هي الوحيدة التي تزايدت الى جانب تزايد العاملين بأجر (٩) فقد كانت نسبة أرباب العمل عام ١٩٧٠ تساوي ٣٧٪ من المجموع العام، أي ٤٥٩٠ شخصا، ارتفعت نسبتهم الى ٤١٪ أي ٥٠٨٠٤ شخصا، وذلك بين عامي ١٩٧٠-١٩٧٩ .

أما الجدول التالي، فهو بخلاف مدلولات الجداول السابقة يكشف عن الواقع والغرز

وهذا يوضح ان الغالبية العظمى للشركات والورش في المناطق المحتلة تستخدم من ٩-١٠ عمال وهي ٢٤٣٢ مكان عمل، في حين يصل عدد أماكن العمل التي تستخدم من ٥٠-٩٩ عاملا ٨ أماكن فقط . أما التي تستخدم ما يزيد على ١٠٠ عامل فهي ٤ أماكن عمل فقط وعليه فإن طابع العمل في

لقد ازداد عدد العاملين بأجر في الضفة الغربية من ٥٦٥٠٠ عام ١٩٧٠ الى ٧٦١٠٠ عام ١٩٧٨، وازدادت نسبتهم من ٤٩٣٪ الى ٥٧٩٪، بينما تتجاوز نسبة العاملين بأجر في إسرائيل كثيرا النسبة الموجودة لدينا (حيث كانت نسبة العاملين بأجر ٤٣٪ من قوة العمل بإسرائيل عام ١٩٥٥، وصلوا الى ٧٢٪ عام ١٩٦٥، ليقفزوا الى ٧٧٪ عام ١٩٧٩) (٨) . أما عدد أصحاب العمل فقد تناقص من ١٠٥٠٠ شخص الى ٤٨٠٠ شخص، وتناقص نسبيا بنفس القدر تقريبا حيث هبط من ٩٢٪ الى ٣٧٪ وهذا يعود الى التخريب المتزايد للصناعة في المناطق المحتلة عامة، علاوة على هجرة بعض أصحاب هذه المشاريع للخارج بحثا عن الربح الاوفر،

يخلو تقريبا من الانتظام النقابي، وهذا حساسية الوضع وانطلاق الاستقلال حتى آخره (رغم وجود الاحتلال).

الطبقين في قطاع الزراعة في الضفة الغربية المحتلة، ليؤكد بدوره على وجود الطبقات والفوارق الطبقية بشكل صارخ، وخاصة في قطاع

مداخل اصحاب المزارع واجور المستخدمين في الزراعة بالضفة الغربية لسنوات مختارة (١٠) والزيادة بملايين الليرات الاسرائيلية

١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
١١٣٦	١٤١٩	١٢٤٢٩	١٢١٨٠٩	٢١٨٠٩
١٢٠	١٧٥	٥٦٠	٧٩٢	١٠٣٩
١٠١٦	١٢٣٥	١١٨٦٩	١٣٠١٥	٢٠٧٧٠
وعليه فان نسبة حصة العمال الى المالكين تصبح كالتالي / بالمئة /				
١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
١١٨	١٤١	١٢٤	١٢١	٢١٨
٤٣٤	٣٥١	٣٠٣	١٣٠	٠٣٨

x x x x

خلاصة النتائج:-

ان التزايد العددي في اوساط الطبقة العاملة في المناطق المحتلة هو تزايد مبشر على المدى الواسع، ولكنه غير مستغل او يصعب ذلك على المدى القريب، سيما وان الوضع المبعثر للعاملين على اماكن عمل صغيرة ومتعددة يلعب دورا بارزا في هذا المجال وهو بدوره يشل امكانية النضال الاقتصادي للطبقة العاملة، بعكس التركيز في اماكن عمل تستخدم اعدادا كبيرة من العمال ..

الى جانب ذلك، فان العمال الزراعيين اكثر بعدا عن الانتظام النقابي، ان من حيث الاختصاص او من حيث تبعثر اماكن العمل رغم ان الاستغلال الواقع عليهم يفوق ما يقع على عمال الصناعة والخدمات ..

ويزيد الصورة بؤسا خسارة الطبقة العاملة المحلية لاية مشاركة قد يقوم بها العاملون في الخط الاخضر وخاصة عند معرفة حجمهم العددي من عمال المناطق المحتلة.

يرافق ما ذكر عدم ارتقاء علاقات العمل في المناطق المحتلة الى وجود عقود عمل واضحة وملزمة لارباب العمل الذين كثيرا ما يفصلوا العامل النقابي قبل ان يسمح له قانون العمل والعمال بأخذ حقوق عمل ..

وهناك اعدادا كبيرة من العمال العاملين في اسرائيل وفي المناطق نفسها ليسوا عمالا بأجر فقط، بل يمارسون الى جانب ذلك الاعمال الزراعية وهذا الوضع (الاثني) يعزل امكانية ادراجهم في اوساط الطبقة العاملة اذا وضعنا بالاعتبار التوجه العمالي نحو البلترة وبالتالي النضال العمالي بانواعه المختلفة ..

من جهة اخرى فان دور المرأة ما يزال محدودا في قطاع العمل المأجور، وهذا دليل ضعف في التركيز البنيوي للطبقة العاملة المحلية.

الى جانب كل ما ذكر هناك تزايد الهجرات المتواصل، والذي يتم بمعظمه على

قيام الدولة الفلسطينية. فلا شك ان وضع الطبقة العاملة سيكون أفضل منه في ظل الاردن، ولكن ليس بوسعنا التنبؤ الى أي مدى سلفا .

أياد البرغوثي

قلنا ان الطبقة العاملة تزداد حجما ونوعا بقدر ما يصح اقتصاد المناطق المحتلة مندما بالاقتصاد الاسرائيلي هذا اذا ما افترضنا عدم حدوث تغيرات سياسية حادة في المنطقة حول دون ارتباط العمال العرب بإسرائيل، انني عند الاحابة هنا افترض استمرار الوضع السياسي كما هو عليه الان . .

نصح الطبقة العاملة اذا هي الطبقة الرئيسية بقدر انخراطها في المجتمع الرأسمالي الاسرائيلي على ان الشاذ في الموضوع هنا ان القطب الاخر أي الطبقة الرئيسية المقابلة للطبقة العاملة الفلسطينية في الاراضي المحتلة لن يكون الرأسمالية الوطنية كما ينبغي ان يكون ولكن ذلك القطب هو الرأسمالية والاحتكارات الاسرائيلية . ومن هنا فان تحالف الطبقة العاملة

الفلسطينية في الاراضي المحتلة يعتبر استراتيجية مع الطبقة العاملة الاسرائيلية من حيث ان عدوها واحد وذلك في حال تخلص الاخيرة من انتماؤها المنحرف وتشوهها الايديولوجي الحاصل الان . ولا بد من التنويه هنا ان البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى اجمالا تزداد تقاربا من الطبقة العاملة في وضعها الاجتماعي وبالتالي لا بد لها ان ارادت ان تقي مستقبلها ان تتخذ مواقع هذه الطبقة فكرا وعملا، حيب-ان تبرجزها او على الاقل وقوفها كما هي الان مستحيل في ظل ظروف الاحتلال الاسرائيلي .

حساب الطبقة العاملة التي تفقد اعدادا من قطاع الشباب العمالي من جهة او دوى الاحتصاص المهني والفني من جهة ثانية . كما ان فقدان الطبقة العاملة المحلية لحريده عمالية خاصة بها تلعب دورا في التوعية الطبقة والاقتصادية والسياسية والنظرية للطبقة العاملة يعرقل الى حد كبير النضال النقابي، ويفتح مداخل اكثر لتشويه الوعي العمالي في المناطق المحتلة. ويمكن البرجوازية المحلية من عنق الطبقة العاملة .

x x x

واخيرا فانه اذا ما بقي الاحتلال، وعلى المدى البعيد فان اندماجا ما سيحدث بين البرجوازية المحلية وبرجوازية الاحتلال. لتكون البرجوازية المحلية شريكا ضعيفا، ولتجد نفسها وقد اندمجت من خلال الطوفان الاقتصادي (للمشاريع) الاسرائيلية الى المناطق المحتلة . .

اما اذا عاد النظام الاردني الى المناطق المحتلة فان دور البرجوازية الكبيرة سوف يتسع ويتزايد . والشئ نفسه اذا قامت دولة فلسطينية حيث سيتم العمل على فتح مشاريع صناعية وزراعية لتشغيل الايدي العاملة المحلية والقادمة . .

في حال بقاء الاحتلال، فان الطبقة العاملة المحلية سوف تزداد توسعا على الاساس العددي، ولكن مناخ الحريات النقابية لها سيظل محصورا ومن الواضح ان هذا الانحصار يخدم (المهستدروت) التي تشكل نقابة عمال رجعية وخاصة في علاقتها بالمناطق المحتلة، ولعل اوضح دليل على ذلك قراراتها وقيامها بانشاء مستوطنات في المناطق المحتلة . .

في حالة عودة الاردن، فلن يكون حال الطبقة العاملة المحلية باحسن من حال الطبقة نفسها داخل الاردن. اما في حالة

اما دورها فيزادا بسرعة أكبر حيث ان هذا الدور لا يتأثر فقط بحجم الطبقة العاملة بل بثورية فكر هذه الطبقة وبكونه الوحيد الذي يحقق المصالح الوطنية العاملة وحجم حلفائها في العالم . .

س ٣ ما هي مظاهر وحدة الطبقة العاملة في المناطق المحتلة ، وعلى اية اسس ينبغي تفسير الاختلاف في تعبيراتها التنظيمية والقيادية ؟

جورج حزبون

هناك محاولات كثيرة ودائمة لنفي وحدة الطبقة العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة ولطمس مظاهر هذه الوحدة ، ويصل الامر احيانا الى نفي وجود الطبقة العاملة اصلا ونفي اية مظاهر للتمايز والصراع الطبقي .

وفي الواقع فان التطرق الى موضوع الطبقة العاملة وعوامل وحدتها ، ترتبه بالتعقيد الخاص الذي نشأت في ظله هذه الطبقة وطابع التباعد الجغرافي الذي كان قائما قبل عام ٦٧ .

لقد كانت الضفة الغربية معزولة عن الناحية السياسية ومن حيث مستوى التطور وطابع العلاقات الاقتصادية ، وعن قطاع غزة الذي كان خاضعا للسلطة المصرية ويعيش ظروفا مغايرة للاردن .

الا ان هذا الانعزال الجغرافي والسياسي وعدم الخضوع لاية وحدة في عملية الانتاج قد بدأ بالتلاشي منذ الاحتلال ٦٧ ، ويتسارع في السنوات الاخيرة بشكل واضح .

ان خضوع الجماهير الفقيرة من العمال العرب في الضفة والقطاع لعلاقات الانتاج الرأسمالية في اسرائيل ، وحدت في الحقيقة من خضوعهم لنفس الشروط الملازمة للعمل

شيء اخر مزعج في وضع الطبقة العاملة هنا هو قضية التحالفات التي تمارسها هذه الطبقة ، فالموقف المبدئي للطبقة العاملة ولممثليها هو تحالفهم مع طبقات وفئات اجتماعية عريضة خاصة اذا ما تعلق ذلك بموقف وطني ، على انه وضمن التحليل عن مواقف الطبقات المختلفة وحيث وجدنا ان الطابع الكومبرادوري يغلب على برجوازيتنا الوطنية وطابع الارتباط ببرجوازيات مجاورة يغلب حتى على جزء لا بأس به من الفئات الوسطى هنا ، فان الطبقة العاملة كثيرا ما تجد نفسها في تحالف او على الاقل في حوار مع اعدائها الطبقيين ومن هنا ينبع خيبة امليها المتكررة في الكثير من حلفائها . .

وبالنسبة لخلق وعي طبقي لدى الطبقة العاملة الفلسطينية فلا بد من الاشارة الى ان ذلك الوعي قد بدأ سياسيا بسبب ظروف القضية الوطنية وأخذ يمتد ببطء شديد نحو شكله الاقتصادي وذلك بعكس العملية الطبيعية التي تحتم البدء بالمطالب اليومية الاقتصادية ومن ثم تتطور لتأخذ بعدا سياسيا . وبالطبع فان مستوى النضال الاقتصادي والسياسي للطبقة العاملة ما زال متواضعا حيث ان ذلك النضال يتركز حول الوجود والعيش وايجاد العمل نفسه قبل ان يلجأوا الى المطالبة بالتحسين .

صفة اخرى للطبقة العاملة الفلسطينية هو مد الطبقة العاملة باعداد متزايدة من فئات اجتماعية اخرى مثل الفلاحين والمثقفين والموظفين وهذا يؤثر بالطبع على انتاجية العمال من ناحية كونهم يعملون اكثر من عمل ومن ناحية اخرى يؤثر على سيكولوجيتهم لعدم كونهم عمالا اصلين . .

على ان الحقيقة التي لا يمكن انكارها هو ان حجم ووزن هذه الطبقة يزدادا باستمرار

اسرائيل سواء من الضفة او القطاع واحدة، ولذلك فان القانون الموحد هو في الواقع المصلحة والمطالب اليومية الموحدة لأكثر من ٢٩ ألف عامل في اسرائيل .

ان هذا المظهر قد يبدو غير كاف، حيث ان جزءا كبيرا من الطبقة العاملة يعمل في الضفة والقطاع، أى في الصناعات والورشات المحلية. وبرغم الفوارق الثانوية، الا ان خضوع الضفة والقطاع للسيطرة واللاحق الاقتصادي الاسرائيلي قد حول صناعاتها واسواقها الى تابع ملحق للالية الاقتصادية في اسرائيل، أى عمليا الى سيطرة علاقات انتاج واحدة تحرك المجتمع الاسرائيلي، الامر الذي يجرف بشكل متفاوت نسبيا كل الحركة الاقتصادية في الضفة والقطاع معا، وبهذا فان اللاحق الاقتصادي مظهر عام كذلك الخضوع للمنافسة غير المتكافئة مع المصنوعات الاسرائيلية وحجم الضرائب الباهظ على الصناعات المحلية، والتضيقات امام توسيع عملية الاستثمار في الضفة والقطاع فضلا عن ضرب عدد من الصناعات الوطنية بشكل مكشوف وواضح

ان هذه الظروف تترك العاملين بأجر تحت مؤثرات متشابهة خاضعة لالية انتاج واحدة بحيث تتفاوت المصالح المباشرة للعامل وتتأثر من خلال مؤثرات اقتصادية وسياسية واحدة برغم الانفصال الجغرافي ضفة وقطاع .

ان هذا كله في رأيي جانب اساسي في ملاحظة وحدة الطبقة العاملة في الضفة والقطاع .

ويتكامل هذا الجزء في حقيقة المطلب السياسي والوطني الواحد وهو النضال ضد الاحتلال ومن اجل الدولة الفلسطينية المستقلة، ان انجاز اي تقدم فعلي ليس على المستوى الانبي فقط وانما لمصالح تطور قضية

ولنفس الاشكال من الاضطهاد الماحور والطبقي والقومي الذي يتعرضون له يوميا . وزعم الاختلاف في نسب التجمع في اماكن العمل، او مدى الاختلاط بين عمال قطاع غزة والضفة في مكان عمل واحد فان هذا لا يعني على الاطلاق عدم وحدة الطبقة العاملة، فالمسألة قبل كل هذا مرتبطة بالموقع في العملية الانتاجية وهل تخضع هذه الطبقة لنفس شروط العمل ام لا، وبالتالي هل يتكون لها في خضم هذه العملية مصالح مشتركة واهداف مشتركة - ونضالات مشتركة ام لا ؟ . اننا نستطيع الملاحظة وبدقة ان لا فارق نوعي على الاطلاق بين العمال في الضفة او القطاع بل هناك تشابهها ملموسا وخضوعا لنفس شروط العمل واساليب الاضطهاد التي يتعرض لها العمال العرب في اسرائيل سواء اكانوا من الضفة الغربية او قطاع غزة (وللملاحظة هنا فان هذا لا ينطبق بنفس الصورة على العمال العرب من اسرائيل حيث يتمتع هؤلاء بحقوق وقوانين عمل مختلفة و متميزة جدا) .

فالعمال العرب يعانون دون ان تميز بين ضفة وقطاع من اقتطاع مبالغ طائلة من اجورهم لمصالح خدمات لا يتلقونها كذلك يعاني العمال العرب بنفس المقدار من الاضطهاد المزدوج القومي والطبقي، كما يحرم هؤلاء من السكن داخل الخط الاخضر، فضلا عن التناقض في الخدمات والتأمين والامتيازات الضرورية، كذلك يتجلى الامر في طبيعة الاعمال التي يقوم بها هذا القطاع الضخم والمتركة اساسا في قطاع البناء مثلا .

انه على الرغم من أن هناك قانونين للعمل اردني ومصري حتى الان، واتحاديين منفصلين للنقابات في الضفة وقطاع غزة، الا ان هذا لا يبرهن على عدم وحدة الطبقة العاملة، لان المطالب الفعلية للعمال العرب العاملين في

التقدم الاجتماعي للطبقة العاملة يرتبط تماما في الاخلاص لهدف الاستقلال الوطني في اقامة الدولة المستقلة في الضفة والقطاع .

صحيح ان هذا الهدف لا يقتصر على الطبقة العاملة وحدها، الا انها اكثر الطبقات مصلحة فيه واستعداده للنضال من اجله، ان قضية ازالة الاحتلال امام فئات مختلفة من البرجوازية قد تعني الارتباط بالاردن، الا انه لا مصلحة على الاطلاق للطبقة العاملة في هذا الحل .

ان ادراك هذا (الجانب السياسي والطبقي) لا يمكن ان يتضح من التخمينات ، انه بالدرجة الاولى مرتبط بدور الطليعة السياسية للطبقة العاملة، ولقد حسمت الحياة السياسية في الساحة الفلسطينية حقيقة الوحدة في مصالح الطبقة العاملة الفلسطينية في الضفة والقطاع وفي كافة مواقع الشتات الفلسطيني، وذلك من خلال صدق شعارات وتنامي دور حزبها السياسي .

فالشعار المركزي الذي يميز الان برنامج الحركة الفلسطينية، في الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة والقطاع . كان الشيوعيون اول من رفعوا في الساحة الفلسطينية باعتباره يوء من اهداف النضال الوطني الفلسطيني وباعتباره المدخل لتحقيق المصالح الجذرية للطبقة العاملة وجماهير الكادحين، كما ان التنامي في حجم الطبقة العاملة الفلسطينية وملاحظة الشيوعيين لوحدة مصالحها وازدياد دورها في الكفاح الوطني، انعكس في انشاء اداتها السياسية، لتعبّر عن المصالح الجذرية الاساسية للطبقة العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة وفي كافة مواقع الشتات الفلسطيني وذلك من خلال تأسيس حزبها الشيوعي الفلسطيني في شباط ٨٢ وتحت شعارات " من اجل التحرر الوطني والديمقراطية والاشتراكية ."

صحيح ان هناك عددا من التنظيمات التي تتبنى الماركسية في الساحة الفلسطينية ولكن من الخطأ بحراة مصالح الطبقة العاملة على مجموع هذه التنظيمات فهذا يتناقض من الاساس مع الماركسية، لان ذلك يعني واحدا من امرين : اما ان هناك وحدة في مصالح الطبقة العاملة وهذا يعني ان تعدد تنظيماتها يظل قضية ذاتية مرتبطة بهذه التنظيمات ومدى اقتراب كل منها من تمثيل مصالح الطبقة العاملة وابتعادا بالتالي عن الانتهازية كما يقول لينين ، واما ان مصالح الطبقة العاملة الفلسطينية مجزأة من حيث الاساس ولا وحدة فيها .

مما يلغي الحق في وجود أي حركة ماركسية أصلا بصفتها ممثلة لمصالح الطبقة العاملة، وهناك عنصر اساسي وعام لدى الحديث عن وحدة الطبقة العاملة، حيث لا يسكنا تناول هذه القضية بمعزل عن التخريب الايديولوجي الذي تمارسه البرجوازية والحركة الانتهازية لشق وضرب وحدة الطبقة العاملة، ان هذه المسألة المعروفة كلاسيكيا والمنطلقة بتأثير وتحريض البرجوازية، والمغروزة الان في العديد من البلدان الرأسمالية على شكل الاحزاب العمالية والنقابات الإصلاحية، ان هذه المسألة والتي لا تعكس الانقسام في مصلحة الطبقة العاملة الموحدة ، تشير الى حجم التخريب الذي تستطيع ان تقوم به البرجوازية ضد الطبقة العاملة .

وفي المناطق المحتلة فقط كمن الخـلاف دائما في ترب ذهنية البرجوازية الصغيرة الى صفوف الطبقة العاملة سواء النزعة الإصلاحية او الانتهازية او النزق اليساري وحتى كبار الملاكين واصحاب المؤسسات الصناعية اهتموا بالتدخل في الحركة النقابية فعلى سبيل المثال لا الحصر

كانت نتيجة انتخابات نقابة المؤسسات العامة بنابلس تتقرر من خلال مصنع الزيوت في نابلس وهكذا وان كان هذا الحال نقابيا فلماذا لا يكون كذلك في الاطر التنظيمية المختلفة. مثال اخر اضراب عمال شركة كهرباء القدس العتيد ابرز بوضوح مواقف الاطر المختلفة للطبقة العاملة وان انطلقت جميعها من موقف علني يؤيد الاضراب الا ان بعضها ومن اللحظة الاولى اتخذ موقفا مساوميا وانتهازيا الخ.. وهذه الذهنية تنزع للهيمنة والفردية وتخشى الديمقراطية وهكذا نجد ان في الضفة الغربية اتحادين للعمال مثلا واربعة او خمسة للمرأة وغيره.

وهذه المظاهر برغم سلبياتها لا تشير الى تشتت وانعدام وحدة الطبقة العاملة وانما مسلكا انتهازيا ضارا بالحركة العمالية.

سليم تماري

١- كيف يمكن تحديد الخريطة الطبقيّة لـ مختلف القوى والطبقات الاجتماعية ، الان وفي اى اتجاه يجرى التغير في التناسب بين القوى الطبقيّة واتجاهات تطور مختلف هذه الطبقات ؟

١ التغيرات في الخريطة الطبقيّة للمناطق المحتلة يمكن تلخيصها فيما يلي :
١ - تدني نسبة العاملين في القطاع الزراعي نتيجة انجذابهم لقطاعات أخرى ، ونتيجة الضغط الديموغرافي على الملكية الصغيرة ومصادرة الاراضي .

ب - انحراط عشرات الالاف من سكان المخيمات والريف في العمل المأجور في اسرائيل ..

ج - هجرة الالاف من الاكاديميين ، والمهنيين والعمال المهنيين الى خارج الضفة (الاردن والخليج بالدرجة الاولى) ..

د - ازدياد نسبة ملحوظة (بالرغم من كونها ضئيلة نسبيا) من النساء في العمل المأجور والوظائف - خصوصا في الشرائح المتوسطة وبين المثقفين .

بالنسبة لتغيرات داخل عمالة الطبقة العمالية هنالك نزعة ثابتة لبقاء ما يقرب نصف العمال العرب المأجورين في اسرائيل وحوالي ١٥٪ منهم في الضفة والقطاع للعمل في قطاع البناء ، بينما بدأت نزعة العاملين العرب في القطاع الصناعي في اسرائيل تزداد من ١٠٪ (عام ١٩٧٠) الى ان وصلت حوالي ٢٠٪ من العاملين (عام ١٩٨٠) وذلك على حساب العمالة في قطاعات الزراعة والبناء ، الا ان هذه النسبة توقفت عن الزيادة، بل اصابها بعض التقلص ، بعد عام ١٩٨٠ - ولا يمكن التكهن بمستقبلها بدقة على ضوء الاحصائية الموجودة . اما في الضفة فقد بقي نسبة العاملين في القطاع الصناعي ضمن ال ١٥٪ من مجموع العاملين بدون أن تتغير اطلاقا خلال سنين الاحتلال ، وذلك يعكس ربما عدم وجود تربة سياسية مواتية للاستثمارات الرأسمالية في المناطق المحتلة .

س ٢ ما هي المميزات الخاصة للطبقة العاملة في المناطق المحتلة ، وكيف يمكن مراقبة حجم وتركيب ودور هذه الطبقة؟

أهم ميزة للطبقة العاملة في الضفة والقطاع تقع في أن أكثر من ثلث القوى العاملة، ونصف العمال المأجورين تقريبا

(٨٥٠٠٠ عامل حسب الاحصاءات الرسمية) يعملون خارج المنطقة في المشاريع الاسرائيلية فاذا استثنينا العمال المهاجرين الى الخارج تكون هذه اعلى نسبة للعمالة الخارجية في العالم ولا يمكن مقارنة هذه الوضع الا مع وضع الاستخدام السائد حاليا في جنوب افريقيا .

هذا الوضع الفريد يضع مهمات صعبة ودقيقة على أى تنظيم نقابي يركز الى قوانين واسس تنظيم وحدة الطبقة العاملة مهما كان مكان عملها طالما كانت اجزائها المكونة خاضعة لنفس السلطة السياسية (وهي سلطة الدولة الاسرائيلية - بجناحيها المدني والعسكري) -

س ٣ ما هي مظاهر وحدة الطبقة العاملة في المناطق المحتلة ، وعلى أية اسس ينبغي تفسير الاختلاف في تغييراتها التنظيمية والنقابية ؟

اشرنا اعلاه الى بعض هذه الميزات ونضيف هنا

١ - ان الفرق النسبي في اجور العمال العرب في اسرائيل واجورهم في المناطق المحتلة أخذ في التقلص التدريجي بعد منتصف سنوات السبعين ، بحيث اختفى الحافز المادى "للهجرة الداخلية" - الا ان هذا التقلص لم يرافقه ازدياد فرص العمل داخل المناطق المحتلة لاسباب واضحة ، وعليه فان نسبة العمال العرب في اسرائيل ازدادت ولم تنتقص حتى بعد ان بدأت اجورهم في التدني من حيث القيمة الشرائية . .

ب - لا زالت الطبقة العاملة الفلسطينية في اسرائيل (وهنا نستثني عرب الجليل) تتميز في التفتت وغياب التنظيم النقابي لها سبب التفتت الرئيسي هو هيمنة الاستخدام في قطاع البناء والذي يتميز بنفضيله العمال الريفيين غير المهرة - وانتقال مجموعة المستخدمين من مركز عمل الى آخر بدون ان يكتسبوا حقوق وامتيازات ثابتة في وظائفهم

ج - لا زالت نسبة كبيرة من العمال الفلسطينيين في اسرائيل (تتراوح بين الثلث والنصف) غير مسجلة في مكاتب العمل - وهذا يعني انها محرومة من امتيازات الاجازات المرضية والتقاعد والعناية الصحية الخ ، ولا شك هذا العمل "الغير قانوني" تشجع عليه السلطات الاسرائيلية لما يجنيه اصحاب العمل والحكومة من فائدة نتيجته - فهم غير مضطرين لدفع بدل اجازات وتأمين صحي الخ. كما ان العامل نفسه يساهم في هذا الوضع المعاشي المتدني وذلك لمحاولته انجاز مكاسب آنية في اجره مقابل الحصول على عند مباشر (عادة شفهي) مع المفاوض او صاحب العمل .

د - يدفع العامل نسبة كبيرة من دخله ووقته في عملية المواصلات من مكان عمله الى مراكز الاستخدام في اسرائيل قد تصل الى ٤٠٪ من دخله الاجمالي - وهذه قضية جديرا بالاهتمام النقابي والتنظيمي السريع . .

س ٤ ما هي الظروف والمصبرات الخاصة
للعمال العرب العاملين في اسرائيل ؟

جورج حزبون

الرسمية والشركات عن طريق مكاتب الاستخدام
بأقل مما يعطية القانون الاردني الساري
بالضفة ناهيك عن تشغيل الاطفال والنساء
دون مراعاة الاعتبارات الصحية والقانونية .

اياذ البرغوثي

أ - العمال العرب في اسرائيل اول من
يتأثر واكثر من يتأثر بالازمات الاقتصادية
التي تعش في النظام الاقتصادي الاسرائيلي
بمعنى ان التقليلات الضرورية لاي مصنع
او مصلحة تكون دائما على حساب الشغيلة
العرب وذلك لسبب عنصري اي سياسة التمييز
ضد العرب وبسبب ان طرد العربي اسهل لانه
لا يسبب مشاكل مهنية او قضائية او نقابية .

ب - العمال العرب يعملون اسوأ واقدر
الاعمال في اسرائيل وهم بذلك يحلون مكان
اليهود الشرقيين .

ج - صعوبة انتمائهم للنقابات فمن
ناحية لا يستطيعون الانتساب للهستدروت
لاسباب وطنية وحقوقية من ناحية ومن ناحية
اخرى فان انتماءهم للنقابات المحلية لن
يكون مجديا بالشكل المطلوب بسبب عدم
اعتراف اصحاب العمل الاسرائيليين بهذه
النقابات .

د - صحيح ان يوم العمل هو ٨ ساعات
ولكن يوم العامل العربي يقارب ١٢ ساعة
بسبب قضاء اوقات طويلة في الطريق وبسبب
منعه من السكن في اماكن عمله وهذا بالطبع
يجر مشاكل صحية ونفسية واجتماعية كبيرة .

ه - الارهاب الذي يتعرض له العامل
العربي عند حدوث انفجار او أي مشكلة في
الخارج حيث يتعرضون للاعتقال والتفتيش
واعمال الانتقام من جانب المتطرفين اليهود .
و - مشكلة الاغتراب الطبقي والقومي التي

ظروف عمل عمالنا بالداخل تشبه الى
حد بعيد انظمة الابارتهايد " في افريقيا فكما
هو معروف غير مسموح لهم بالمبيت في اماكن
عملهم وغير متوفر لهم اي ضمان قانوني خاصة
العاملين خارج مكاتب الاستخدام ولقد بلغت
نسبة عمالنا في اسرائيل ٦٥٪ من مجموع قوة
العمل في اسرائيل وذلك عام ١٩٨٢ وحسب
الاحصاء الرسمي ومع هذا تحاول الهستدروت
استغلال احيائهم للعمل استغلالا سياسيا

عن طريق الدائرة العربية فيها والضرائب
تجبي منهم ولا يقدم لهم أي بديل حتى ان
اجورهم اقل من العامل اليهودي وان كان في
نفس العمل حتى العامل العربي منذ عام
١٩٤٨ لا يحصل على نفس حقوق العامل
اليهودي الاسرائيلي الذي بمجرد التحاقه
بالعمل يحصل على اقدمية ثلاث سنوات
باعتباره خدما في الجيش !

وبالنظر للاحصاءات الواردة في السجل
الرسمي لعام ١٩٨٢ نلاحظ ان عمالنا فقط
يعملون في المهن الشاقة والمرهقة فنسبة
٤٩٪ في البناء ١٨٪ في الصناعة غير
المنية ١٣٪ في الزراعة ١٨٪ / اعمال
مفرقة . .

وعلى العموم لا يوجد قانون عمل محدد
يعملون بموجبه وكثيرة جدا هي الحالات التي
جرى فيها التنكر لحقوقهم وتعويض الخدمة
والاجازات التي تمنح للعمالين في المؤسسات

يعيشها العامل العربي والذي يزداد عمقا مع
 أى انتصار .
 ز - تدني الاجرة مقارنة بالعامل اليهودي
 ع - احتقار صاحب العمل الاسرائيلي
 للعمال العرب ..

عادل سمارة

يمتص الاقتصاد الاسرائيلي اعدادا متزايدة
 من عمال المناطق المحتلة للعمل فيه رغم
 عدم تحسن ظروف وشروط العمل هناك، ورغم
 الاستغلال المزدوج والمفارقاة المتعلقة
 باستغلالهم هناك مثل -

- خضوعهم للاستغلال الطبقي
- خضوعهم للاستغلال القومي .
- قيامهم بالعمل داخل اسرائيل، أى خارج
 مكان وجودهم مما ينفي دورهم الطبقي
- قيامهم بالعمل في المستوطنات الجديدة
 بالضفة والقطاع .
- اشتغال الصبية في مواقع العمل الاسرائيلية
- عدم تساوى الاجور مع نظرائهم الاسرائيليين
- عدم تساوى الخدمات مع نظرائهم
 الاسرائيليين
- دور الهستدروت الرجعي ضدهم .

كل هذه لا تغطي الجوانب السوداء في
 ظروف عمل عمال المناطق المحتلة داخل
 اسرائيل وليس امامنا هنا الفرصة الكافية
 لمعالجة الامر تفصيلا، ولذا سنتناول الامر
 باختصار شديد ..

x x x

بلغ عدد السكان في المناطق المحتلة
 عام ١٩٨٠ والذين في عمر ١٤ عاما فما فوق
 ٦٤٣٨٠٠ شخصا منهم في قوة العمل
 ٢١٣٧٠٠ شخصا، أى حوالي ٣٣,٢٪ من

العدد المذكور، وبلغ عدد الذين يعملون
 في اسرائيل من الذين يمارسون العمل عاطة
 ٧١٩٠٠، أى حوالي ثلث قوة العمل هذه
 دعنا نقول اذن ان ثلث من يمارسون
 العمل في المناطق المحتلة، ثلث الطبقة
 العاملة تعمل داخل اسرائيل، ولا تربطها أية
 صلة نضالية (طبقية) مع اصلها في المناطق
 المحتلة ولا مع عمال المثلث والجليل، أى ان
 الطبقة العاملة في المناطق المحتلة مجزأة في
 الضفة من جهة، وفي القطاع من جهة ثانية
 وان كل جزء من هذين هو جزأين أيضا حيث
 يعمل جزء من عمال الضفة داخل اسرائيل
 وكذلك جزء من عمال القطاع .

من جهة ثانية فان التقدير أى ثلث
 الطبقة العاملة (١١) يعمل داخل اسرائيل
 ليس الا تقديرا متواضعا وهو التقدير
 الاسرائيلي الرسمي، بل احد التقديران
 الاسرائيليين الا ان هذا المصدر ومختلف
 المصادر الاسرائيلية الاخرى تهمل الاعداد
 الكبيرة للعمال غير المسجلين في مكاتب
 الاستخدام الاسرائيلية الموجودة في المناطق
 المحتلة، والذين يتجاوزون ٢٠٪ من العمال
 المسجلين، ويسكن معظم هؤلاء الفئرة
 الحدودية هذا ناهيك عن ان هؤلاء محرومين
 حتى من الحقوق الشكلية للعمال المسجلين
 وبين هؤلاء غير المسجلين اكثرية من الصبية
 وخاصة طلبة المدارس في العطلة الصيفية،
 وحتى في العطلات القصيرة خلال السنة
 الدراسية (١٢) .

تبلغ نسبة العاملين داخل الضفة الغربية
 في قطاعي الزراعة والبناء من مجموع العاملين
 ٥٢٪ في حين تبلغ نسبة العاملين في قطاع
 البناء وحده من عاملنا باسرائيل ٥٦٪ وفي
 الزراعة ١١٪ وهذا يوضح النسبة العالية من
 عاملنا هناك العاملين في قطاعات العمل

المختلفة. كما ان نسبة العاملين من المناطق المحتلة داخل اسرائيل الى العدد الكلي للعاملين الاسرائيليين تساوى ٥/ فقط ، في حين ان نسبة هؤلاء العاملين من المناطق المحتلة الى العاملين الاسرائيليين في قطاع البناء تساوى ٣٠/ ١١١؟

ومع ان المقنطع من اجور عمالنا باسرائيل مساو لما يقنطع من اجور العمال الاسرائيليين انفسهم الا ان الخدمات المقدمة لهم شكلية جدا ولعل اوضح مثال على ذلك التأمين الصحي والخدمات التافهة في العلاج والمستشفيات ..

اما الهستدروت ، فبدل ان تدافع عن حقوق العمال الفلسطينيين على اعتبار انها (نقابة عمال) تحاول سرقة المبالغ المقنطعة من اجورهم والمشاركة منذ عام ١٩٦٧ ، كما انها تشارك في اعمال الاستيطان في المناطق المحتلة ..

x x x

اللوحات التالية هي ملخص استثمار عن قرية في الضفة الغربية (تعتبر نتائجها صالحة للتصميم على وضع المناطق المحتلة وانما نوردتها لاعطاء صورة رقمية عن) :-

(١) الحجم العددي للعاملين في اسرائيل .
(٢) ان العاملين في اسرائيل من الفئات الشابة
(٣) ان العاملين في المناطق المحتلة من القرية اقل عددا ، واكثر من حيث متوسط العمر

(٤) ان العاملين في الزراعة من نفس القرية هم من فئة اعمار متقدمة جدا وان معظمهم أميين ..

(٥) ان قسما كبيرا من المزارعين تركوا الزراعة ، وباعوا دواب الحراثة ،

(٦) ان ابناء المزارعين القدامى لم يتحولوا للزراعة بل للعمل في اسرائيل

(٧) ان العدد الكبير للعاملين في اسرائيل والعاملين في المناطق المحتلة من القرية شاهد على (بلترة) عدد كبير من سكان القرية ، لكنه شاهد كذلك على تخريب الزراعة .

قرية بيت عور الفوقا . منطقة رام الله .
عدد السكان الحقيقيين = ٤١٠
عدد المهاجرين الى الاردن = ٢٠٠
عدد المغتربين في الامريكتين
وسائر اقطار العالم = ١٠٠

الذين يعملون في اسرائيل من السكان المقيمين من العدد الكلي

فئات العمر	العدد	التعليم	العدد	يملك حيوان للحرث	لا يملك كان يملك
اقل من ٢ عاما	٨	امي	٢	٤	٣٠ ٣
٢٥-٢٠	٩	ابتدائي	١١		
٣٠-٢٥	٨	اعدادي	١٣		
٣٥-٣٠	٨	ثانوي	٩		
٤٠-٣٥	٢	جامعي	٢		
٤٥-٤٠	٢				

الذين يعملون في المناطق المحتلة من السكان المقيمين
فئات العمر العدد التعليم العدد يملك لا يملك كان يملك حيوان

أقل من ٢٠ عاماً	١	امي	٠	١	×	×
أقل من ٢٥ -	٥	ابتدائي	٣			
أقل من ٣٠ -	٥	اعدادي	١٠			
أقل من ٣٥ -	٤	ثانوي	٥			
أقل من ٤٠ -	٣	جامعي	١			
أقل من ٤٥	١					

فئات العمر	العدد	التعليم	العدد	موظفون في المناطق المحتلة		
أقل من ٣٠	٢	امي	١			
أقل من ٣٥	١	ابتدائي	×			
أقل من ٤٠	١	اعدادي	×			
أقل من ٤٥	×	ثانوي	١			
أقل من ٥٥	×	جامعي	٣			
أقل من ٦٠	١					

فئات العمر	العدد	التعليم	العدد	يعمل في الزراعة فقط ويملك حيوان للحرث		
أقل من ٢٥	١	امي	١٤			
أقل من ٣٠	-	ابتدائي	٢			
أقل من ٣٥	-	اعدادي	١			
أقل من ٤٠	-					
أقل من ٤٥	-					
أقل من ٥٠	١					
أقل من ٥٥	٣					
أقل من ٦٠	٣					
أقل من ٦٥	٥					
أكثر من ٦٥	٤					

ملاحظة :-

هناك ٦ مزارعين آخرين كانوا يملكون حيوان للحرث بعد دخول الاحتلال .

وجمعيات العمال العرب في فلسطين " وكذلك
"جمعية العمال العربية في فلسطين التي
ازدهرت عدديا الى حد هائل. وفي عام
١٩٤٤ حصل اتحاد نقابات وجمعيات العمال
العربية على رخصة لاصدار جريدة "الاتحاد"
التي لعبت دورا كفاعيا في توجيه النضال
الوطني للعمال وفي عام ١٩٤٣ عقد العمال
العرب في فلسطين مؤتمرا لجمعية العمال
العرب الفلسطينية كرس لبحث مشكلة الاجور
وفروقها بين العرب واليهود وفي سنة ١٩٤٥
عقد مؤتمرا آخر في نابلس طالب بحرية الفكر
والنشر والتنظيم النقابي ورفع الرقابة السياسية
وكذلك طالب بتحسين الاوضاع المعيشية للعمال
والاعتراف بالنقابات وكان هذا المؤتمر بمثابة
توحيد للحركة النقابية والعمالية التي اصبح
يتطور فيها جناح يساري وآخر اصلاحي وقد
ساهم ذلك في تطور الوعي الطبقي وتمثل
ذلك في اضراب ١٩٤٦ الذي شمل كافة عمال
وموظفي الحكومة تلاه اضراب شركة بترو
العراق وعمال المعسكرات. هذا وقد شهدت
سنتا ما قبل قيام اسرائيل مجموعة مؤتمرات
عمالية ابرزها المؤتمر الثالث المنعقد سنة
١٩٤٧ الذي تميز بالتركيز على الاوضاع
السياسية في البلاد (١).

وكما هو واضح من التسلسل التاريخي
السابق فقد مرت الحركة العمالية قبل ١٩٤٨
بازدهار خاصة على صعيد التنظيم النقابي
الامر الذي ساهم في رفع عملية التبلور
الطبيعي الى الامام كما ظهرت آثار هذا التطور
في التغيير الملحوظ في الوضع الاقتصادي
والاجتماعي حيث لعب الوعي دوره في هذا
المجال وكذلك ادى نضال العمال الى تحسن
لموس في الوضع الاقتصادي انعكست آثاره
اجتماعيا وقد ساهم الواقع السياسي غير
العادي والناجم عن اختلاط العرب باليهود في
سياق العمل. وفي اذكاء الوعي الاجتماعي لدى

ان النضال الوطني الديمقراطي هو ما ميز
هذه المرحلة من تاريخنا كشعب فلسطيني
واننا نلاحظ ان مهام النقابات العمالية كانت
تتميز بالتركيز على ما يخدم النضال الوطني
وقد كان للشوعيين في فلسطين عربا ويهودا
اليد الطولى في مجال بلورة وعي طبقي لدى
العمال في اتجاه تشكيل اطر نقابية وقد انجز
ذلك من خلال عقد أول مؤتمرا عمالي في
فلسطين سنة ١٩٢٦ حيث حضر هذا المؤتمر
عربا ويهودا، وكانت الخطوة التالية عقد
المؤتمرا العمالي العربي الاول في ١١ كانون
ثاني سنة ١٩٣٠ بدعوة من جمعية العمال
العرب في حيفا، وتلا ذلك تشكيل جمعية
العمال العرب في القدس سنة ١٩٣٤ وبعد
اشهر تشكلت جمعية عمال عربية اخرى في يافا
وكذلك في خلال الاعوام ١٩٣٥ - ١٩٣٦
تشكلت نقابات عديدة مثل نقابات سائقي
واصحاب السيارات ونادي العمال العام في
حيفا واتحاد عمال البحر في حيفا. وقد خاضت
هذه التنظيمات نضالات ذات طابع مزدوج
طبقي ووطني فقد شاركت بفاعلية في اضراب
سنة ١٩٣٦ وكذلك الاضرابات النقابية لتحسين
مستوى المعيشة مثل المطالبة بجعل العمل
الرسمي ٨ ساعات يوميا. وقد تلقت الحركة
العمالية وقادتها النقابيون ضربة قوية في
سنوات اضراب ١٩٣٦ حيث استغلت الصهيونية
الاضراب لاستكمال عملية احتلال العمل والعمل
العبري اضافة الى اعتقال ونفي المئات من
قيادة وكوادر الحركة النقابية في البلاد.
ولكن هذه الحركة عادت للانبعاث ابتداء من
عام ١٩٤٢ نتيجة فرص العمل الجديدة
وتنامي النشاط الشيوعي حيث عمل على
احياء وتنشيط النقابات وتشكيل "اتحاد نقابات

(١) موسى البديري ، تطور الحركة العمالية العربية في فلسطين ، دار الكاتب ، القدس عام ١٩٧٩

العمال طهرت آثاره في اكتساب العديد من العادات والسياسات العيش الجديدة.

وقد كان عام ١٩٤٨ عام تحول هام في تاريخ حياة الشعب الفلسطيني حيث اقتسمت اسرائيل والرحبية الهاشمية فلسطين وقد قاوم الفلسطينيون مؤامرة الضم الى الاردن ولكن هذه المقاومة فطعت بوحشية حيث تم القضاء على الكثير من التنظيمات والانحازات وممرت فترة سواد طويلة في حياة الشعب الفلسطيني كنتيجة لسياسة كبت الحريات، ولم يتوقف النضال من العمال ومن فئات اجتماعية اخرى كالمعلمين من أجل بناء تنظيماتهم النقابية ولقد بادر المعلمون بالتحضير لاقامة تنظيم نقابي خاص بهم الا ان السلطات الاردنية قاومته وقمعته بوحشية.

واما العمال فقد نجحوا في تحقيق مكاسب ملموسة على صعيد انشاء تنظيماتهم النقابية فتأسست في نابلس عام ١٩٥٤ أول نقابة عمالية باسم نقابة عمال البناء، ثم تلتها نقابة عمال الخياطة سنة ١٩٥٨، ومنذ ذلك التاريخ توالى تشكيل النقابات العمالية والذي توج بتأسيس الاتحاد العام لنقابات العمال الاردني سنة ١٩٦٧.

جورج حزبون

(١) حجم تأثير النقابات في الطبقة العاملة وقدرتها على تنظيمهم.

كان تأثير الحركة النقابية في صفوف الطبقة العاملة كبيرا، وان كان حجم اتساع تنظيمها نقابيا ما زال متواضعا حتى الان، فان تأثيرها المعنوي وسرعة استجابة العمال

لنداءاتها الوطنية كبيرة. فلقد كانت استجابة العمال لنداء اتحاد النقابات لشعار "رفض الانضمام للهستدروت" عالية جدا، كما كان الامر كذلك حين حسمت الحركة النقابية عام ١٩٧٠م من خلال اتحاديها العلاقة مع الاردن وتوحيها باعترافها كأولى المؤسسات في الضفة الغربية بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شعبيا ووحيداً للشعب الفلسطيني عام ٧٣. وبرغم كل المعوقات الان، الا ان افتتاح المكاتب العمالية في القرى والتوجه نحو تشكيل لجان مواقع العمل، وهذا يتضح من خلال الاتساع المتزايد لانخراط العمال في النقابات.

وبرغم التعقيدات فقد اصبح الاتحاد العام يضم في عضويته اليوم اكثر من ستمائة ألف عامل ناهيك عن ان عدد العمال الذين انتسبوا للنقابات في غضون السنوات الثلاث الماضية ويعتبرون عمالا مسجلين يتجاوز المائتين وعشرين ألف عامل.

(ب) مصاعب العمل النقابي والعقبات التي تعترضه.

(ب) تواجه باستمرار النقابات مصاعب متزايدة فهي اكثر مؤسسات الارض المحتلة تعرضا لمضايقات الاحتلال وقادة النقابات ونشطاءها نزلاء دائمون في السجون او في الاستدعاءات المستمرة، والتعديل الذي أدخلته السلطات عام ١٩٨٠ على المادة ٨٣ من قانون العمل انما جاء لتوفير غطاء قانوني لذلك النشاط المحموم الهادف الى ضرب الحركة النقابية وعدم السماح للنقابات بالدفاع عن مصالح عمالها في الداخل او حتى تحديد قانون عمل يتعاملون معهم بموجب عدم السماح لهم بالسكن بالقرب من مواقع العمل يضاعف صلة النقابات بهم علاوة عن ان

الاجابة أ، ب

أفترض أن السؤال يتعلق بالضفة الغربية وعلى ذلك سأحيب حيث أنني لسب على اطلاع كاف بما يتعلق بالقطاع .

ان دور وتأثير النقابات العمالية يتزايد باستمرار . فالفرق هائل بما ملمسه اليوم عما كان عليه الحال قبل بضع سنوات . الا أنني ارى أن الحركة النقابية كان بإمكانها ان تقطع سوطا افضل بكثير لو توفرت الظروف الموضوعية والذاتية لذلك وسوف اسير اليها فيما بعد

نقول الاحصاءات الرسمية - ولا بد لنا من الاعتماد عليها مع الاسف - بسبب عدم توفر أية مصادر أخرى الى عدد العاملين من سكان الضفة الغربية في اسرائيل والمناطق المحتلة بما فيها القدس يقارب ١٦٠ الف شخص ويفترض بالتالي ان تستوعب نقابتنا اعدادا اكبر مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر اذ لا يتجاوز عدد المنتسبين الى النقابات ال ٦٠ الف في احسن تقدير - وعلى هذا فمن الناحية العددية مثلا هناك تدني واضح في عدد المنتسبين الى النقابات

ان تنسب الاعداد الهائلة من عاملينا الى نقاباتهم هو طموح تعمل من أجله كافة النقابات الا ان الامر ليس سهلا كما نظن وهناك عقبات جديده وخطيره تقف حائلا دون ذلك وبالتالي فان حجم تأثير هذه النقابات في الطبقة العاملة هو الى الان حجم متواضع نسبيا . ومن أجل أن يكون هذا التأثير او التفاعل جيدا وذلك لتتمكن الطبقة العاملة من القيام بدورها التاريخي فلا بد من تجاوز هذه العقبات والجزء الاكبر من هذه العقبات يرجع الى عوامل ذاتية في الطبقة العاملة الا اننا يجب أن لا ننفل عن أن

قانون العمل الاردني الساري بالضفة الغربية اصبح متخلفا جدا ناهيك عن ان الاردن نفسه عدل هذا القانون ثلاث مرات منذ عام ١٩٦٧ ولقد توجهت النقابات الى اصحاب العمل في المناطق المحتلة لتنظيم اتفاقات عمل جماعية تتجنب للمتغيرات الموضوعية الا انه مع الاسف فان الاستجابة ليست لها نسبة تذكر .

ولا يمكن هنا الحديث عن المصاعب ابطر قليلا حيث ان هذه الصعوبات متجددة دائما وتأخذ اشكالا جديدة باستمرار الا ان تفكك الحركة النقابية يشكل اسهاما سلبيا في اضعافها وانا هنا احب ان اسير الى انعكاسات وجود اتحادين نقابيين في الضفة الغربية وآخر في قطاع غزة معطل ، لم ينح هذا الانقسام امكانية الاستفادة من التضامن العمالي العالمي والنقابي معنا حيث ان اتحاد عمال فلسطين في الخارج يتخذ موقفا سلبيا في هذا الاتجاه ايضا مما جعل زيارة وفد منظمة العمل الدولية للمناطق المحتلة تمر دون متابعة ولا اية استفادة منها بل وبالعكس في السنوات الاخيرة كانت سلبية . ولا شك ايضا فان التعامل مع النقابات وفق اسس قنوية ضيقة ورهف مساعدتها لتطوير وضعها وخدمة عاملها حسب تلك الاعتبارات عطل كثيرا من امكانيات النقابات وحول قسما منها الى واقع بيروقراطي مع الاسف واصبح يلاحظ في الفترة الاخيرة ان البرجوازية المحلية أخذت تبحث لنفسها عن موقع داخل النقابات والتدخل في الانتخابات ودعم تلك القائمة دون الاخرى ومع ذلك كله فان امكانيات افشال وتذليل تلك المصاعب قائم وبشكل وعي عاملينا والاهتمام برفع مستوى هذا الوعي عن طريق الندوات والنشرات وغيرها ضمانة لتحقيق نطلعات حركتنا النقابية بتجسيد حركة نقابية عمالية فلسطينية مستقلة .

الاحتلال هو عقبة رئيسيه بما يمثلها من قمع للنقابات انفسها وللعمال النقابيين .
أما العوامل الذاتية فهي كثيرة ومتعددة وتحتاج الى دراسة كاملة لالقاء الضوء على امراض المرحلة لمعالجتها .

واعتقد ان التركة التاريخية التي ورثها شعبنا وعمالنا تلعب دورا كبيرا في ذلك اذ ان انظمه الارهاب والرجعية المتلاحقة شوهت وجه العمل الجماعي والايمان به على كافة الاصعدة وليس فقط في الحركة النقابية ، بحيث اصبحت النقابات لدى كثير من عمالنا البسطاء والحريصين على لقمة عيشهم (بعبعا) بسبب المشاكل ويؤدي الى السحن والفصل عن العمل هذا جانب ولكن تجربتي تقول أيضا ان اعدادا متزايدة من عمالنا وخاصة من الجيل الجديد حطمت حاجز الخوف هذا واخذت تندمج بحذر في نقاباتها على الاقل من اجل تحقيق مكاسب اقتصادية ولا بأس في ذلك فهكذا تبدأ الطبقة العاملة باكتساب وعيها لتنتقل من طبقة في ذاتها الى طبقة لذاتها .
أن وعي الطبقة العاملة ووعي عمالنا بضرورة العمل النقابي والنضال الجماعي هو مرحلة تاريخية لا بد أن تمر فيها جماهير عمالنا ولا بد لها من التخلص من تركة الماضي والرجعية والخبيثه وهذا ما يحصل الان .

هنالك انقسام ما بين العامل والنقابة يظهر جليا في نظرة كثير من العمال الى نقاباتهم فهم رغم انتسابهم اليها لا يدركون ان نقاباتهم معهم لا يمكنها تحقيق المكاسب لهم الا بنضالهم المشترك بحيث تكون نقاباتهم معهم وفي الطليعة ، بمعنى أن هذه النقابات ليست مؤسسات ذات سلطة يمكنها تحقيق طلبات العمال وحل مشاكلهم بأمر تصدره ولا بد لها من خوض نضال يكون قاعدته الاساسية العمال انفسهم ، هنالك ايضا نظرة كهذه لدى بعض النقابيين الذين لا يدركون

أهمية تنظيم العمال وتوعيتهم على حقوقهم ودورهم من خلال نقاباتهم بل يعزلون انفسهم عن العمال حال وصولهم الى الادارة أنا لا الوم العمال ولا الوم النقابيين فهذه صفاتنا كلنا ضمن هذه المرحلة التي اخذنا نبلور فيها حركتنا النقابية ونبي اطرها رغم الاحتلال ورغم التركة الهائلة من التخلف وتركه الرجعية الا ان الوعي بهذه المشاكل يمكن ان يؤدي اذا توفرت النية الصادقة تجاوزها . ومن الضروري جدا خلق كوادر نقابية حقيقية وواعية بالاستفادة من تجربة الرعيل الاول .

صحيح أن اعدادا جديدة ودما جديدا يدخل الهيئات الادارية ومواقع المسوءولية النقابية ويجب تحويل هذا الكم الى كيف جيد وبالتالي يتوجب صفله بالدراسة النقابية والخبرة ، اذ ان قيادة النقابات وممارستها المسوءولية ليست بالامر السهل ويختلف الامر كثيرا ما بين النقابات والنوادي مثلا فلي النقابات ان تقود نضال طبقة عاملة تتعرف للاستغلال والاضطهاد الاقتصادي والسياسي ولها دور اساسي في القضية الوطنية عليها أن تقوم به .

ثم وبحزن شديد لاحظ أن بعض النقابيين يؤثرون العمل من خلال مواقع المسوءولية العامة لخدمة مصالح فئوية متغلقة ولا يضع المسوءولية العامة كهدف أول ومن خلاله يحقق ما يريد من اهداف ذاتيه ، وذلك عائد بالاساس الى التشرذم في الحركة النقابية وتعدد الفصائل الوطنية التي يغني كل منها على مواله اذا سمحت لي بهذا التعبير واقوله من شدة التأثر والتمزق . انني هنا اطالب بانشاء جبهة عمالية موحدة وقوية تضع في اعتبارها قبل كل شيء وفوق كل شيء مصلحة العمال والوطن وفق برنامج يتفق الجميع عليه ويجري التنافس

من أجل تنفيذه ولهذا نستطيع ان نفعل تأثير النقابات في الطبقة العاملة ولا بد من الاشارة هنا الى ان مستوى الخدمات الاجتماعية التي تقدمها النقابات لعمالها متدن وهذا سبب آخر من اسباب التأخر النسبي في انتساب العمال الى نقاباتهم ، ولكن ماذا نفعل اذا كانت نقابات كثيرة على سبيل المثال لا تتمكن من دفع اجرة مقراتها ، في الوقت الذي تشكل فيه نقابات جديدة هدفها فقط المشاركة في غنائم اموال الصمود ١ فاذا ما تعثرت هذه الاموال تجد الذين انتظموا فيها انفضوا عنها شيء ، مؤسف هنالك محاولات خبيثة لتسييع وتزوير نضالية الحركة العمالية واغراقها بالتفاهة والنفعية فمتى نستيقظ وقد خربت البصره ١١ .

من العقبات التي تعترض المسيرة ايضا غطرسة اصحاب العمل في ظل الظروف السائدة أفهم هذه الغطرسة فهي من صفات الراكضين وراء الربح على اجساد العمال ولكن غطرستهم في ظل وضع لا تتوفر فيه دولة وطنية لتحفظ الحد الأدنى من حق الطبقة العاملة هو أمر في غاية الخطورة ، ولا يجري الضغط عليهم من أي طرف لمراعاة قوانين العمل واخذت مسؤوليتهم تجاه ابناء شعبهم العمال ، ويجري استغلال البطالة لمصلحة اصحاب العمل بشكل جيد في الوقت الذي يضيق فيه الاحتلال الخناق على تطوير اقتصاد الارض المحتلة بل ووجوده اصلا كل هذه المصاعب تؤدي ايضا الى تقليص حجم تأثير النقابات في الطبقة العاملة ويجب أن تتوفر العزيمة الحديدية لتجاوز ذلك .

(ج) ما هو حجم مشاركة المرأة في العمل النقابي .

(ج) للرد على هذا السؤال اقول ان اتحاد لجان المرأة العاملة يضم في عضويته حوالي الخمسة آلاف عاملة وهو منبثق من صميم الحركة النقابية العمالية والعديد من النقابات تضم هيئاتها الادارية عاملات ومجلس اتحاد عام النقابات يضم عددا من العاملات والواقع فان تزايد التحاق المرأة بصقوف العمل النقابي اصبح يضيء تطورا نوعيا على هذا العمل خاصة وان المرأة العاملة هي الاكبر انسحاقا واستغلالا ، والواقع ان برامج عمل لجان المرأة العاملة يعتبر حافزا تقدميا لاندماج اعداد متزايدة في عضويته والنقابات ذات التوجه النضالي التقدمي تولي هذه المسألة أهمية فائقة

خليل توما

ان نزول المرأة الى ميدان العمل ادى الى تحررها من كثير من التقاليد التي كانت تحد من حركتها الاجتماعية ولم يكن انخراط المرأة في مجال العمل النقابي بل وانضمامها الى النقابات بالامر البسيط شدة الاضطهاد والاستغلال المضاعف الذي تتعرض له دفعها ويدفعها للجوء الى نقاباتها ولكن النسبة ما زالت منخفضة جدا . لقد ساهمت في هذا المجال التنظيمات النسائية بشكل فعال وخاصة لجان المرأة العاملة التي احتضنتها النقابات وقدمت لها كل المساعدة والرعاية وسارت معها خطواتها الاولى والان اصلب عودها وصار لها اطارها الخاص الذي من خلاله تقوم بتنظيم المرأة العاملة ودمجها في ميدان العمل الاجتماعي والنقابي ونفخر بلجان المرأة

عددها قليلا واعتبار الثامن من اذار والاول من ايار عطلة مدفوعة الاجر شعارا تحقق بنسبة عالية وافتتاح المكاتب في القرى والنواحي احارات عماليد فباسا بالواقع والممكن تحفز الى المزيد باستمرار...

دعوة

تعلن هيئة تحرير الكاتب عن عزمها تأسيس قسم للدراسات والابحاث على اختلاف موضوعاتها التي تتعلق بالشعب الفلسطيني وقضيته.

وعليه فان هيئة التحرير تتوجه الى المهتمين للتعاون معها. مؤكدين استعدادنا لتزويد الدارسين بكل ما لدينا من دراسات وابحاث تساعد في البحث بالاضافة الى استعدادنا وترحيبنا بكل دراسة جادة وعلمية حتى يصار الى نشرها وتعميم الفائدة منها...

العاملة التي استطاعت في العام الماضي تحقيق الثامن من اذار كيوم عطلة مدفوع الاجر في حوالي مئة مؤسسة اقتصادية في الضفة الغربية

أنتني انطلع ليس فقط الى انساب المرأة الى نقاباتها او وصولها الى الهيئات الادارية بل انظر بأمل ان تتطور وتعمم تجربة لجان المرأة العاملة في تقديم مساعداتها ورعايتها لاسر العمال وابنائهم وذلك بتقديم الارشادات التربوية والصحية ودور الحضانة ودورات الخياطة ومحو الامية واللغات ، والاشغال اليدوية الاخرى ، هكذا يمكن ان يجري التفاعل البناء ما بين المرأة والنقابة .

(د) ابرز احازاب الحركة النقابية في المناطق المحتلة.

جورج حزبون

(د) ان ابرز انجازات الحركة النقابية هي انها شكلت صخرة لا تلين في وجه كل التطلعات على حقوق شعبنا الوطنية وعبرت عن نزعة الاستقلال باعتباره المقدمة لاستكمال الطبقة العاملة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية فكانت في مقدمة مؤسسات الارض المحتلة للاقرار بوحداية م.ت.ف. م.م.ث. شرعيا وحيدا وفكت ارتباطها باتحاد نقابات الاردن منذ عام ١٩٧٠ واقامت علاقات مع الحركات النقابية العاملة واسمعت صوت عمالنا وشعبنا للعالم ورسخت تقاليد نقابية رغم غياب السلطة الوطنية ليست متوفرة في اغلب البلدان العربية وفي الانتخابات البلدية عام ١٩٧٦ شاركت بثلاث مرشحين الى جانب الحركة الوطنية فازوا جميعا، وعقد اتفاقات العمل الجماعية يعتبر خطوة متقدمة وان كان

كارل ماركس

مفكر عبقري وثوري متوقد

نظرية ماركس منهج للعمل

بقلم : بوريس بونوماريوف

ايها الرفاق ١

انصرم وقت طويل منذ ان وضع كارل ماركس النظرية التي خلدت اسمه - نحن نحيا في عصر شهدت هذه النظرية خلاله - كما تنبأ لينين - اكبر انتصار . فقد جرت امام انظارنا وتجرى تحويلات ثورية عظمى . وتغيرت جذريا الطبيعة الاجتماعية الطبقة ، للعديد من الدول كما تغيرت ظروف ونمط حياة معظم الشعوب ولم يسبق للبشرية ان شهدت تغيرات بمثل هذه الابعاد .

في القرن العشرين اجتاحت الارض لهيب حربين عالميتين . بيد ان القرن العشرين اصبح قرن ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التي قضت على اوضاع في العالم حيث كانت تسود طبقة محل طبقة اخرى بينما يبقى الاستغلال والظلم . وانعطف تطور المجتمع البشرى انعطافا حادا نحو الاشتراكية التي تلغى الى الابد الاستغلال والاضهاد وتسلط الاقلية على الاكثرية . وظهرت الاشتراكية قوتها اللاتقهر في اشتباكات ضارية مع الامبريالية التي حاولت ارجاع عجلة التاريخ الى الوراء . فبذره الفاشية الالمانية والعسكرية اليابانية ساعد بلد الاشتراكية الاول باقي الشعوب في نضالها من اجل الحرية والاستقلال واسهمت بقسط حاسم في توفير الظروف الملائمة لاستمرار التقدم العالمي . وبفعل الثورات في بلغاريا وهنغاريا والمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا وفيتنام والصين وكوريا وكوبا ولاوس اصبحت الاشتراكية نظاما عالميا . وتسلك الطريق الثوري نحو الاشتراكية ايضا انغولا وافغانستان واثيوبيا واليمن الجنوبية وموزمبيق وبعض البلدان الاخرى .



لقد طرح ماركس ، اجمالا لتاريخ الفكر الفلسفي كله ، موضوعته الشهيرة : ان الفلاسفة كانوا يقتصررون على تفسير العالم بصيغ مختلفة ، ولكن القضية تنحصر في تغييره " . وحقت الطبقة العاملة والكادحون بالهام من مثل الاشتراكية السامية نجاحات عملاقة في تنفيذ هذه المهمة . هكذا يتجسد في الحياة فكرة وقضية ماركس ولينين وتستمر مأثرتهما العظيمة .

لماذا نكرم ماركس ؟ على مر القرون كانت البشرية تعاني الاستغلال والاضطهاد القومي والنعصرى وتعيش حروب الابداء والدمار . وماركس ازاح لأول مرة الستار عن الاصول الاجتماعية لهذه العيوب والكوارث . والناحية الاهم هو انه ابان الاسس المادية والامكانيات الموضوعية للخلاص منها ويتمثل فضله الخالد في اكتشافه قوانين تطور المجتمع الموضوعية ، وفي ارسائه اصول علم يبين كيف ينبغي محاربة الرأسمالية واحراز الانتصار عليها وكيف ينبغي بناء النظام الاشتراكي الجديد .

— ماركس قدم تفسيراً مادياً لسير التاريخ العالمي ووضع نظرية تطور وتغاقب التشكيلات الاجتماعية — الاقتصادية .

— وارسى اسس الاقتصاد السياسي العلمي الوحيد واكتشف مصداثرء البرجوازية — اى القيمة الزائدة — فافشى بذلك سر الاستغلال في ظل الرأسمالية واشتت حتمية اسقاطها — ماركس علل الرسالة التاريخية للطبقة العاملة في تصفية النظام الاستغلالي الاخير وترغم بناء الاشتراكية .

— وصاغ المنهج المادى الجدلي ذا الطابع العلمي الصارم لدراسة الطبيعة والمجتمع ، ووضع منهجية الادراك الطبقي للبروليتاريا . اى الادراك الحقيقي للاحداث والعمليات الاجتماعية والموقف الواقعي حقاً ازاءها .

— بفضل هذه الاكتشافات التاريخية تحولت الاشتراكية من طوباوية الى علم .

بيد ان ماركس لم يكن عالماً عبقرىاً فحسب . انه وهب كل حياته من أجل ان يصح صرح العلم الذى شيده وسيلة لتحرير الطبقة العاملة . " ان ماركس كان ثورياً بالدرجة الاولى — هذا ما قاله انجلس عن صديقه العظيم كان ينظر الى العلم باعتباره " ذراعاً جبارة للتاريخ وقوة ثورية بارفع ما لهذه الكلمة من معان " .

من مزاجية الفكر الثورى والممارسة الثورية ولدت افكار الماركسية السياسية العظيمة التي اصبحت القوة الحاسمة لاستمرار التقدم العالمي .

— انها في المقام الاول ، فكرة الحزب البروليتارى والاسس المبدئية لتشكيل ونشاط هذا الحزب الذى يتعدى على الطبقة العاملة بدونه ان تتحول من " طبقة في ذاتها " الى " طبقة لذاتها " وللبرشيرة جمعاء .

— وهي نظرية الصراع الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا التي تتطور — كما اظهرت الاشتراكية الفعلية — الى دولة الشعب بأسره . وترسي اساس الانتقال الى مجتمع بلا طبقات .

- هي الكشف عن اسباب الحروب والثورات وجوهرها الاجتماعي .
 - هي فكرة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين وسائر شرائح السفلة .
 - هي الاستنتاج المتعلق بوحدة المصالح الجذرية لسفلة دول المروبول والمستعمرات .
 - هي التعليل للاممية البروليتارية .
 - وهي التنبؤ العلمي بطورى التسيكل الاجتماعي الشيوعي .
 هذه فقط ابرز موضوعات الماركسيه التي امت لها دور السلاح العملي في قضيه النحول
 الثوري للعالم .

مما له دلالتة ان الوثيقة النظرية الشاملة الاولى للاشتراكية العلمية - اي "البيان الشيوعي" - ظهرت كبر نامج للعمل الثوري . فقد اعطى ماركس وانجلس في "البيان" ببصيره عبقرية ، وبصيغة رائعة من حيث قوة تأثيرها وجمالها ، سردا عميقا ومكاملا للايديولوجيا البروليتارية . وبانجاز "البيان" الذي يوصف بحق انه "اشودة اناسيد" الماركسيه ، ارسي لقرون طويلة اساس راسخ لنظرية الطبقة العاملة الثورية . وليس عبثا ان يبقى "البيان" حتى اليوم المرجع اليومي لكل شيوعي ولكل ثوري واع .

في العصر الجديد رفعت عبقرية لينين الاشتراكية العلمية الى قمة جديدة . وبرهن الحزب الشيوعي السوفيتي والحزاب الشيوعية الشقيقة بما لا يقبل الدحض ما ارسي فيها منذ البدء من قدرة على النمو الابداعي . في نتيجة ذلك اصبح التطور الاجتماعي كله خاضعا لتاثير النظرية الماركسية - اللينينية المتنامي ، النظرية الحية ابدا . .

الماركسية - اللينينية كعلم نظرية شاملة ، تندغم فيها ، كما في السيكه ، الفلسفة والاقتصاد السياسي ونظرية النضال من اجل الاشتراكية والشيوعية . لقد اجتازت اصعب اختبار ولكنه الاقوى برهانا - اختبار ما يربو على مائة عام من الممارسة . لقد احرزت النصر على عشرات النظريات والمفاهيم الاخرى التي دحضت لانها عاجزة عن التبارى معها ، لا في تفسير العالم ولا في تغييره بطبيعة الحال . انها نظرية صائبة ولهذا فهي متفائلة ومؤكدة للحياة .

التاريخ جرى ويجرى وسيجرى تبعا لماركس ولنين ١

١ - " . . . النضال بين الرأسمال والعمل عالمي وشامل ، أى يرتدى طابعا عالميا " (ماركس) .

أيها الرفاق ١

اسفرت الثورات الاجتماعية التي هزت العالم عن تقلص مجال سيطرة الرأسمالية باطراد . بيد ان النظام الرأسمالي ما زال باقيا في ارجاء واسعة من الارض ، ولا يزال جزء لا يستهان به من البشر يعاني طفياته . وهذا ما لا يجوز اغفاله في السياسة .
 ان ما يجري للرأسمالية في وقتنا الراهن لا يمكن فهمه ولا تقيمه تقييما صائبا دون الاستناد الى ماركس والى "رأس المال" الذي هو المؤلف الاساسي في حياته ، والتعاليم اللينينية حول الامبريالية هي التطوير الابداعي المباشر لنظرية ماركس الاقتصادية . فقد برهن لينين ان في هذه المرحلة الاخيرة للرأسمالية تتوفر كل الممهدات الموضوعية للانتقال الى الاشتراكية ، وتقترب البشرية اقترابا شديدا من ضرورة التحولات الثورية الجذرية . .

وبطبيعة الحال يشعر النظام الرأسمالي بتنامي وتعزز نفوذ الاشتراكية الفعلية وتأثيرها القوي والمتنوع . فالرأسمالية فقدت الى الابد امكانية احتكار التصرف بمصائر الشعوب . وهي مضطرة الى التكيف . وتمثلت الاشكال الاساسية لهذا التكيف في تدخل الدولة في الاقتصاد حتى التحكم المباشر به ، والانتفاع من منجزات العلم والتقنية العصرية واستمرار تدويل الرأسمال والتكامل ونمو الاحتكارات فوق القومية والنزوع الى تنسيق السياسة الاقتصادية للدول الرأسمالية ..

لقد اقلحت الرأسمالية في اطالة امد وجودها بيد ان هذا كلف ويكلف الشعوب ثمنا باهظا جدا وعلاوة على ذلك ، شكل هذا خطرا على الحياة ذاتها في عالما .

غير ان "خلد التاريخ القديم" - كما وصف ماركس مجازا العمليات الممهدة للثورة - يواصل عمله . ويواصله لان طبيعة الرأسمالية لم تتغير كما لم يتغير جوهر مناقضاتها الجذرية ولان عيوبها الاجتماعية تتراكم وتتفاقم ..

لم يختلف بل يشتد استغلال الطبقة العاملة وسائر الشغيلة . ويشدد في الشطر الرأسمالي من العالم التناحر بين الرأسمال والعمل ، بين الاحتكارات واغلبية الشعب الساحقة ، بين الامبريالية والاقطار النامية .

لم تتوقف ، بل تتعمق التناقضات الامبريالية . ويتطور التنافس بين بعض الاقطار وبين المراكز الاساسية للامبريالية (الولايات المتحدة ، اوربا الغربية ، اليابان) الى حروب تجارية الى اشتباكات حامية الوطيس على اسواق التصريف ومصادر الخامات .

لم تتلاش ، بل تزايدت الازمات الاقتصادية وتؤكد تنبؤ ماركس بهذا الصدور . الحياة بددت الاوهام حول الرأسمالية المزدهرة "الخالية من الازمات" . فمنذ مستهل عقد السبعينات والعالم الرأسمالي يعاني ثالث ازمة اقتصادية . في البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا فقط ثمة الان ما يربو على ٣٠ مليون عاطل حكم عليهم بالحرمان المادي والمعاناة النفسية . وتندر اعادة البناء التكنولوجية الجديدة في الاقتصاد الرأسمالي بعواقب كاستداد التناقضات كافة ، مما قد يقضى الى ازمة اشد وطأة مما في الثلاثينات .

لم تتقلص ، بل اتسعت الهوة بين الاغنياء والفقراء ، بين اغلبية السكان وشلة كبار اصحاب الملايين ، وهذه هي النتيجة الحتمية لقانون الادخار الرأسمالي العام الذي اكتشفه ماركس . ففي الولايات المتحدة ازدادت ارباح الشركات خلال عقد السبعينات بنسبة ٥٠ بالمئة . بينما انخفضت اجور العمال الفعلية بنسبة الخمس تقريبا . في قمة المجتمع الامريكي - قرابة ٤٥٠٠ من كبار الاغنياء - يزيد الدخل السنوي لكل فرد منهم على المليون دولار في حين يعيش ٣٢ مليون مواطن - أي ١٤ بالمئة من عدد السكان ١ - تحت مستوى الفقر الرسمي ..

لم تتقلص بل تتصاعد تناقضات الانتفاع الرأسمالي من التقدم العلمي - التقني . وكيف ولا نتذكر هنا سخرية ماركس اللادعة بشأن كون التقدم في ظل الرأسمالية واختراع المكان الجديدة يجلبان للبشر الاجهاد والبطالة والفقر ، وكون انتصارات التقنية تشتري "بثمن الانحطاط المعنوي" ولغرض اطالة وجودها تستخدم الرأسمالية الحالية منجزات الثورة العلمية - التقنية ، بالدرجة الاولى لانتاج الاسلحة القادرة على ابادة البشر . انها حقا تشبه ، على

حد تعبير ماركس " ذلك الصنم الوثني المقيت الذى رفض ارتشاف الرقيق الا من جماجم القبلية "

أى جانب تأخذ من المجتمع البرجوازي نرى في كل مكان ملامح ازمنة العامة . وارتفعت الإزمات الدورية بجملة ازمات بنوية في ميادين الخامات والطاقة والغذاء . ويشهد بأمراض الرأسمالية المزمنة التضخم المزمن والهبزات في ميدان القروض المالية والعملات . وتنطوي على آثار شديدة الوطأة بصفه خاصة الروح العسكرية الجامحة وسباق التسلح ويتجلى انحطاط معنى روحي في تشتت البشر والوحدة ونمو حوادث الانتحار والادمان والجريمة والارهاب .

ويضطر حتى الكثير من الشخصيات الغربية الى الاعتراف بأن الرأسمالية مريضة . ويدور الجدل حول تشخيص هذه الامراض وسبل علاجها .

. بيد ان التشخيص معروف . وماركس هو الذى قدمه . ان النظام الاجتماعي الذى يسخر كل شيء لعبادة الربح الصافي واللهيات وراء الارياح لا شفاء له .

لقد تأكدت تماما اطروحات ماركس حول الدور التاريخي للطبقة العاملة التي برهنت عمليا قدرتها على تصفية نظام الاستغلال الرأسمالي وتزعج نضال الشعوب من أجل الحرية والمساواة وتأمين انتصار الاشتراكية .

في غضون قرن ونصف القرن نمت الطبقة العاملة نموا لا يقاس ، وبالدرجة الاولى من حيث العدد ففي عهد ماركس كان عدد افرادها يقرب من ١٠ ملايين ، أما اليوم فهي موجودة في جميع البلدان وفي كل القارات . وعدد افرادها يزيد على ٧٠٠ مليون .

ثم تغيرات نوعية عظيمة داخل الطبقة العاملة ففي جملة بلدان اصبحت حاكمة وتتطور كطبقة عاملة اشتراكية ، ولكن في الشطر الرأسمالي من العالم حدثت ايضا تغيرات ضخمة في اوضاع الطبقة العاملة وبنيتها في طبيعتها ذاتها . اذ يلتحق المزيد والمزيد من فئات السكان حراً تحويلها الى بروليتاريا بصفوف الطبقة العاملة . ويزداد عدد حلفائها القريبين من العمال من حيث وضعهم الاجتماعي .

نتيجة لذلك يستمر نمو نفوذ الطبقة العاملة السياسي وينبع منه ادراك ضرورة التغيرات الجذرية والايمان بالاشتراكية باعتبارها الطريق الوحيد المفضي الى الخلاص من قروح المجتمع الرأسمالي وغيوبه ..

لقد لمست البرجوازية المعاصرة قوة الطبقة العاملة ، لذا نراها تفعل كل ما بوسعها لافساد الحركة العمالية واحتواء مداه وعزل فصائلها الطليعية عن الجماهير . في بعض الاحيان لا تذهب جهود البرجوازية سدى ولكن بصرف النظر عن كل ذلك يتنامى الصراع بين العمل والرأسمال فكوارث الازمة المتفاقمة تثير احتجاج الجماهير . ويرد الشغيلة على هجمة الاحتكارات والحكومات ردا بروليتاريا هو الاضرابات والمظاهرات والاعتصام في المؤسسات . هذا هو المنطق المتين للصراع الطبقي اذ لا يجدى القمع وديماغوجيا العداء للشوعية وخراطيم الماء والغازات المسيلة للدموع وهراوات البوليس نفعا في التصدي لامواجه المتعاطمة . على مدى الوف السنين كان الفراغ والاباطرة والقيصرة والملوك والرؤساء وسواهم من الحكام يحاولون تفضي التغيرات الاجتماعية . وكانت كل هذه المحاولات تنتهي على الدوام

بالفشل، لان ما نضج في جوف المجتمع وما املاه سير التاريخ الموضوعي ذاته لا مناص منه، فمسيرة التاريخ المحتومة تحول الى اقزام، من يصب اللعنات على الشيوعية ومن يرى في الاشتراكية والثورات وحركات التحرر "يد موسكو" ويحاول مواجهتها بعسف الاكراه الامبريالي و"الحملات الصليبية". فالثورات، كما قال لينين، "تندلع عندما يخلص عشرات الملايين من البشر الى ان الحياة بهذا الشكل لم تعد محتملة".

هذا القانون الموضوعي حظى بتوكيد رائع في جميع انجازات القرن العشرين الثورية، كما اكدته أيضا الثورات المناهضة للاستعمار في وقتنا الراهن وهي الثورات التي تنبأ ماركس بحتمية قيامها. ففي اراض شاسعة من امبراطوريات الامس ثمة اليوم عشرات الدول المستقلة. ان الاشتراكية العلمية التي حاول خصومها ان يصوروها بأنها ظاهرة "محض اوربية" تندور عاملا ملحوظا اكثر فاكثر للتحويلات الاجتماعية في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. والنضال من أجل تخطي التخلف الطويل الذي خلفه المستعمرون، ضد تطاولات الامبريالية على حق الشعوب في بناء حياتها كما تريد انما هو رافد مهم للعملية الثورية العالمية ..

وتأكدت كليا افكار ماركس حول دور الشيوعيين والاحزاب البروليتارية والحركة الشيوعية في تغيير المجتمع ثوريا. وتحتل هذه التعاليم الموقع الرئيسي في الماركسية اللينينية. وهي تتخلل كل اجزائها الاساسية - ابتداء من العقائدية وحتى السياسية والتكتيكية البحتة. وقد نشأت الاشتراكية العلمية كنظرية بارتباط مباشر مع نشوء اول حزب بروليتارى فعلا ..

وقد ارسيت في "البيان الشيوعي" والوثائق الحزبية الاخرى والمقالات والرسائل العديدة المتعلقة بخبرة وعمل "اتحاد الشيوعيين" والاممية الاولى واولى الاحزاب الاشتراكية في اوروبا وفي نشاط ماركس وانجلس ذاته كقائدين حزبيين، ارسيت المبادئ والافكار الاولى لبناء حزب الطبقة العاملة وعلى هذه المبادئ والافكار اعتمد لينين لدى وضعه لتعاليمه العظيمة حول الحزب من طراز جديد، وبات من ذخائر الحركة الشيوعية العالمية.

ان الاحزاب الشيوعية تمارس نشاطها في ايامنا الراهنة في نحو ١٠٠ بلد. واصبحت للعديد منها احزابا حاكمة وتحولت طائفة منها الى احزاب جماهيرية. ويعمل الشيوعيون اليوم كقوة عالمية فعلا. فان عددهم الكلي - لم يعد بضع مئات كما كان في عهد ماركس وانما اكثر من ٧٠ مليونا - على ان حجم وتعدد المهمات الماثلة امام الشيوعيين ومسؤوليتهم عن استخدام كل القدرة الثورية الراهنة قد تعاظمت ايضا بشكل لا يقارن. وبهذا الصدد ان الحقيقة التي تفوق بها ماركس ما زالت صائبة كما كانت ابان حياته وبالذات: "ان أي نجاح جدى للطبقة العاملة حتى في اكثر الظروف السياسية ملاءمة هو رهن بنضوج التنظيم الذي يربى ويحشد قوتها".

ان الضمانة التي تكفل للاحزاب الشيوعية الاضطلاع بدور القوة السياسية الطليعية في عصرنا هي الاخلاص لافكار ماركس وانجلس ولينين. كما يظهر تاريخ النضال في سبيل الاشتراكية طوال عقود عديدة ان الاحزاب التي تسترشد بالماركسية اللينينية وتزدود عنها بثبات وتجسدها في ممارستها مع مراعاة الظروف الموضوعية الملموسة لبلدانها بالطبع هي الاحزاب الوحيدة التي تحرز الانتصارات التي تعود بالنفع على الطبقة العاملة والجماهير الشعبية، بينما ان التخلي عن الماركسية اللينينية او تحريفها ينطويان دائما، في نهاية الامر، على

عواقب وخيمة بالنسبة للحركة العمالية في البلد المعني وبالنسبة لقضية السلام والاسراكية.

لقد علم مؤسسو الماركسية اتباعهم "السلوك الاممي الحق". واوصوا الشيوعيين بالحفاظ على مبدأ اومية الحركة العمالية. وهذا امر في منتهى الضرورة في المرحلة الراهنة للمراع الطبقي الحاد الذي يشهده المسرح العالمي. ومما لا شك فيه انه كلما قام كل حزب شيوعي بثبات اكبر بتجسيد نداء ماركس الموجه الى طليعة عمال العالم "تكتافوا بقوة بعضكم مع البعض الاخر...". كانت نجاحاته في معالجة قضاياها الداخلية اوطد وامن..

٢ - "... اتحاد الناس الاحرار العاملين بوسائل انتاج مسركة" (ماركس).

ايها الرفاق. ان الاستنتاج العام من كافة تعاليم ماركس هو حتمية انتصار الاشتراكية والشيوعية وبحق لنا ان نفخر بأن اول ثورة اشتراكية مظفوة قد حدثت في بلدنا، وان الطريق الى الاشتراكية قد شقته للبشرية البروليتاريا الروسية بقيادة الحزب اللينيني. يجدر القول بأن ماركس وانجلز اللذان تتبعنا باهتمام الوضع في روسيا افتراضا بأنها قد تلعب دورا ثوريا عالميا، وان الثورة الروسية يمكن ان تغدو "اشارة للثورة البروليتارية في الغرب".

لقد كان اهم شرط لانتصار شعبنا في النضال من اجل الاشتراكية واقع ان الحزب قد طور بصورة ابداعية علم الثورة الذي خلقه ماركس وانجلز ولينين وطبقه بمهارة. وقد ارسيت في اساس البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي الافكار التي طرحها ماركس وحولها لينين الى نظرية كاملة. وهي بادئ ذي بدء، اقامة دولة من طراز اشتراكي جديد مبدئيا، والدفاع عن منجزات الثورة والاھم من ذلك - التحولات الاقتصادية - الاجتماعية والثقافية الجذرية في البلاد عن طريق مركز وسائل الانتاج على نطاق الوطن وتنظيم العمل وفق خطة عامة رشيدة" كما قال ماركس.

لقد اعتبر ماركس وانجلز ان من اهم واجبات البروليتاريا التي تصبح على رأس السلطة العمل "على زيادة مجمل القوى المنتجة بأسرع وجه ممكن" وبالفعل، فان بلد الاشتراكية الاول قد اذهل العالم اذ اصبحت خلال فترة قصيرة احدي اكبر الدول الصناعية. ان وتائر النمو الاقتصادي السريعة مميزة لغالبية بلدان المنظومة الاشتراكية. وخلال الفترة الواقعة بين ١٩٥٠ و ١٩٨٠ ازداد الانتاج الصناعي في البلدان الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي (سيف) بمقدار ١٣ مرة تقريبا، بينما ازداد خلال الفترة نفسها في البلدان الرأسمالية المتطورة باقل من ٤ مرات..

في الوقت نفسه اعتبر ماركس "الفهم الواقعي" للمهام الملموسة المحددة في كل مرحلة معينة من مراحل التطور امرا الزاميا واجبا بالنسبة لبناء الاشتراكية في المستقبل.. ومن هذا الفهم ينطلق حزبنا. وهذا الفهم بالذات قد تجسد في مقالة يوري اندروبوف الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي "تعاليم كارل ماركس وبعض مسائل البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي". فقد اثارت اهتماما كبيرا وتحبيضا لدى الشعب السوفيتي وفي البلدان الاشتراكية، كما اثارت صدى دوليا واسعا، باعتبارها نموذجا

للاستخدام الإبداعي لثراث ماركس من أجل التحليل النظري والطرح العملي لمسائل تدعيم الاشتراكية وتطويرها وقد جاء في المقالة على وجه التحديد: "وطرح اليوم في رأس سلم الأولويات مهمة تخصيص الإجراءات القادرة على توفير مجال رحب لفعل القوى الخلاقة العظيمة الكامنة في اقتصادنا - وممارسة هذه الإجراءات بصورة مطردة. وينبغي أن تكون هذه الإجراءات معدة بدقّة وواقعية - ومعنى ذلك أن من الضروري أن ننطلق بثبات، عند صياغتها من قوانين تطور نظام الاشتراكية الاقتصادية. ويملي الطابع الموضوعي لهذه القوانين التخلي عن كل أنواع محاولات التحكم بالاقتصاد عبر أساليب غريبة على طبيعته".

إن النهج الاستراتيجي للحزب في المرحلة الراهنة - هو التكميل الشامل للمجتمع الاشتراكي المتطور على أساس قرارات المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي وتكتسب أهمية من الدرجة الأولى الآن البرامج الملموسة والتدابير العملية للتغلب على نقاط الضعف والصعوبات. وإزالة النواقص، من أجل التعزيز الأكبر للدعم التي يقوم عليها نمط الحياة الاشتراكية. وهذا ما تهدف إليه قرارات الاجتماع الكامل الذي جرى في تشرين الثاني عام ١٩٨٢ للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي. وقد تم عمل الكثير من أجل تنفيذ هذه القرارات. ونحن جميعاً نرى بأن أعيننا ذلك العمل الكبير الذي بدأته اللجنة المركزية والمكتب السياسي وجميع المنظمات الحزبية في الاتجاهات الأساسية لتنمية البلاد في المرحلة المعاصرة. وتؤكد الحياة من جديد أن قوة الحزب الشيوعي السوفيتي في ارتباطه العميق والراسخ بالشعب، وفي أنه ليست لديه من هموم أخرى سوى مصالح الشعب وحاجاته.

إن الحزب في رسمه لأهداف جديدة، وتعبئته لطاقة الكادحين، يتابع باصرار تدعيم الأسلوب اللينيني في نشاطه كله. ويجمع هذا الأسلوب بين التبرير العلمي لهذه القرارات وبين الروح العملية والواقعية والنقد الذاتي، بين الفاعلية الرفيعة والمبادرة وبين المراقبة الصارمة للنتائج وعدم التسامح مع الانحراف عن الأخلاق الحزبية والنظام والانضباط. أنه يجمع بين القدرة على النظر بعيداً إلى الامام، والتفكير على النطاق الواسع الشامل، وبين التطلع الدائم إلى حل المهام العملية الملموسة. إن الأسلوب اللينيني يتطلب بأن يحتل، المراكز القيادية الرفاق الناضجون سياسياً، المؤهلون، الذين يميزهم صفاء الذهن وحسن الممارسة والقدرة على تنظيم العمل المتكاتف لعدد كبير من الناس، كما قال لينين.

إن محور عمل الحزب الآن - ذلك التنظيم للعمل بمعنى الكلمة الواسع، الذي يمكن أن يحرك جميع عوامل الفعالية الاقتصادية في جميع مستويات مجمع الاقتصاد الوطني - من مكان العمل والمصنع وحتى مستوى عموم الاتحاد.

إن مبدأ "الاقتصاد التوفيري" يعني في نهاية الأمر توفير الوقت. وقد كتب يقول ماركس: "أن توفير الوقت مثله مثل التوزيع المبرمج لوقت العمل على فروع الانتاج المختلفة، يبقى القانون الاقتصادي الأول في ظل الانتاج الجماعي".

ويشكل العلم حيزاً محورياً في تطبيق هذا القانون في المرحلة المعاصرة. ولهذا بالذات يطرح الحزب بمثل هذه الجدية مسألة زيادة دور العلم والتقدم التقني. وهنا أيضاً نتصرف وفقاً لتعاليم ماركس وتعتبر من أسطع وأعظم تنبؤاته فكرة أن العلم في المجتمع الاشتراكي "يتحول من أداة للسيطرة الطبقية إلى قوة شعبية". والحزب يوجه علماءنا والعاملين في

مجال التطبيق الى بذل كل ما هو ضروري من أجل تعاطف هذه "القوة الشعبية" والاستفادة منها الى أقصى حد وإذا ما تحدثنا بلغة معاصرة - من أجل الجمع بين الثورة العلمية - التقنية وامكانيات الاشتراكية .

ولتطوير العلم وتطبيق منجزاته في الصناعة والزراعة أهمية دولية كبرى بالنسبة لسمعة الاشتراكية وهيبته كما تعلق بذلك نجاحنا في المباراة السلمية مع الرأسمالية. ونحن على ثقة بالنجاح، لانه "لا يمكن لاية قوة ظالمة ان تصمد امام تحالف ممثلي العلم والبروليتاريا والتقنية" قال فلاديمير ايليتش لينين .

لقد اكد ماركس ان تطور الاشتراكية يتطلب اهتماما دائما "تنظيم الانتاج" "العمل الحر الموحد" كانت هذه المسألة تعالج في بلادنا بطرق متنوعة خلال المراحل المختلفة. والان عندما يدور الحديث حول الاسراع في الانتقال من العوامل الافقية لتنمية الانتاج الاجتماعي الى العوامل العمودية يقوم الحزب بتحسين جدى للادارة والتخطيط، وللاله الاقتصادية بكاملها .

وتطرح بهذا الصدد مهمة تعزيز دور الدولة التنسيقي والفعالية الابداعية لجماعات العاملين على حد سواء . ذلك لان ملكية الشعب العامة ليست امرا تجريديا بل هي تقتضي ان يشارك الكادحون انفسهم عن طريق جماعاتهم ومنظماتهم في ادارتها وتديرها. ولهذا اصبحت المفاولة الجماعية - الشكل الانسب والانجح للاستخدام الاكمل لقدرتنا الصناعية . ولهذا بالذات يولى الحزب هذه الاهمية الكبيرة لتطبيق التعهد الجماعي في الزراعة. ولهذا السبب اصبح على درجة كبيرة من الاهمية واللاحاج التخلص بشكل نهائي من الشكليات والاستعراضية في المباراه الاشتراكية .

وبنحن نعرف انه يجرى البحث عن طريق اخرى تلبى متطلبات العصر لتحسيد افضليات الملكية العامة لوسائل الانتاج .

وينص دستور الاتحاد السوفيتي على تصوير العمل الفردى والاستثمارات الفردية الملحقه من أجل خير المجتمع وصالحه. وهذا العمل ذو اهمية كبيرة على نحو خاص لتعبئة الشعب كله لتنفيذ البرنامج الغذائي .

ومع ذلك - وهذا ايضا على جانب كبير من الاهمية - فقد طرح الان التطبيق العملي لمبدأ المصلحة (الحوافر) والمسؤولية في جميع مجالات الحياة الانتاجية والاجتماعية باعتبارها احد الاتجاهات الملحة لتطوير الديمقراطية الاشتراكية السوفيتية ككل .

ان الاشتراكية وحدها توفر الفرصة لتحقيق حلم الناس الخالد الابدى بالمساواة والرفاهية والثقة بالغد وبأن يجلب العمل رضى حقيقيا، وكى نتكشف فيه وتبرز بشكل كامل امكانيات الانسان وقدراته ولا يمكن لاي شيء ان يحرفنا عن الطريق الذى "سوف يوء من لكل فرد تلبية متطلباته المعقولة بالمقادير المتزايدة باستمرار"، حسب فكرة مؤسسي الماركسية. المتطلبات المعقولة بالذات : فقد ادان ماركس المتطلبات "الانسانية". حسب قوله، والنزوات والاهواء، والنزوع الى البذخ وغيرها من الاهواء التى لا تتفق وروح الاشتراكية كما اشار ماركس ايضا الى انه اثناء تلبية الحاجات يجب ان ننطلق فقط من قوى المجتمع المنتجة الموحدة. ومضاعفة هذه القوى وحدها تسمح بتوسيع صندوق الاستهلاك. ان هذا

قانون اقتصادى موضوعي . وحول هذا الامر يتحدث الحزب الشيوعي السوفيتي بروح جدية وعملية الى المواطنين السوفيت ، منظمًا الاستخدام الفعال النشط لجميع امكانات مجتمع الاشتراكية المتطورة وموارده البشرية .

ان الحزب يعالج مسائل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالارتباط الوثيق مع العمل الايديولوجي التربوي .

وليس ثمة ما هو ابعد عن الماركسية من تجاهل دور الافكار في تطوير المجتمع . وماركس بالذات هو صاحب العبارة المهمة الماثورة ، التي قدرها لينين عالياً : "ان النظرية تدير قوة مادية حالما تستوعبها الجماهير" . ونحن جميعا نعرف ايضا ان لينين ، عند تأسيس الحزب البلشفي كان يرى مهمة الحزب الاولى في تسليح الحركة العمالية بالافكار الاشتراكية ، وفي الظروف المعاصرة ايضا يلعب تعزيز ونشر الوعي الاشتراكي بين الجماهير وادخال استنتاجات النظرية العلمية في الممارسة العملية اليومية دورا عظيم الاهمية .

ان تجربة بلادنا وبلدان الاشتراكية الاخرى تدل على ان هذا العمل يتطلب في كل مرحلة جهودا جديدة وكبيرة . والمسألة لا تنحصر فقط في التغلب على نفسية الملكية الخاصة التي تعود الى آلاف السنين والتي تحاول بعثها الدعاية المعادية . ان المسألة تكمن هنا ايضا في الصعوبات والتناقضات الموضوعية لتطور اساس الوعي الاشتراكي ذاته . اى العلاقات الاجتماعية . ان الوعي الجماهيري مرتبط ارتباطا مباشرة بحالة تلك الجوانب من هذه العلاقات كالمجتمع - الجماعة - الفرد ، والرئيس والمنفذ والمدينة والقرية ، والعمل الذهني والجسدي ومعيار العمل والاستهلاك وغيرها ..

ويولي الحزب الشيوعي السوفيتي اهتماما لا يفتقر بالتعزيز المطرد لتحالف الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين ، وبترسيخ وحدة الشعب السوفيتي الاجتماعية والاممية . ان هذه العمليات تؤدى تدريجيا الى بنية المجتمع اللاتبقية التي تظهر بلامحها الاساسية والعامّة في اطار الاشتراكية المتطورة ..

ان رفع عقائدية الجماهير يقترن اليوم اقترانا وثيقا بجعل هذه الجماهير تقف موقفا حريصا حقا من العمل ونشر ثقافة الانتاج الحقيقية ، التي تلائم متطلبات العصر . وسوف يكون متوقفا الى حد كبير على العزم الراسخ على وضع حد لحالات خروق النظام والانضباط وعلى تلك الظواهر المرضية كالهدر والرشوة والطفيلية والاختلاسات ، وعلى جميع اشكال الحياة الطفيلية . وكما تعلمون فقد اعلن الحزب حريا حازمة على خارقي مبادئ الاشتراكية ، من اجل تخليص المجتمع ، كما طالب بذلك لينين من "الذين يحافظون على تركة الرأسمالية من المتهاونين والكسالى والمختلسين" .. وفي هذا الامر يلقي الحزب دعما وتأييدا من جانب الشعب كله ..

ان ما ذكر اعلاه لا يقلل ابدا من الدور المستقل الكبير للعمل الايديولوجي ، المدعو لتحويل الوعي الاجتماعي الى قوة اجتماعية ، كما قال ماركس .
ان المرحلة الحالية من تنمية البلاد تتطلب بادئ ذي بدء ، مستوى اعلى وفعالية عملية اكبر لمجمل ذلك المجال الذي دعاه ماركس بالانتاج الروحي مدرجا فيه العلم والادب والفن والصحافة وجميع انواع الثقافة ..

ان الحزب يقيم اليوم وسوف يقيم مستقبلا مستوى العمل الايديولوجي بمدى نجاحه في تكوين وترسيخ اسس الاشتراكية الفكرية والاخلاقية في وعي المواطنين السوفيت وفي سلوكهم وبمدى مساعدتهم على اتخاذ موقف حياتي نشيط. والمساهمة بقسطهم في القضية العظيمة للشعب كله - قضية خلق حضارة اشتراكية جديدة ..

كما يخدم رفع المستوى العقائدي للمجتمع تحسين وتطوير نشاط اجهزة الاعلام الجماهيري على اساس تلك المعايير من العمل الايديولوجي التي صاغها الحزب ويدققها وطورها طبقا لمتطلبات العصر ..

ايها الرفاق - ان تطوير الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي هو جزء اساسي وهام للغاية من تنمية وتعزيز مواقع العالم الاشتراكي كله، في الاسرة الاشتراكية، وفي الخبرة المتنوعة التي اكتسبتها ترسم اهم ملامح المجتمع الدولي للعمل المتحرر، وهو المجتمع الذي حلم به ماركس وانجلز ..

لقد كتب ماركس يقول ان الاشتراكية سوف تتطلب "تنسيقا امميا لاشكال الانساج الاجتماعية". ان هذا التنبؤ يتجسد اليوم في التكامل الاقتصادي الاشتراكي، وفي تلك المهام الجديدة التي تطرحها وتنسقها الاحزاب الشيوعية الحاكمة فيما بينها ..

ان رسوخ المواقع الدولية للاشتراكية وهيبتها لا ينفلان عن الاممية الاشتراكية، وبكمن هذه الاممية في اساس العلاقات الدولية من الطراز الجديد وتشم المساواة الكاملة، والاحترام المتبادل للاستقلال، ووحدة الاراضي، والسيادة الوطنية، وعدم تدخل الدول في شؤون بعضها البعض والمساعدة المتبادلة، والتعاون الرفاعي. ويؤكد من جديد المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وهيئة رئاسة السوفيت الاعلى ومجلس الوزراء في الاتحاد السوفيتي، بعد مناقشة نتائج اجتماع براغ الاخير للجنة الاستشارية السياسية للدول الاعضاء في معاهدة وارسو. ان قضية الصداقة والتعاون مع البلدان الشقيقة قد احتلت دائما وستحتل في المستقبل ايضا حيزا خاصا مفضلا في سياستنا الدولية.

لقد تنبأ مؤسسو الشيوعية العلمية بأن بلدان الاشتراكية المظفرة سوف تشكل "لكل القوة الجبارة وذلك المثال". بحيث تسعى وراءها الشعوب الاخرى من تلقاء ذاتها. وهذا ما كان، وما هو قائم اليوم وما سيكون غدا. لان الاشتراكية تسير بثقة الى الامام، متغلبة على العقبات والصعوبات، منتقدة ذاتها باستمرار طارحة كل ما هو مهترئ ومستوعبة ومؤكدة كل ما هو جديد كما تنبأ بذلك ماركس ..

٣ - " ان غايتنا المثلى هي القضاء على الحروب وهي السلام بين الشعوب ووقف اعمال النهب والعنف ... " (لينين)

ايها الرفاق ١ لقد اشار ماركس مرارا الى ان الحروب، وليدة الطبيعة الوحشية للرأسمالية هي اخطر واشنع عيوب الرأسمالية. واثار لينين الى ان هذه السمة المهلكة الضارة تشدد في عصر الامبريالية. فقد أدت التناقضات الامبريالية الى نشوب اخطر حربين عالميتين في التاريخ. ورغم الضحايا الهائلة والخراب التي الحقها بالشعوب فان الامبريالية وبخاصة

الاميركية تهدد البشرية بخطر حرب جديدة، وهي نووية في هذه المرة .

لقد كشف مؤسسو الاشتراكية العلمية اسباب ومصادر خطر الحرب . ولعب ولعب دورا عظيما في تنظيم النضال من اجل التخلص من الحروب العدوانية . وقد تنبأ ماركس وانجلز ولينين بان تطور الوسائل المادية لشن العمليات الحربية يمكن ان يطرح مسألة الحرب والسلام كلها بطريقة جديدة تماما . وهذا ما حدث مع ظهور السلاح النووي ومن شأن الحرب العالمية في هذه الظروف ان تشكل كارثة بالنسبة للحضارة . وفي عصرنا السدى يمسسر بالمسوء ولية البالغة، حيث برزت امام البشرية مسألة "ان نكون او لا نكون" بكل حدتها، فانه ليس هناك ما هو اجل من مهمة درء مثل هذا الخطر .

ان فلسفة السلام السوفيتية تركز على المثل والقيم الرفيعة التي تستمد بدايتها من عظام الانسانيين في الماضي والتي استوعبتها الماركسية - اللينينية عضوا . ان سياسة السلام السوفيتية واقعية تماما . انها تنطلق من التقييم العلمي لعواقب الحرب النووية التي لا يمكن تبريرها ابدا . وتأخذ بعين الاعتبار تناسب القوى بين الاشتراكية والامبريالية وتكافؤهما العسكري وتستند الى القدرة المعنوية والسياسية المتعظمة للبلدان والشعوب التي تدعم التعايش السلمى . .

كتب ماركس قبل اكثر من مئة عام : "لم تسبب عقيدة من عقائد سياسة النفاق كلها ما سببته من مصائب العقيدة القائلة . " اذا أردت السلام فاسعد للحرب " . ان هذه العقيدة التي تتميز بصورة رئيسية بواقع انها تتطوى على كذب كبير، تشكل نداء كفاحيا يدعو اوربا كلها الى السلاح . . . " والان ايضا - يمكن ذلك الكذب الكبير في اساس سياسة الادارة الاميركية التي تزعم زاعمة ان تعزيز قدرة الولايات المتحدة الاميركية العسكرية يخدم قضية السلام . وفي الحقيقة تكمن وراء ذلك الرغبة في الاخلال بالتكافؤ الاستراتيجي - العسكري وفي احراز تفوق عسكري على الاتحاد السوفيتي وحرمانه من حالة العدوان النووي من قدرته على توجيه الضربة الجوابية . وان الاتحاد السوفيتي لن يسمح بذلك ابدا ، ولن يقف اعزل ابدا في وجه اى خطر كان وقد اشار يورى اندروپوف الى ذلك بكل وضوح في اجوبته عن اسئلة مراسل "برافدا" ، تلك الاجوبة التي تضمنت عرضا هاما مبدئيا لمواقفنا من مسائل نزع السلاح الملحة ، وتقييمنا لنهج سياسة الادارة الاميركية الخارجية الخطر على جميع الشعوب والانسانية بأسرها . وقد فضح الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الاساليب القذرة التي تلجأ اليها الادارة الاميركية سعيا منها الى تشويه سياسة الاتحاد السوفيتي ، وتبرير صياغة المزيد من الخطط الجديدة لحرب نووية .

ويمكن في اساس هذا النهج الطائش عداا متعصب ومسعور للشيوعية . ولا يمكن وصف التصريحات التي تزعم ان مؤسسي الماركسية - اللينينية وانصارها "يجانبون الاخلاق" لانهم ينظرون اليها من مواقع طبقية، الا بالحدق على الاشتراكية، وطبعا بالجهالة الصارخة لا . ان الموقف الطبقي الذي يعبر عن مصالح اناس العمل ، اى الاكثرية الساحقة من سكان الارض، هو الذى يسمح بالضبط للشيوعيين بالدود بدأب عن القيم الخلقية الانسانية وليس من حق الذين يحاولون ان يستروا باسم الله سياسة سباق التسلح مستغلين مشاعر المؤمنين الدينية، والذين يعانقون قتلة سكان صبرا وشاتيلا المسالمين، ويعفون عن سفاكي سو نغمي،

ويحسون وينسرون على المجرمين النازيين، ويشجعون ويسلحون الانظمة الارهابية والعنصرية في امريكا الوسطى وجنوبي افريقيا، وشجعوا العدوان على نيكاراغوا الثورية، الذين يخططون "للمصر" في حرب نووية ويحسون ببرودة اعصاب ضحاياها الذين يقدررون بمئات الملايين ليس من حق هؤلاء ابا ان يعطوا الشيوعيين درسا في الاخلاق ..

ان مصالح وطننا والاسرة الاشتراكية الحيوية وضرورة الذود عن مكاسب الاشتراكية تحتم علينا ان نكون دائما على اهبة الاستعداد وان نمتلك دفاعا قويا وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى ملاحظة حكيمة ابداهها ماركس اذ كتب يقول: يوجد في تاريخ البشرية ما يشبه الانتقام، واستنادا الى قانون الانتقام التاريخي، فان الاداة التي يصنعها الطامع في السيطرة ترتد الى نحره. وهذا ما حدث بالنسبة للسلاح النووي، عندما حولت الامبريالية مخززة العلم العظيمة - اكتشاف الطاقة الذرية - الى اداة لابياداة الناس. وقد صنع الاتحاد السوفيتي ما يواجهها بغية درء الحرب النووية وانقاذ البشرية .

ولكننا كنا دائما وسنبقى ضد اعتبار تكديس القنابل والصواريخ النووية طريقا يقضي الى السلام لا، ان التخلي عن استخدام السلام النووي، وعن مبدأ الضربة النووية الاولى، ووقف سباق التسلح هما وحدهما يخدمان قضية السلام. هذا هو سبب ذلك الصدى الواسع الذي اثارته في جميع البلدان مقترحات دول معاهدة وارسو، والمبادرات الواقعية البناءة التي طرحها يوري اندروپوف

ان افكار السلام العالمي ودرء الحرب النووية تستحوذ على وعي المزيد من الناس . واكتسبت الحركة عشرات الملايين من الناس في بلدان اوروبا واتسمت بطابع هجومي لا مثيل له. وانضم الى هذه الحركة عشرات الملايين من الناس في بلدان اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية واليابان وتوحدتهم جميعا اليوم ارادة مشتركة، ارادة الذود عن الحق الاولى لكل شعب، لكل انسان - الحق في الحياة - وقبل قرن ونيف دعا ماركس الى ان "تعدو القوانين العادية، قوانين الاخلاق والعدالة التي يجب ان يسترشد بها الافراد في علاقاتهم المتبادلة قوانين رفيعة في العلاقات بين الشعوب ايضا " . ومن الممكن في ايامنا هذه ان نرسم هذا النداء، الذي اطلقه هذا العالم الانساني العظيم ، على رايات جيش المناضلين من أجل السلام بملايينه العديدة ..

ان الاحزاب الشيوعية تعمل كل ما يمكن القيام به لتطوير نضال الجماهير ضد خطر الحرب. وهي شأن حزبنا تؤيد قيام اوسع تعاون وتفاهم بين مختلف القوى السياسية والاجتماعية التي يقلقها خطر الحرب النووية. وتتطور بنجاح علاقات الحزب الشيوعي السوفيتي بالاحزاب الاشتراكية، والاشتراكية - الديمقراطية، والاحزاب العمالية بغية الدفاع عن الانفراج، وتوطيد العلاقات السلمية بين الغرب والشرق. وتقع على الاشتراكيين، الاشتراكيين - الديمقراطيين الذين يرأسون حكومات سبعة بلدان في اوروبا والذين يحظون بدعم عشرات ملايين الناس، مسؤولية خطيرة، مسؤولية صيانة السلام ومواصلة تقاليد الحركة العمالية العظيمة المعادية للحرب فعلا ..

ومن الواضح بالنسبة لنا تأثير رجال الدولة الواقعي التفكير في السياسة الدولية . فالاتحاد السوفيتي اذ يمارس سياسة محبة للسلام يأمل ان يعمل هؤلاء ايضا متفهمين واجبههم

امام الشعوب المتعطشة لان تنعم بالسلام هي والاحيال اللاحقة .

اننا نعيش في زمن يتعاطف فيه خطر حرب عالمية كما تتعاطف في الوقت نفسه القوى القادرة على الحيلولة دون وقوعها . وياخذ الحزب الشيوعي السوفيتي بعين الاعتبار هذا الواقع ايضا في سياسته الخارجية ونضاله الايديولوجي على الصعيد الدولي . ولسوف يفضح في المستقبل ايضا مخططات الامبريالية وتكتيكها وهو يبرهن بالاقتوال والافعال ان الاتحاد السوفيتي ينطلق من واقع رفض الحرب النووية . كما اننا ضد تحول الخلافات الفكرية الى مجابهة بين الدول . ولا يوجد ولا يمكن ان يوجد اساس معقول اخر للعلاقات بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة سوى التعايش السلمي . ذلك هو موقف حزبنا الراسخ .

ايها الرفاق ! ان للماركسية مصيرا خاصا لامثيل له في أى من تيارات الفكر الاجتماعي الاخرى، فخلال السنوات المئة بعد وفاة ماركس اغتنت تعاليمه بالتجربة العظيمة للحركة العمالية ومجمل الحركة الثورية العالمية . وبفضل لينين دشّن عصر جديد كامل في تطور النظرية الماركسية، والاهم، في تجسيدها الناجح . فاليوم تنطوى الاشتراكية العلمية على تجربة الثورات الاشتراكية الظاهرة ومنها بالطبع، بادئ ذي بدء ثورة أكتوبر العظيم، وتجربة المجتمع الاشتراكي المتطور في الاتحاد السوفيتي، وتجربة بناء الاشتراكية في جملة من البلدان . وتملك الانسانية ثروة قيمة لا تقدر : انها تعاليم بناء الاشتراكية والمجتمع الاشتراكي القائم فعلا . وقد زاد هذا المجتمع عن نفسه في المعارك الضارية ضد الامبريالية، وهو يتقدم الى الامام بكل ثقة . .

ويستحيل في ايامنا هذه دراسة الماركسية - اللينينية ونشرها والذود عنها دون اعتبار هذه المنجزات العظيمة الراسخة . فهذه المنجزات - مرحلة جديدة ايضا في النظرية الماركسية - اللينينية نفسها وقد اظهرت للطبقة العاملة وجميع شغيلة العالم ان المثل العظيمة التي تنطوى عليها نظرية الاشتراكية العلمية مسألة قابلة تماما للتحقيق . وهذا ما يفسر الى حد كبير انتشار الافكار الاشتراكية المتزايد في العالم كله . ويشهد بذلك ، وبسطوح واضح - نطاق الاحتفالات الحالية بيوبيل ماركس في مختلف الاقطار وجميع القارات . ويعترف الجميع اليوم انه لولا ماركس ولينين لما كان العالم على ما هو عليه الان فالافكار عن الاشتراكية باعتبارها مستقبل الانسانية كلها تتعمق في وعي اوسع فئات سكان كوكبنا .

وبالنسبة لنا نحن الشيوعيين ، والسوفيتيين فان التوجه المباشر الى معلمينا العظام بشؤوننا وهمومنا ومشاكلنا الحالية ضروري جدا . ولنتذكر في هذا المجال كلمات ن . ك . كروبسكايا حول موقف لينين من ماركس . لقد كتبت تقول : "تعلم لينين من ماركس ان ينظر الى الحياة على نحو انتقادي، وان يفهم ظواهرها ويميز بين ما هو رئيسي وثانوي ويقرن النظرية بالممارسة . . " وكان لينين "يستشير" ماركس دائما ويسعى لديه الى الاجوبة عن المسائل الطحة في اخرج لحظات الثورة الحاسمة وقالت ن . ك . كروبسكايا بحماسة : "لقد اعطت النظرية فلاديمير ايليتش لينين القدرة على قراءة كتاب الحياة" . ويتعلم الشيوعيون السوفيتيون من لينين كيف "تجب دراسة ماركس" ، وفي آن واحد - كيف تجب دراسة لينين نفسه وتجسيد تعاليمه . .

ان الماركسية، حسب كلمات لينين، "استوعبت وعالجت كل ما هو قيم في تطور الفكر

والثقافة الإنسانية خلال أكثر من ألفي سنة . وماركس نفسه هو تجسيد للروح المبدئية ،
والنزاهة العلمية والاستقامة والمسؤولية ، وكان يتميز دائما بالانضباط الذاتي الرفيع واللاكلل
في العمل والحماسة والعزم الذي لا يلبس في تحقيق الهدف المطروح أمامه . ولذلك فإن
معرفة ماركس وانحسار وليس ليس فقط أفضل وسيلة لاستيعاب الثقافة الحقيقية ، بل هو كذلك
معين لا ينضب للتربية والغنى الفكري والروحي والكمال الخلقى . ونحن ننهل من هذا المعين
لنحل بحاج مهمات حياتنا ونضالنا الحيويس .

ينبغي استيعاب الاشتراكية العلمية والدود عنها وتطويرها والاستفادة منها عطيا بمهاره
في مختلف الظروف - هكذا يمكن بايجاز تقييم موقف حزبنا منها .

ايها الرفاق ! ان الاشتراكية العلمية ، الماركسية اللينينية ، كانت ولا تزال وستبقى
بالنسبة للحزب الشيوعي السوفيتي ، وجميع المناضلين الحقيقيين في سبل مصالح الطبقة
العامة وحرية الشعوب وسعادتها مصدر السور والعقل الملهم ، ودليل العمل الصحيح والحكيم
لقد تحققت انتصارات تاريخية عظيمة على اساس النظرية الماركسية - اللينينية .

فالى الامام تحت راية الماركسية - اللينينية نحو انتصارات جديدة من اجل السلام
والديمقراطية والاشتراكية والشيوعيس .

× × × × × ×

عن صحيفه " برافدا " - وكالات انباء " نوفوستى "

أهمية فكرية عن ماركس في الناصرة

أنطوان شلحت المحرر في جريدة "الاتحاد"
ومحاضرة عن "الفلسفة الماركسية - الفلسفة
التي غيرت وتغير العالم" . قدمها الدكتور
اميل توما عضو المكتب السياسي للحزب
الشيوعي الاسرائيلي ورئيس تحرير مجلة
"الجديد" . وقد افتتح الامسية وأدارها
الشاعر سالم جبران عضو اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي الاسرائيلي .

أقيمت مساء الجمعة الماضي ٨٣/٤/٩ في
بيت الصداقة ، بدعوة من فرع الحزب الشيوعي
في المدينة أهمية فكرية بمناسبة الذكرى
السنية المئوية لوفاة كارل ماركس ، مؤسس
الاشتراكية العلمية . وتضمنت الامسية محاضرة
عن "كارل ماركس الانسان" قدمها الصحفي
سميح غنادري عضو سكرتارية اللجنة المركزية
للشبيبة الشيوعية ومحاضرة عن "ماركس
والادب والفن" قدمها الكاتب الصحفي

الماركسية بعد مئة عام على رحيل ماركس



تراث فكري أممي عظيم

بفلم : بيورفيدوسييف ،

عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، أكاديمي ، نائب رئيس أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي .

لم يعش ماركس سوى ٦٥ سنة ، ولكن ما فعله باق على مر العصور . ان اسمه يتمتع بالاحترام العميق لدى الجماهير الكادحة في العالم اجمع ، وتعيش نظريته وستواصل تأثيرها الجبار في تطور الفكر الاجتماعي ومسيرة الحياة الاجتماعية .

ويمكن القول بايجاز وتعميم ان ماركس وضع ، بالتعاون الوثيق والاتصال الروحي الحميم مع صديقه الوفي وزميله الدائم فريدريك انجلز ، المقدمات الفكرية للتجديد الثوري للعالم ، واسس نظرية وسياسة الحركة الشيوعية ، والمبادئ الاممية والاشكال التنظيمية للنضال التحريري للطبقة العاملة وكل الجماهير التي تتعرض لاضطهاد رأس المال .

لقد وضعت نظرية ماركس على المحك واجتازت الامتحان منذ ان كان على قيد الحياة . فقد كانت موجة الثورات التي احتاحت بلدان اوربا في عام ١٨٤٨ وكومونة باريس تعبيرا واضحا عن حدة وتناحر التناقضات بين البروليتاريا والبرجوازية ، ووفرت خبرة تاريخية ملموسة لتطوير نظرية الصراع الطبقي التي وضعها ماركس . كان القرن الذي انقضى على وفاته يرمز الى الانتصار الكامل للماركسية التي طورها بعده لينين واتباع ماركس الآخرون . لقد تغير العالم منذ ذلك الحين تغيرا جذريا تحت تأثير الحركات التحررية التي تلهمها افكار الماركسية - اللينينية . وكانت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وانتصار الاشتراكية في عدد من البلدان وانهايار نظام الامبريالية الاستعماري ونوطد مواقع ودور الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية ، واتساع نضال الشعوب التحرري اهم احداث القرن العشرين .

ولا تزال نظرية ماركس تستثير الهجمات الضارية من البرجوازية ومنظريها ، لا لانها تنبأ

بالحتمية الموضوعية لانهايار الرأسمالية فحسب ، بل ولانها تشكل في ايدي الطبقة العاملة سلاحا معنويا في النضال من أجل التحويل الثوري للمجتمع . ومن المميز ايضا ان منظري الاشتراكية - الاصلاحية صاروا في السنوات الاخيرة يتجهون بصورة متزايدة الى ماركس الذي رفضوه سابقا كشيء " قدم عهده " و " تم دحضه " .

اين يكمن سر خلود الماركسية ، واين يكمن مصدر قوتها وفعاليتها الحيويين ؟ انهما يكمنان ، قبل كل شيء ، في كون مؤسسها اعتمد اعتمادا راسخا على العلم ، وربط النظرية بالممارسة الثورية ربطا لا ينفصم ، وعمم خبرة نضال البروليتاريا الطبقي . كان ماركس عالما وثوريا عظيما .

كان ماركس يفهم البحث العلمي كعمل خلاق ومجهود يتطلب المثابرة والصمود والتفاني من أجل اكتشاف طرق تقدم البشرية . وقد رأى ماركس في النشاط الثوري القوة المادية لاعادة بناء الحياة الاجتماعية استنادا الى مبادئ عادلة ، اى على اساس المساواة الشيوعية من أجل التطور الشامل للشخصية الانسانية . وكان امينا الى النهاية على القضية العظيمة للنضال في سبيل تحقيق المثل الشيوعية .

لقد عانت البشرية الكادحة على مدى قرون عديدة ثلاث مصائب اجتماعية رئيسة . وهي استغلال الانسان للانسان ، والاضطهاد القومي والعنصري ، والحروب المبيدة والمدمرة ولم يقتصر ماركس وانجلز على ادراك هذه القضايا الاجتماعية الرئيسية . فقد أظهر :
اولا ، الامكانات المادية لحلها مع تطور القوى المنتجة وتعميم الانتاج في ظل الرأسمالية ،

ثانيا القوة الاجتماعية الرئيسية القادرة على تروس وقيادة النضال المظفر في سبيل التحديد الثوري للمجتمع ، وهذه القوة هي الطبقة العاملة ،
ثالثا . طرق ووسائل هذا الحل ووضعا نظرية الاشتراكية العلمية وحوالا الاشتراكية من حلم طوباوى الى علم وباختصار ، فان ماركس وانجلز لم يعالجا القضايا الجذرية للبشرية كإنسانيين عظيمين فحسب ، بل وكعالمين واقعيين وثوريين عظيمين .

ان الماركسية هي من حيث مضمونها الطبقي ، نظرية وتكتيك للبروليتاريا في نضالها من أجل التحويل الاشتراكي للمجتمع وتعاليم ماركس وانجلز تشكل ، كعلم نظاما متكاملا ومتسقا من الاراء الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية - السياسية التي تعطي تعليلا شاملا لقوانين طرق واشكال الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية .
لقد غدا التعليل الفلسفي لهذا الانتقال ممكنا لان ماركس وانجلز اغنيا المادية بالديالكتيك ، اى بتعاليم شاملة عن التطور ، ووضعا الفهم المادي للتاريخ وكشف ماركس بالتحليل العلمي لنظام الرأسمالية الاقتصادي " سر " الاستغلال الرأسمالي وبين آلية استئثار الرأسماليين بفائض القيمة ، اى بذلك الجزء من القيمة الذى يتكون علاوة على الجزء الذى يدفع اجره من عمل العمال الاجراء . وبهذا عريت الجذور الاقتصادية لتناحر لا هوادة فيه بين الطبقة العاملة والبرجوازية ، وحتمية احتدام الصراع الطبقي بينهما حتى القضاء الكامل على استغلال الانسان للانسان .

توصلت الماركسية الى استنتاج حتمية وضرورة الثورة الاشتراكية الهادفة الى القضاء على سلطة رأس المال واقامة سلطة الطبقة العاملة القادرة على تنظيم الانتاج الاجتماعي بدون مستغلين وعلى اساس الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج .

لقد طرح حل المهام العالمية - التاريخية للطبقة العاملة قضية الدور القيادي لطلبتها المتقدمة اي لحزبها الثوري . وبدأ ماركس وتحليل مع زملائهم تحويل الافكار الثورية الى قوة مادية ، الى محرك للتحويلات الثورية ، الامر الذي كان يتوقف عليه المصير التاريخي للطبقة العاملة وللماركسية نفسها . وتكفل نشاطهم في هذا الاتجاه بجمعية العمال العالمية ، اي الاممية الاولى ، وبتشكيل اول الاحزاب الجماهيرية للطبقة العاملة في اوروبا .

في اواخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين ، حينما انتهت الفترة السلمية لتطور الرأسمالية ودخلت الطبقة العاملة ميدان المعارك الثورية في سبيل التحويل الاشتراكي للمجتمع ، تابع لينين تعاليم وقضية ماركس وانجلز ، وكان الملهم والمنظم لحزب من طراز جديد يتفق والمهام الجديدة للنضال الطبقي .

ان عمليات احتدام تناقضات الرأسمالية والصراع الطبقي ، الامر الذي اشار اليه ماركس اشادت كثيرا في القرن العشرين . وبدا من الممكن عمليا ازالة استغلال الانسان للانسان والطبقات المستغلة نفسها في الاتحاد السوفيتي اول الامر ، ومن ثم في عدد من البلدان الاخرى . مع العلم ان هذا لم يحدث في اكثر البلدان تطورا . ومن باب اولى ان تكون قد نضجت الامكانيات المادية والاجتماعية لحل هذه القضية في المجتمع الرأسمالي المتطور عن طريق تجديده ثوريا . وانه لمن الاصعب طبعا ، كما نوه ماركس ولينين ، البدء بالثورة الاشتراكية في قلاع الرأسمالية ، لان البرجوازية تملك مواقع قوية للمناورة الاجتماعية والمراوغة السياسية . ولكن من الاسهل والاسرع تنظيم الانتاج الاشتراكي وانشاء القاعدة المادية - التقنية للشيوعية في هذه القلاع .

وتملي خبرة البلدان الاشتراكية طرق وشكل ازالة التقسيم الطبقي اجمالا وتحقيق التجانس الاجتماعي الكامل للمجتمع .

لقد قال لينين مرارا ان الاشتراكية هي القضاء على الطبقات . ونرى الان عمليا بان هذه عملية طويلة يقضى خلالها اول الامر على الطبقات المستغلة والعناصر الرأسمالية عموما ، ويتحول نمط الملكية الصغيرة على اساس تعاونيات المنتجين الصغار ، ومن ثم يجري التغلب على الفروق الجوهرية بين الطبقة العاملة والفلاحين التعاونيين والمثقفين الاشتراكيين . واخذ الموتر السادس والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي في الاعتبار الاتجاهات الجذرية لتطور العلاقات الاجتماعية المطرد ، استنتج ان تكون بنية المجتمع غير الطبقي يجري بصورة رئيسية واساسية ، كما يبدو ، في الاطر التاريخية للاشتراكية الناضجة . ويمكن التوصل الى محو الحدود القومية تماما مع انتقال المجتمع الى المرحلة العليا من الشيوعية

ينطوى التقارب بين شكلي الملكية الاشتراكية ، الملكية العائدة للشعب باسره وللدولة

والملكية الكولخوزية - التعاونية ، على اهمية كبرى في ازالة الفوارق الطبقة بين الطبقة العاملة والفلاحين . وفي الوقت نفسه ثمة حاجة ليس لتطوير الملكية الكولخوزية - التعاونية محسب ، بل ولتطوير ملكية الدولة ايضا . ولا تستطيع الطبقة العاملة الا على اساس تطويرها ان تضمن دورها القيادي ازاء الشرائح الاجتماعية الاخرى والتقارب والاندماج معها في رابطة اجتماعية متجانسة . ويتطلب هذا حل مهام ضخمة للبناء الشيوعي مثل التثقل على الانار السلبية للتقسيم الاجتماعي للعمل وعدم التجانس الاجتماعي للعمل العضلي والذهني ، والمقصود هو التوحيد العضوي لهذين النوعين من العمل في نشاط الناس الانتاجي . هكذا تتجسد عمليا الافكار الماركسية - اللينينية حول ازالة التناحرات الطبقة المزمنة والتقسيم الطبقي للمجتمع .

اما بخصوص عدم المساواة القومية والاضطهاد الاستعماري فانهما مرتبطان ارتباطا لا ينفصم بالملكية الخاصة والبنية الطبقة للمجتمع البرجوازي ، وبطابع النظام العالمي الرأسمالي . قال ماركس ان علاقات الملكية القائمة هي التي تسبب استغلال شعوب لآخرى " (١) وقد شددت الرأسمالية وزادت الاضطهاد القومي باضطهاد استعماري . وكان من المستحيل طرح مسألة التحرر الوطني وازالة النظام الاستعماري بمعزل عن النضال المشترك في سبيل القضاء على كل اضطهاد اجتماعي ، وعن النضال ضد الطبقات المستغلة واستغلال الانسان للانسان كتب ماركس وانجلز " بالقدر الذي يقضى فيه على استغلال فرد لآخر سيقضى على استغلال امة لآخرى " (٢)

حطم اكتوبر العظيم سلاسل الاضطهاد الطبقي والقومي ، وفتح الطريق الى المساواة والاخوة الحقيقيتين بين الكادحين من كل الاجناس والامم ، والى تطورها الحر الشامل . ان من يعود بفكره الى الطريق التاريخي الذي اجتازته بلادنا يستطيع ان يرى مدى ما بذل من أجل التطور الشامل للامم واقوام الدولة السوفيتية الواحدة المتعددة القوميات . وتحت قيادة الحزب الشيوعي ، وفي ظل الدور الطليعي للطبقة العاملة والمساعدة الاخوية من الشعب الروسي ، استطاعت كل امم واقوام الاتحاد السوفيتي ، ومن بينها الاصقاع القومية التي كانت متخلفة ، التوصل الى ذرى التقدم الاجتماعي . فالصناعة العصرية والزراعة المتطورة والنمو المطرد للاقتصاد وللرخاء المادي وتطور نظام الدولة الوطني ، والمستوى العالي للعلم وازدهار الثقافة الحقيقي هي ما يسم اليوم كلا من الجمهوريات السوفيتية . وقد حافظت في الوقت نفسه على طابعها المميز وملامحها القومية الخاصة . وعلى امتداد كل بناء وتقدم المجتمع الاشتراكي وحتى الشيوعية لا يجرى زوال الفروق القومية ، بل يجرى ازدهار حقيقي للامم وتطور شامل للغة والثقافة على اساس التعاون الاممي والصداقة الراسخة بين الشعوب .

ان الامم ، بوصفها كينونات تاريخية ، كانت وستبقى طويلا شكلا هاما للتقدم الاجتماعي ويتلخص جوهر الامر في الايواء تطور الامم الى الانغلاق والعزلة ، والى الاستعلاء والفسطرة بل يقترب بفهم المصالح المشتركة وبحل المهام المشتركة على دروب اقامة المجتمع الشيوعي . ولا تزول الحدود الفاصلة بين القوميات والدول وغيرها من الحواجز الدولية الا

ان ازالة المصادر والاسباب الاجتماعية للحروب وتحقيق السلام الشامل مرتبطان كذلك بالنضال ضد سيطرة الطبقات المستغلة ، وهما في ايامنا مرتبطان خاصة بالقضاء على سلطة الاتحادات الاحتكارية والمجمع الصناعي - العسكري وبالتغلب على تأثيرها الواسع في العلاقات الدولية ، وبفضح السياسة العدوانية للامبريالية .

وبشكل ادراك منابع خطر الحرب اهم عامل منظم في النضال من أجل درء الحرب . وان قدرة الطبقة العاملة كبيرة في الدفاع عن السلام وفي النضال ضد مشعلي الحرب ، فواجب كما اوضح ماركس نفسه ، ان " تملك بنفسها اسرار السياسة الدولية ، وتتبع النشاط الدبلوماسي لحكوماتها وتعارضها عند الضرورة بكل الوسائل المتوفرة لديها ، واذا لم يمكنها ذلك ، تدرأ هذا النشاط بان تتحد لفضحه ، وتثبت في الوقت نفسه ان القوانين البسيطة للاخلاق والعدالة ... هي اسمى القوانين في العلاقات بين الشعوب ايضا " . (٣)

تتلخص خاصية الوضع الدولي الحالي في كون الامبريالية اوصلت الحضارة المعاصرة الى الحد الذي يرسم فيه خطر فعلي يهدد بالقضاء عليها . وهذا يعني ان آفاق حل المهام التاريخية - العالمية لتحرير البشرية الاجتماعي تتوقف على ازالة خطر الكارثة النووية المسلط عليها . ولم يعد السلام الان مجرد ظرف مؤقت للتقدم الاجتماعي ، بل هو ايضا مقدمة ذات ضرورة حيوية .

ان عدم السماح بوقوع كارثة نووية هو الامر الاهم والرئيسي في السياسة العالمية ، وفي نشاط الشيوعيين وكل الشعوب . وفي حالة وقوع الكارثة النووية لا تبقى بقعة على الارض يمكن للحضارة البشرية ، وربما للحياة نفسها . الاستمرار فيها . ستكون الكارثة عالمية شاملة . وبسبب هذا الخطر اصحت سياسة السلام تنطوي على قيمة بشرية عامة .

وهكذا ، فمن الاسس الانسانية للنظرة الشيوعية العالمية ، ومن الطبيعة السلمية للاشتراكية ومن المصالح الجذرية للطبقة العاملة وللشعبية باسرها ينبع موقف الماركسيين - اللينينيين من الحرب النووية ، فنحن اعداؤها بلا قيد او شرط ، ونعتبرها امرا غير مقبول ونبذل وسعنا لدرء الكارثة النووية .

صرح السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي الرفيق يوري اندروبوف ، معبرا عن موقف حزبنا بصدد هذه المسألة : " يجب ان يكون المرء اعمى حقا اذا حقائق عصرنا حتى لا يرى ان الاعصار النووي ، بأي شكل وفي اي مكان هب ، لا بد وان يفلت من السيطرة ويسبب كارثة شاملة .

وموقفنا بصدد هذه المسألة واضح : لا يجوز السماح للحرب النووية صغيرة كانت ام كبيرة محدودة ام شاملة . ولا توجد الان مهمة اخطر من وقف مشعلي الحرب الجديدة . هذا ما تقتضيه المصالح الحيوية لكل الشعوب " . (٤)

واذ يوضح الماركسيون - اللينينيون عمق الخطر المسلط على البشرية يكشفون عن مصدره ان امبريالية الولايات المتحدة هي التي خلقت خطر الكارثة النووية . وتفاقم هذا الخطر اليوم اكثر الاوساط العسكرية عدوانية ، تلك الاوساط التي اعتمتها كراهيتها للاشتراكية ،

والتي ترسم تصرفات الادارة الحالية للولايات المتحدة الامريكىة .

في هذه الفترة الحرجة التي يتقرر فيها مصير البشرية ، ينزل الشيوعيون من افكار ماركس تفاؤلهم الاجتماعى وثقتهم بانه سينتصى عدم السماح بوقوع كارثة نووية ، وبأن نضد السلام والشيوعية سننصر . ويقوم نقاؤل الشيوعيين على العلم بقوانين التاريخ ، وعلى معرفة الاعتراف بالخطر ونقيضه بلا وحل ، وعلى الاصرار على خوض النضال صده ، وعلى حساب العوامل التي تمكن من ازالته ، وعلى ادراك ان قوى السلام والثورة تنمو في مسيرة النضال نفسها .

اننا ، اذ نستعرض مسيرة الاحداث العالمية ونقيم التحريه التاريخية منذ ان ارسى ماركس وانجلز اسس النظره الشيوعية العالميه ، نرى بوضوح ان :

- الانجاه العام للتطور العالمى يتفق والافق الذى كشف عنه للانتقال الثورى من التشكيله الاجتماعيه - الاقتصاديه الرأسماليه الى التشكيله الشيوعيه ،

- هذه العمليه التاريخيه لتحرير الانسان من الاستغلال والاضطهاد القومى والاجتماعى والحروب يتم انجازها نتيجه لاوسع الحركات الشعبيه في ظل الدور القيادى للطبقه العامله التي كشف ماركس وانجلز رسالتها التاريخيه وبرهنها عليها -

- حزب الطبقة العامله ، الذى يسترشد بالنظرية الثورية التي وضع ماركس وانجلز اسسها هو القوة المعترف بها التي تنظم الجماهير في نضالها ضد الامبرياليه ، ومن اجل الاشتراكيه ان ايا من النظريات الاصلاحيه ، التحريفيه العديده لم تؤدى في الواقع العملي الى قيام مجتمع يختلف عن الرأسماليه . وكانت الماركسيه - اللينينية هي النظرية الوحيدة التي تجاوز بالاعتماد عليها قسم هام من البشرية اطر الرأسماليه ، وبنى مجتمعاً جديداً ، اشتراكياً، وينجز الانتقال من الرأسماليه الى الاشتراكيه على النطاق العالمى .

ان حقائق الممارسه الاجتماعيه المعاصره هذه تكفي وحدها لجعل الماركسيه متميزه عن كل المذاهب الفلسفيه والاجتماعيه (السوسيولوجيه) والاقتصاديه والسياسه الاخرى باعتبارها تعاليم فريده بقوة تنبئها العلمى ، وبصوابها ودورها الاجتماعى - التاريخى ، وبقوة جاذبيتها .

والماركسيه ، التي طورها واغناها لينين وغيره من المواصلين لقضيه ماركس ، ليست اليوم مجرد نظريه وطريقه للمعرفه العلميه ولدراسه الممارسه الاجتماعيه . فعبير السياسه الماركسيه - اللينينية والممارسه العمليه للاحزاب الثوريه للطبقه العامله تتجسد الاشتراكيه العلميه في ممارسه نضال الشبيله الطبقي ، وفي ممارسه البناء الاشتراكي والشيوعي . وبالتنتيجه يغنتني تطبيق العلم الاجتماعى بخبره كل امة وكل شعب .

وينطلق حزبنا من انه لا غنى عن الماركسيه - اللينينية من اجل الحل المجدى للقضايا التي يطرحها التطور الاجتماعى المعاصر ، ومن اجل تقديم الاشتراكيه بنجاح واطراد في الطريق الى الشيوعيه ، ومن اجل انتصار قضيه السلام في العالم بأسره . وان قيام الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي والاحزاب الشقيقه الاخرى بوضع مفهوم الاشتراكيه المتطورة ،

والكشف عن خصائص العملية الثورية العالمية في الظروف التي أصبحت فيها الاشتراكية القائمة العامل الحاسم في السياسة الدولية هما قسط ابداعي وافر في العلم الماركسي - اللينيني .

كان البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاخرى درجة جديدة نوعيا في المصير التاريخي لتعاليم ماركس . وقد برزت في المقام الاول مهام اقامة الجديد ، لا تحطيم القديم . واذا كانت الثورة الاشتراكية قد اكدت صواب ماركس بصدد زوال الرأسمالية كنظام اجتماعي ، فان البناء الاشتراكي الناجح وحده كان يوسع تأكيد الاستنتاج الجذري ، الرئيسي في تعاليم ماركس ، وهو امكانية تحقيق المثل الشيوعية . والمغزى العالمي - التاريخي لبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وعدد من البلدان الاخرى يكمن في انه اوضح للطبقة العاملة العالمية ، ولكل المناضلين في سبيل التقدم ان مثالنا الشيوعي ليس طوباوية بل قضية قائمة فعلا . وبهذا تدعمت الاسس المعنوية للحركة الشيوعية والعملية ، والى جانب هذا تكونت ظروف جديدة نوعيا من اجل التطوير الخلاق المطرد لنظرية الاشتراكية العلمية . في السابق جرى اعداد النظرية الاشتراكية على اساس تحليل تناقضات واتجاهات تطور المجتمع البرجوازي . وهي الان لا تعتمد على هذا التحليل فقط ، بل وعلى قاعدتها الخاصة ، على الاشتراكية القائمة والنامية فعلا . وكذلك نمت كثيرا مهام العلم الماركسي - اللينيني ، لان المقصود هو حل قضايا نظرية وعملية جديدة تماما وفي غاية التعقيد للبناء الشيوعي .

لقد اظهرت نجاحات وصعاب البناء الاشتراكي مدى اهمية التطبيق الثابت لما اكتشف ماركس من قوانين التحويل الثوري للمجتمع ، ومدى خطر نسيان او انتهاك هذه القوانين ، والتخلف عن مقتضياتها او استباق هذه المقتضيات .

أكدت خبرة البلدان الاشتراكية ان الاشتراكية لا تستطيع ان تنتصر وتتوطد تماما الا على اساس نمط اجتماعي - اقتصادي واحد قائم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج . ولكنها لعقيمة تلك المحاولات الرامية للانتقال الحثيث من الرأسمالية وعلاقات ما قبل الرأسمالية الى الاشتراكية مباشرة والقيام قبل الاوان بالغاء التبادل البضاعي والانتاج الخاص الصغير ونحن نتبين مدى نفاذ بصيرة ماركس عندما قال بحتمية وضرورة فترة انتقال طويلة او قصيرة من الرأسمالية الى الاشتراكية . وفي هذا الصدد نذكر بالمغزى الكبير للسياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) التي وضعها لينين والمعدة لنقل الانتاج البضاعي الصغير تدريجيا الى مجرى الاشتراكية عن طريق جعله انتاجا تعاونيا . وكان المقصود هو موقف الطبقة العاملة من الفلاحين والمنتجين الصغار الاخرين ، وتوطيد التحالف معهم ، وطرق اشراكهم في قضية البناء الاشتراكي .

والى جانب ذلك تجلى تهافت التصورات الزاعمة بانه يمكن للاشتراكية ان تحقق النضوج وتتوصل الى حالة متطورة مع وجود وزن كبير للانتاج الخاص والبضاعي الصغير . وتعلمنا النظرية والتجربة ان الاقتصاد المتعدد الانماط أمر تتميز به فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وانه لا يجوز اعتبار انتصار الاشتراكية كاملا طالما لم ينجز التعميم الاشتراكي للانتاج على نطاق الاقتصاد الوطني بأكمله ولا يمكن للاشتراكية الناضجة

ان نمو وتطور الا على اساسها هي بالذات .
 لدى الحديث عن اهمية مراعاة القوانين الموضوعية للبناء الاشتراكي يمكن الاستشهاد
 بنجربة تطبيق النظرية الماركسية حول اعادة الانتاج . ان تحديد الوثائق المثلى لنمو ونسب
 الاقتصاد الوطني ، ولا سيما التناسب بين انتاج وسائل الانتاج وبضائع الاستهلاك الشعبي ،
 بشكل صمانة لتنمية الاقتصاد بثبات ولحل القضايا الاجتماعية بنجاح ، وعلى العكس ، فان
 الهفوات في التخطيط وحرق مبادئ اعادة الانتاج الاشتراكية والنسب الاقتصادية في هذا
 الاتجاه او ذاك تخلق المصاعب لا محالة ، وتقوض تنمية الاقتصاد وتولد اوضاعا اجتماعية
 خطيرة . وبالتالي ، فان وضع سياسة اقتصادية للاشتراكية والتنفيذ الثابت للقوانين
 الاقتصادية الموضوعية بتطبيقها على الظروف الملموسة بكل بلد ولكل مرحلة من التطور هما
 ضرورة حيوية .

ان تطوير النظام السياسي للاشتراكية وتطوير الديمقراطية مع مراعاة آفاق حركة المجتمع
 الاشتراكي صوب التنفيذ الاكمل فالاكمل لمبادئ التسيير الذاتي الشيوعي هما قضية نظرية وعملية
 هامة . ويعبر الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي اهتماما لا يكل للتفاعل الامثل بين
 مختلف حلقات النظام السياسي ، وللديمقراطية النيابية والمباشرة ، ولماهمة الجماهير
 النشطة في ادارة الدولة ونشاط سوفينات نواب الشعب والنقابات والكومسومول والمنظمات
 الاجتماعية الاخرى وجماعات العاملين ، ويساعد على رفع ثقافة السكان السياسية والحقوقية
 ان اى ابتعاد عن مبدأ المركزية الديمقراطية ينطوي ، كما تبين التجربة على خسائر
 كبرى . ويمكن لاضاعف مبدأ المركزية ان يؤدى الى تقويض المصالح العامة للشعب والدولة
 وتغلب الروح المحلية وتضخيم مطالب الجماعات : ويولد الاستخفاف والاخلال بمبادئ
 الديمقراطية الاشتراكية التشويهات البيروقراطية ، ويقيدان مبادرة الشفيلة الخلاقة .
 وبسرشد الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي على الدوام بارشادات لينين القائلة بان
 الاشتراكية والديمقراطية لا ينفصلان ، وان التنظيم الرفيع والانضباط الحكومي في المجتمع
 الاشتراكي مستحيلان بدون تطوير الابداع والنشاط الخلاقين للجماهير الشعبية .
 ان وضع التناسب والتوازن للعناصر والجوانب المتنوعة والمتغيرة بسرعة للحياة
 الاجتماعية هو اصعب ، طبعا ، من وضع العناصر الكيماوية في ميزان المختبر مثلا . والتغلب
 على عدم التناسب وعدم التوازن ، والدمج الامثل والمتسق لكل اجزاء البنية الاجتماعية لا
 يتحققان الا بالتطوير المستمر لهذه البنية .

لم تصور الماركسية - اللينينية المجتمع الاشتراكي في يوم من الايام كشكل اجتماعي
 مكتمل تماما من كل الجوانب وخال من التناقضات والصعوبات والنواقص . كتب انجلز ، ان
 الاشتراكية ليست شيئا جامدا . بل تتعرض لتغيرات وتحولات دائمة . (٥) وان قيام
 الشيوعية وتكونها الفعلى هما حركة تاريخية عظيمة تتطور ، شأن كل حركة ، عن طريق
 تدليل التناقضات . والمغزى العظيم للتعاليم الماركسية - اللينينية عن طوري الشيوعية ،
 وعن الاشتراكية بوصفها الطور الاول منها يكمن في انه ينظر الى التشكيلة الاجتماعية
 الشيوعية ايضا في حالة تطور ومن زاوية الافق التاريخي .

ان الاشتراكية القائمة هي نظام اجتماعي دينامي حافل بالقوة الحيوية وقادر على تحقيق اعظم الانجازات التاريخية . والنجاحات التي حققتها بلدان الاشتراكية في تطوير الاقتصاد والحياة الاجتماعية ، وفي النهوض بثقافة الجماهير ورفاهيتها تبين امكانيات النظام الجديد التي لا تنضب وافضلياته التي لا جدال فيها على الرأسمالية . والجمع بين هذه الافضليات ومنجزات الثورة العلمية - التقنية يخدم تقدم المجتمع الاشتراكي ويمكن لدان يساعد اكثر فاكثرا على هذا التقدم . ويعبر الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي اهمية فائقة للتحقيق العملي لمبدأ ماركس المعروف حول جعل العلم قوة منتجة مباشرة . ولا يحد العلم قوة كهذه من تلقاء ذاته ، بل حينما تتحسد منجزاته في وسائل الانتاج والدراس التكنولوجية ، ومن ثم في ايجاد الخبرات المادية . وتحول العلم الى قوة منتجة وتطبيق منتجها في الممارسة الاجتماعية يسفران عن حركة اجتماعية واسعة وجماهيرية وفعالة بشكل خلاق ، ويغدوان قضية لكل شغل وللشعب بآسره .

واذ تنطور الاشتراكية العالمية وترتقي ، نؤدى قسطا لا يقدر بثمن في حل القضايا العالمية - التاريخية للبشرية ، مبنية القدرة الحيوية للماركسية - اللينينية .

ان طروحات ماركس النظرية، التي طورها لينين على نحو خلاق في الظروف التاريخية الجديدة ، تمكن من التقييم العلمي للانجازات الرئيسية في تطور المجتمع الرأسمالي . وتناقض الرأسمالية الاساسي، الذي يتحلى كتنافر بين العمل ورأس المال ، واكتسب بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، المزيد من الانساع والعمق، اولا ، كتنافس عالمي بين النظامين وثانيا، كتنافس في اطار المجتمع الرأسمالي نفسه بين الاغلبية الساحقة من السكان وبين الاحتكارات . وكذلك فان التنافر بين البلدان التابعة ومراكز الامبريالية، التي تمارس سياس الاستعمار الجديد، هو عنصر جديد للتناقض الاساسي للنظام الرأسمالي .

واخيرا، فان الثورة العلمية - التقنية تعمل ايضا في اتجاه تقويض الدعائم الاجتماعية لرأسمالية الدولة الاحتكارية . فهي تضاعف موضوعيا المقدمات المادية للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية، وتؤدى الى مستوى اعلى من اضاء الطابع الاجتماعي على الاناج وتداوله والى احتدام التناقضات بين الطابع الاجتماعي للقوى المنتجة وبين الملكية الرأسمالية . وتعاظم كل هذه المجموعة من التناقضات يخرب دعائم الرأسمالية ويقاوم ويعمق ازمتها العامة .

وتجعل تعاليم ماركس ولينين عن الطابع الدورى لتطور الاقتصاد الرأسمالي من الممكن اعطاء تحليل شامل للقضايا الاساسية اللازمة للاقتصادية المعاصرة في النظام الرأسمالي، لقضايا التضخم والبطالة والاضراب المستعصية الاخرى للنظام البرجوازي. وفي هذا الصدد ثمة قيمة كبرى للاستنتاجات الماركسية اللينينية الاساسية حول الاثار الوبيلة لاضفاء المصفا العسكرية على الاقتصاد الرأسمالي، الامر الذي اتخذ في ايامنا مقاييس خطرة بشكل خاص .

اعار ماركس اهتماما خاصا في مؤلفاته لدور الدولة البرجوازية، ولوظيفة الاقتصاد ، بما في ذلك سياسة الحماية الجمركية وسياسة الضرائب وغير ذلك . واذا تابع لينين هذا التحليل في القرن العشرين، كشف عن التلاحم بين الدولة والاحتكارات الرأسمالية، واطهر الملامح الاساسية لرأسمالية الدولة الاحتكارية . واليوم اصبح تنظيم رأسمالية الدولة الاحتكارية

للاقتصاد أمرا ذا أهمية خاصة سواء من الناحية العملية أو الناحية الساسية. وازمذ وسائل التنظيم البرجوازية تزداد عمقا، ولكن الطبقات الحاكمة لا تزال تحتفظ بعبر قليل من الاحتياطات، وهي لا تنوى، بالطبع، أن تتخلى طوعا عن السلطد والروافع الاقتصادية لاستقرارها...

أن سير عدد من الدول الوطنية الفتية في طريق التوجه الاسراكي يعطى تأكيدات جديدة لافكار ماركس ولينين وحول امكان الانتقال التدريجي للشعوب التي كانت مخلفة الى الاشتراكية متخطية مرحلة التطور الرأسمالي وذلك بدعم من البلدان الاشتراكية... وهكذا فإن عمليات التجدد الاجتماعي للعالم الحارية الآن، وقيام التشكيل الاجتماعي الجديدة، الشيوعية هي تعبير في العصر الحاضر عن القانون العالمي لاشكال التطور الذي اكتشفه مؤسسو الماركسية - اللينينية.

ويحق لنا أن نقول اليوم أن الافكار العظيمة لماركس وانجلز ولينين قد رسخت في الحركد الشيوعية العالمية باعتبارها النظرية العلمية الوحيدة للطبقة العاملة. هنا يكمن، في رأينا المصدر الذي يجعل هذه النظرية تؤدى وظيفتها كأكثر قوى عصرنا السياسية نفوذا في النضال من أجل السلام والاشتراكية، وضد الامبريالية. وهنا ايضا ترى عربون متانة الصلات الاخوية بين شغيلة كل البلدان وقاعدية الاممية البروليتارية التي تزيد من نفوذ الطبقة العاملة اضعافا مضاعفة في كل بلد، وعلى المسرح الدولي:

أن تعاليم ماركس وانجلز ولينين هي ثروة اممية مشتركة للطبقة العاملة العالمية. وهي تتطور وتغتنى سواء نتيجة العمل الابداعي الجماعي المشترك، أو نتيجة للتسلط الذي تؤدیه الاحزاب كل على حدة وجماعات العلماء والمنظرين. ولا يمكن لهذه التعاليم اجمالا، ولا لای من اقسامها المكونة، ولا لهذه الاحكام أو تلك أن تكون مادة احتكار قومي أو قارى. والابحاث الماركسية، سواء اكانت مادتها العمليات العالمية أم القومية، هي اممية دوما بغض النظر عن جبرها وعن المكان الذي تجرى فيه. إذ أن الفلسفة الماركسية والاقتصاد السياسي والنظرية الاشتراكية لا يمكن أن تكون قومية أو اقليمية. والماركسية - اللينينية لا تختلف من هذه الناحية عن أى علم آخر، عن الرياضيات أو الفيزياء عن البيولوجيا أو الكيمياء.

أن عظمة ماركس والاهمية الاممية التي لا تخبو لافكاره ناجمة عن أنه اظهر الاتجاهات والقوانين الاساسية للتطور الاجتماعي السارية في كل مراحل التاريخ العالمي، بما في ذلك الرأسمالية وفترة حلول الاشتراكية مكانها وتطور المجتمع الاشتراكي حتى المرحلة العليا للشيوعية. والاهمية الاممية لافكار ماركس ناجمة ايضا عن أنه اعطى الطبقة العاملة ادوات جباره للمعرفة تمكنها من ايجاد الحلول للقضايا الاجتماعية التي تظهر في الطريق التاريخي الى الشيوعية، ذلك الطريق المعقد والمتنوع والذي يكتنفه المجهول. ولهذا كانت تعاليم ماركس ولا تزال نجمة هادية لاجيال الثوريين من المناضلين ضد الرأسمالية والامبريالية لبناء الاشتراكية والشيوعية في كل بلدان العالم.

من المفهوم أنه لا مجال، في المسائل التي تمس الحقيقة العلمية للماركسية، لاية حلول وسط، ولاية تنازلات فكرية - نظرية. والابتعاد عن تعاليم ماركس ولينين هو مجرد شكل

فكرى للقطيعة مع قضيتيها ، قضية الثورة الاشتراكية والشيوعية . ويصون الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي مع الاحزاب الشقيقة الاخرى نقاء النظرية الماركسية ، حيث تصد كل محاولات تشويه جوهرها الطبقي والعلمي ، وتشير الى الترسبات الغربية عن روحها الثورية - الانتقادية . ان الجبهة المعاصرة للممارسة الثورية ، وبالتالي للابحاث الماركسية في غاية الانساع والتنوع والضخامة . اذ ان عصرنا نفسه يتميز بأعلى دينامية تاريخية وباكث ما يكون من تنوع وتناقض العمليات الاجتماعية . انه عصر التحول الجذري لاسس الحياة الاجتماعية . مع العلم انه باتساع مجال التجديد الثوري للعالم ، تسلك بلدان جديدة طريق التحولات الاشتراكية في ظروف تاريخية جديدة ليس من النادر ان تكون ظروفها مغايرة تماما ومتبدلة . وينجم عن كل هذا استحالة التكرار الحرفي للاشكال التاريخية - الملموسة للانتقال الى الاشتراكية ، تلك الاشكال التي ضمنت الانتصار في هذه البلدان او تلك . ويبرز تعميم الاشكال الملموسة للنحل نحو الاشتراكية كأهم مقدمة نظرية لجعل التيارات الثورية المتنوعة في عصرنا تسير في المجرى الاشتراكي . وكما تم استيعاب تنوع الاشكال الملموسة للانتقال الى الاشتراكية بصورة أعمق من زاوية القوانين العامة لقيام التشكيلة الاجتماعية الشيوعية ، استطاع فكرنا النظري بمزيد من السهولة والصواب ان يميز الامكانيات الجديدة للعملية الثورية في الحركات الاجتماعية المتنوعة للجماهير في هذه البلدان او تلك

ان التفاوت في التطور الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي يخلف اثره على الحركة الشيوعية والعمالية والتحريرية - الوطنية . نحن نرى مدى تنوع القضايا التي تحلها الاحزاب ، حتى تلك المنضوية الى تيار ثوري واحد ، سواء اكانت أحزابا تعمل في البلدان الاشتراكية ام تعمل في البلدان الرأسمالية . ونحن نرى مدى تنوع الخصائص لدى حل مهام من نمط واحد . وهناك المزيد والمزيد مما هو جديد ومبتكر تحمله الممارسة الاجتماعية لشعوب كل بلد اشتراكي وتعاونها على حل المهام المشتركة والوطنية للتطور الاجتماعي - لقد اصطدمت البشرية على عتبة القرن الحادي والعشرين بقضايا شاملة تتجلى بصورة مختلفة في البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ومستويات التطور الاجتماعي المتباينة ، وتعني بها قضايا الطاقة والاعذية والسكان والمواد الأولية واستيعاب منجزات الثورة العلمية - التقنية . وهناك الكثير من القضايا الفريدة تطرحها امام الشيوعيين الازمة الاقتصادية التي شملت العالم الرأسمالي ، والنضال الذي نشب على المسرح العالمي في سبيل نظام اقتصادي جديد . وتكتسب مغزى جوهريا مسائل التفاعل السياسي الأكثر فاعلية بين مختلف القوى الثورية ، ولا سيما بين الاشتراكية العالمية والحركة العمالية والنضال التحرري - الوطني ضد الامبريالية . .

واذ كشف ماركس عن شروط وعوامل ووسائل تحرير الطبقة العاملة ، توصل الى استنتاج اساسي مفاده ان النضال الناجح ضد رأس المال وتحقيق المثل الشيوعية مستحيلان بدون تضافر عمال كل القوميات والاجناس والبلدان . والاممية البروليتارية هي الروح الحية للنظرية الماركسية فقط ، بل ولكل ممارستها السياسية . وبدونها تفقد الطبقة العاملة فاعليتها وقد حذر ماركس من انها قد تذوق مرارة الهزيمة المشتركة ثمنا لتشتت جهودها . .

كانت امنية ماركس البروليتارية بمثابة مبدأ رئيسي للسياسة الثورية للطليعة الشيوعية، وقد استوعبها لينين وطورها بمقتضى ظروف عصر الامبريالية والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية. وتشكل الاممية البروليتاريا الاساس الراسخ لنشاط الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. واذ يسترشد حزبنا بمبادئها يقف بثبات الى جانب تطوير التعاون، وتدعم الوحدة والتضامن بين الاحزاب الشيوعية والعمالية الشقيقة، في النضال المشترك من أجل السلام والاشتراكية. والاممية البروليتارية هي بالنسبة للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي الميار الذي يقيس به ستراتييجيته للبناء الشيوعي ونهجه السياسي الخارجي. وهي التي تحتم دعمه المتنوع للشعوب المناضلة في سبيل الحرية والاستقلال والتقدم الاجتماعي.

اليوم، بعد مئة سنة على رحيل ماركس، تنتصب بجلاء، وكمال القوة المظفرة لافكاره وصلتها الوثيقة بالحركة التحررية في عصرنا. ويرى الشيوعيون في نشر تعاليم الماركسية - اللينينية على نطاق اوسع بين الجماهير وسيلة فعالة لاكتساب الشعوب الى جانب الاشتراكية والمثل الشيوعية العظيمة ..

(بيوتر فيدوسيف - تراث فكرى امي عظيم)

الهوامش :

- (١) ماركس وانجلز . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٣٧١ .
- (٢) المصدر السابق ص ٤٤٥ .
- (٣) ماركس وانجلز . المؤلفات ، المجلد ١٦ ، ص ١١ .
- (٤) " ترافدا " ، ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٨٢ .
- (٥) ماركس وانجلز . المؤلفات ، المجلد ٣٧ ، ص ٢٨٠ .

الدما، بدى النواقد

من الارب والواقع

عن دار العودة في بيروت، صدر ديوان
 "الدما، بدى النواقد" للساعر ممدوح عدوان
 ويضم الديوان ثل فطائد: هذا المقطع
 الصغر من قصده فى الديوان بعنوان هاحرب
 من عروسها:
 "كتب اعرف هدى الممدوح
 كانت سوارعها تأنطى فى لبالى الححر
 وبواعدى فى العباب
 تكاسى اذ يطول السفر
 سكى لى، وسفل برى
 بذكرى بالزمان القدم
 ابوجه سوا
 وحين ارى وجهها فى اللقا،
 اسر، فسمم

عن المؤسس العربى للدراسات والسر
 فى بيروت صدر كتاب "الادب الصهيونى
 الحدث من الارب والواقع" لحدود العدد.
 ضمن الكتاب مقدمه وحما فى الجذور
 التاريخى - التراث الدسلى واللعد العربى -
 اساب الوجود - الدعود الى الانعلاق - المطق
 العصرى - فلسطين فى الادب الصهيونى -
 الادب الصهيونى وحما لوجه امام السب -
 الصراع النفسى - ععدة الصعد - ععدة النعالى
 مظاهر الصراع فى الادب - المعاوضات الساسه
 وارفع المعصوبات - البكد المسمود -
 وواصل الموب - الادب الصهيونى والسواق
 التاريخى - نفع الكتاب فى ١٥٢ صفح من
 العظم الموسط.



يا عمال
العالم

اتحدوا



في التراث المجيد لكارل ماركس

” يجب بعث استقراء العمال
وغدم التذليل لأضراب
البرجوازية الصغيرة - “
ماركس

بقلم : بسام الصالحي



ماركس

ليس اصدق من حيوية الماركسية ،
واغتنائها المتجدد ، من الرسوخ الثابت
للمبادئ الاساسية التي ارستها والتي ما زالت
تعتبر مقياسا لصدق الالتزام. بفكر الطبقة
العاملة ومصالحها الجذرية برغم التطور
والتعقد الهائل في ظروف العصر .

لقد اكتشف ماركس وانجلز منذ البداية ،
وحددا في البيان الشيوعي ” الدور التاريخي
للبروليتاريا ، بوصفها الطبقة الوحيدة الاكثر
ثورية ، وبدور حزبها الطليعي ، وفي كل

نضالهما العملي التزم ماركس وانجلز بالنقا
المطلقة بالطاقة الهائلة للبروليتاريا ، ونافلا
بدأب وثبات من أجل تنظيمها وبناء ادايتها
الطليعية وتوحيد نضالاتها .

ينادى بعض مدعى الماركسية اليوم
باصطلاحات جديدة محاولين اختلاق اساس
نظري يبرر لهم الانسياق والتذليل خلف
شعارات البرجوازية ، وتنظيمات البرجوازية

الصفحة المختلفة ٥٥

وأشد ما يغيظ هؤلاء، تمسك حزب الطبقة العاملة الحازم باستقلاليتها ورفضه الدائم لأشكال الضغط والابتزاز أو التكيف مع الاغراءات المالية الهائلة التي نذر بها الساحة الآن .
ان النتيجة العملية الوحيدة التي ارادها البعض لنفسه وكانوا يريدونها لحزب الطبقة العاملة الفلسطينية تتلخص باتجاهين :-
الاول : تذيل الطبقة العاملة وايدولوجيتها خلف تنظيمات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وانكارها استقلاليتها .
الثاني : اضعاف الاداة التنظيمية للطبقة العاملة وتشتيت وحدتها التنظيمية والسياسية ٥٥

ماركس وانجلس :

الدفاعان الامينان عن استقلالية الطبقة العاملة وحزبها ؛

في المؤلفات النظرية لماركس ، وفي مواقف العملية في المراحل الثورية المختلفة ، تتجلى الروح الثورية والاسهام الجدى في نصير الطبقة العاملة وقادتها بواجبات الكفاح الثورى وباهمية التسليح بالوعي والتنظيم العمالي

وتشكل الرسالة التي ارسلها ماركس وانجلز في اواخر اذار ١٨٥٠ الى عصبة الشيوعيين توجيهها واضحا للحركة العمالية في ألمانيا لمساعدتها في شحذ اسلحتها لمواجهة مرحلة من النهوض الثورى كان يتوقعها ماركس وانجلز في ألمانيا .

ان القضايا الاساسية التي تضمنتها الرسالة

وهي فضلا عن فكرة " الثورة المستمرة " التي لا بد ان تؤدى الى القضاء على الملكية الخاصة والطبقات والى تأسيس المجتمع الجديد ، فقد أكد ماركس وانجلس بصورة خاصة على ضرورة انشاء حزب بروليتارى مستقل ، وعلى ضرورة التميز عن الديموقراطيين البرجوازيين الصغار .

لقد اراد ماركس ان يعدّ البروليتاريا الألمانية للمرحلة الثورية القادمة بالذخيرة الاساسية اللازمة لها . مستفيدا من تجربة السنتين الثوريتين ٤٨-٤٩ في ألمانيا . فعلى الرغم من تقدير ماركس وانجلس لنجاح عصبة الشيوعيين خلال هاتين السنتين " في الامتحان مرتين : لان اعضاءها اشتركوا في كل مكان بحزم وعزم في الحركة ، لانهم وقفوا في الصحافة وعلى المنابر وفي ميادين القتال في الصفوف الاولى من الطبقة الوحيدة الثورية قطعاً البروليتاريا ، ثم نجحت كذلك بمعنى ان نظراتها الى الحركة كما عرضت في الرسائل التميمية الصادرة عن المؤتمرات وعن اللجنة المركزية في سنة ١٨٤٧ وفي "البيان الشيوعي" قد كانت النظرات الوحيدة الصحيحة ، ٥٥
وان فهم الوضع الاجتماعي الراهن - الذى كانت العصبة تزوجه من قبل سرا فقط - هو الان على السنة الجميع ، وتجري الدعوة له علنا في الساحات " (١) فان تنظيم العصبة السابق القوى قد ضعف ، بينما كان ينمو ويقوى تنظيم البرجوازية الصغيرة ، الامر الذى اوقعه في مجرى الحركة العامة تحت سيادة الديموقراطيين البرجوازيين الصغار .

وعلى اساس هذا الواقع ، يحدد ماركس وانجلس المهمة الاساسية امام العصبة " يجب بحث استقلال العمال " (٢) .
لم تستطع الاشكال وظروف النضال الثورى المكشوف ان تغمر ماركس وانجلس بمتطلباتها



العملية. بعيدا عن وضوح الرؤيا الاساسي. هذه الظروف التي اثرت في عصبة الشوعيين اثناء ٤٨ - ٤٩ ، ففي معرض تقييمه للاسباب التي ادت الى ضعف تنظيم العصبة القوي يرى ماركس " أن فسما كبيرا من الاعضاء ، كان قد اشترك مباشرة في الحركة الثورية قد ظن ان زمن الجمعيات السرية قد ولى عهده وانه يكفي اليوم النشاط السافر وحده و" شرعت بعض الدوائر والملل تهمل اتصالاتها باللجنة المركزية ثم اوقفتها كلها تدريجيا .

وهكذا فقد "الحزب العمالي سندهم المتين" ان الاسهام الفعال في النشاط الثوري وبمختلف اشكاله ، وانتشار افكار العصبة الواسع لم يمنعا البرجوازية من السيادة على حزب العمال ، وذلك في الاساس بسبب ضعف التنظيم وهكذا فقد حدد ماركس المهمة العاجلة

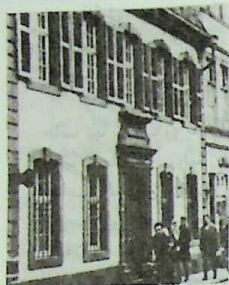
في اعادة تنظيم العصبة " لانه من المتوقع نشوب ثورة جديدة ، ولانه ينبغي بالتالي على الحزب العمالي ان يعمل باكثر ما يمكن من التنظيم . واكثر ما يمكن من الاجماع ، واكثر ما يمكن من الاستقلال اذا شاء ان لا تستثمره البرجوازية من جديد كما في سنة ١٩٤٨ . وان لا ينجر في ذيلها " .

ان هذا الاستنتاج الاساسي لا تغيره ظروف النضال التحرري الوطني ، ولا تقتضي مرحلة التحرر الوطني المبالغ من جانب حزب الطبقة العاملة في التذيل وفقدان الاستقلال امام الشعارات او المواقف المختلفة حفاظا على "المصلحة الوطنية" ، فان المصلحة الوطنية في النضال والتحرر هي ايضا وفي الاساس مصلحة الجماهير الشعبية الكادحة ، ومصلحة انطبقة العاملة ، والتي يعبر عنها ويستوعبها حزبها الطليعي وهو بمقدار تمسكه بها والمحافظة عليها يخدم واجبات النضال الوطني ، هذا لا ينبغي التحالفات من حيث الاساس ولكن دون خضوع وتذيل فكر الطبقة

تخريم ماركس ولينين وفير ماردي اوانر من قبل عمال المناجم في انجلترا

العاملة للبرجوازية بمختلف اشكاليها ، وذلك ببساطة ايضا لان البرجوازية ترفض كذلك الخضوع والتذيل لفكر الطبقة العاملة .

ان حقيقة انتقال فئات مختلفة من البرجوازية الصغيرة وتنظيماتها ، ومن الديمقراطيين الثوريين نحو الماركسية ، وتحول حركاتها الى احزاب ماركسية لم يكن نتيجة لتذيل فكر الطبقة العاملة امام البرجوازية الصغيرة ، بل كان اعترافا جريئا وواضحا ودون غرور من جانب هؤلاء بفكر الطبقة العاملة وبضرورة اخضاع مصالح وتوجهات البرجوازية الصغيرة في صالح قضية الطبقة العاملة وفلسفتها الثورية ، أن هذا لم ينشأ نتيجة مناورات او معاهدات هدنة بين فكر الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة بل كان نتيجة حاسمة للصراع السافر بين منهجين ..



منها ولد ماركس



انجلىر ماركس وبناتيه. الثلاثه

الصغار من التجار والصناعيين الصغار ومن المعلمين والحرفيين وحسب، بل يسير وراءه كذلك الفلاحون والبروليتاريا الريفية طالما لم تجد سندا في البروليتاريا المستقلة في المـدـن .

"ان موقف حزب العمال الثورى من الديمقراطية البرجوازية الصغيرة هو التالي : أن حزب العمال الثورى يسير معها ضد تلك الكتلة التي يسعى الى اسقاطها وهو يقف ضد الديمقراطية البرجوازية الصغيرة في جميع الاحوال التي تريد فيها هذه الديمقراطية ان توطد مركزها في مصلحتها بالذات ."

ان هذا الاستنتاج كان حسيلا، لتحليل دقيق لطبيعة الكتل المكونة للحزب الديمقراطي الذى يشغل دوره في المعارضة ويسعى للاضطلاع بدوره في الثورة. فقد صنف الكتل المكونة لهذا الحزب الى ثلاث، وحدد مصالح كل من هذه الكتل ومدى استمرارها في الثورة. هذه الكتل مكونة من اكثر اقسام البرجوازية الكبيرة تقدا ومن البرجوازيين الصغار الدستوريين الديمقراطيين، ومن البرجوازيين الصغار الجمهوريين يجمعهم الان شيء واحد، انهم مضطرون الى الوقوف ضد البرجوازية التي اتحدت مع الحكم المطلق، والى الاعتماد على البروليتاريا. وبرغم ان

ان التذيل للبرجوازية الصغيرة لا يساعدها على الاقتراب من فكر الطبقة العاملة وحزبها . بل يدفعها اكثر نحو الاغراق في الضنح البرجوازي الصغير ويدفع الطبقة العاملة اكثر في ذيلها . .

ان الموقف المتشدد لماركس وانجلس من استقلالية حزب العمال، وتنظيمه القوى، لم يكن معزولا عن الظروف المعقدة التي تجابه البروليتاريا واهمية عقد التحالفات والنضالات المشتركة ضد السلطة الرجعية ، بل على العكس كانت هي المدخل الوحيد الصحيح من اجل صياغة تكتيك النضال البروليتارى في تلك الظروف، ان هذا التكتيك كان مبنيا في الاساس ليس فقط على المصالح الانية للطبقة العاملة بل على مستقبل نضالها الطبقي ، على اهدافها النهائية، ولذلك كان عليها الدفاع بكل حزم عن استقلالها .

لقد حدد ماركس الموقف الذى ينبغي لحزب العمال الثورى اخذه تجاه البرجوازيين الصغار الديمقراطيين بعد ان حدد دور هذا الحزب في الحركة العامة .

"ان الحزب الديمقراطي البرجوازي الصغير في المانيا قوى جدا، فهو لا يشمل اغلبية كبيرة من سكان المدن البرجوازيين

هذه الكتل تنعت نفسها بعد هزيمتها
"بالجمهورية" و"الحمراء" الا ان تغيير اسم
الحزب لا يغير اطلاقاً موقفه من العمال .

ولكل من هذه الكتل المتحدة مصالح
خاصة بها ، ويجب رؤية هذه المصالح كما يجب
رؤية مصالح البروليتاريا النهائية ورؤية
جوانب التناقض ، فبينما يحدد ماركس ان
البرجوازيين الصغار بعيدون عن فكرة احراء
الانقلاب في المجتمع باسره في مصلحة
البروليتاريين ، فان مصالح البروليتاريا تتجه
نحو ابقاء الثورة مستمرة حتى يتم اقضاء جميع
الطبقات الميسورة الى هذا الحد او ذاك عن
السيادة .

" ان المقصود بنظرنا ليس تغيير الملكية
الخاصة بل القضاء عليها وليس طمس
التناقضات الطبقيّة بل القضاء على الطبقات
ليس تحسين المجتمع القائم بل بناء مجتمع
جديد " .

ان تحديد الاهداف الواضحة ورؤية الفارق
بينها هو المسألة الهامة في اراء التاكتيك
الصحيح وفي الموقف من البرجوازية ، ان
ماركس كان يعتبر سيادة البرجوازية الصغيرة
خلال حقبة معينة من الزمن امر لا شك فيه ،
وبالتالي يجب على حزب العمال ان يتعامل
مع هذه الحقيقة ، ولكن ما كان يمكن له النجاح
في ذلك دون فهم الاهداف الاستراتيجية
للبوليتاريا وكذلك في رؤية الحدود القصوى
لحركة البرجوازية ، ولهذا نتساءل ، أي موقف
ستتخذه البروليتاريا . ولا سيما العصبة ، من
الديمقراطية البرجوازية الصغيرة " ، ويعالج
ماركس هذا الموقف خلال ثلاث مراحل :-

(١) في المرحلة الراهنة التي يجد فيها
الديمقراطيون البرجوازيون الصغار
انفسهم في وضع مرهق .

(٢) في النضال الثوري القريب الذي سيؤتي من

لهم التفوق .

(٣) عند انتهاء هذا النضال ، وسنألو
التفوق على الطبقات المغلوبة وعلى
البروليتاريا .

ان البوصلة الهادية في كل هذا الموقف
مصلحة البروليتاريا ، وتنظيم واستقلال حزبها
ففي المرحلة الاولى والتي تبدى فيها
البرجوازية التملق الكبير نحو العمال
وتدعوهم الى الوحدة والمصالحة ، ويدعون
الى تأسيس حزب واحد كبير يضم كل التيارات
ويمثل برنامج البرجوازية ومصالحها وعلى
البروليتاريا الا تطرح فيه برنامجها مراعاة
للرغبة الجامعة في المصالحة والوحدة . يحدد
ماركس ان على حزب العمال رفض هذا
التوحيد رفضاً قاطعاً . لان هذه الوحدة
ستفقد البروليتاريا استقلالها كلياً . وتسقطها
كذيل للبرجوازية الديمقراطية الرسمية .

ومقابل هذا يحدد ماركس الواجب امام
حزب العمال " يجب على العمال وعلى العصب
في المقام الاول بذل الجهد لكي يؤسروا
الى جانب الديمقراطيين الرسميين ، منظمة
مستقلة ، سرية وعلمية ، لحزب العمال " .

ويشير ماركس الى ان اقصى ما يخف
البرجوازيين ويدل على عدم جديتهم في
دعواتهم هذه ، الى التحالف مع البروليتاريين
هو في ان تكون لهؤلاء قوة موازية لقوة
الديمقراطيين البرجوازيين ، انهم يحطون
بضروة على العمال المنظمين تنظيمياً مستقلاً ،
وان موقفهم هذا لا يمنع من التحالف .
حيث ان الحاجة الى نضال ضد العدو
المشترك في مرحلة معينة ، تتطابق فيها مصالح
الحزبين تطابقاً مؤقتاً ، تؤدي الى نشوء
تحالف معد للظرف المعني .

وهكذا فهم يشنون هجومهم على العمال
المنظمين ، ويعتمدون على الظرف الموضوعي

هذا الصراع بين الطبقات ، وكذلك بما ان ظروف الواقع الموضوعي تلعب دورا اساسيا في تقريب او ابعاد مصالح هذه الطبقات في فترات تاريخية مختلفة ، وان لا مجال هنا للنوايا الطيبة كبديل عن التحليل الطبقي الدقيق ..

ان التحليل الطبقي الدقيق يجعل الاستنتاج الماركسي صائبا ، في ان استقلالية الطبقة العاملة لا تعني بالضرورة نفسي التحالفات ، بل ان التحالف للطرف المعني ، هو نتيجة تقارب مصالح مجموعة من الطبقات ولذلك فهي مضطرة له ، وفي هذه الاثناء تسعى البرجوازية ، للاستفادة القصوى من اجل قيادة هذا التحالف واخضاعه لسيطرتها . وعندما لا تكون هناك حاجة موضوعية فان البرجوازية تضطهد وتقمع وترهب العمال ، وتشن ضدهم هجوما سافرا ..

ان استيعاب هذه الحقيقة يعطي الجراءة والقوة لتاكتيك البروليتاريا كما يعطيه البوصلة الاستراتيجية دائما في رؤية المصالح النهائية للحركة ..

وقد لا يتمكن العمال الالمان من بلورة السيطرة والسيادة " الا ان اكثر ما سيفعلونه بانفسهم لاجل انتصارهم النهائي ، هو انهم سيوضحون لانفسهم مصالحهم الطبقية ، ويشغلون ، بأسرع ما يمكن موقفهم الحزبي المستقل ، ولن يتساقوا وان لحظة واحد ، بحيث يصرفهم البرجوازيون الصغار الديموقراطيون باقوالهم المرائية عن طريق التنظيم المستقل لحزب البروليتاريا " .

بهذا الوضوح اراد ماركس وانجلس ان يسلح البروليتاريا الالمانية ، قبل مئة وثلاثة وثلاثين عاما ، ،
فعجبا لمنظرى التذيل الجدد الان ؟ !

في انشاء تحالفات مؤقتة يسعون كذلك لاستغلال العمال فيها معتمدين على طاقة العمال الثورية وعزمهم الكبير .
صحيح ان بمقدور البرجوازية استغلال هذه

الطاقة لدى البروليتاريا والاستفادة منها الا ان ذلك يجب الا يدفع البروليتاريا الى التسليم بذلك وترك امر قيادتها للبرجوازية كما ترغب وتدعو حسب مفاهيمها " للوحدة " .
واما في المرحلة الثانية فان ماركس يشدد على اهمية ان يكون العمال مسلحين ومنظمين بقوة لكي يستطيعوا مجابهة الحزب الجديد الذي يريد استغلال النصر لصالحه .

وفي المرحلة الثالثة على العمال ان يكونوا منظمين تنظيما مستغلا ومركزين داخل نواديهم ..

وان يحافظوا على حقهم في الترشيح والمشاركة في الانتخابات ، وصيانة موقفهم المستقل ..

" ويجب على العمال ان يقدموا مرشحين حتى حيث لا وجود لاي امل في انتخابهم ، وذلك لكي يصونوا استقلالهم ويحسبوا قواهم ويعلموا صراحة موقفهم الثوري ووجهة نظرهم الحزبية " .

وعلى العمال ان يعارضوا خطط البرجوازية ضد العمال الزراعيين والفلاحين بخطة بروليتارية حازمة من اجل تصفية الاقطاع وتحقيق " مستوطنات " عمالية على الاراضي المصادرة من الاقطاعيين بعد تحويلها لملكية الدولة ..

وباختصار " يجب ان تتشاكل مطالب العمال بمزيد من الشدة مع تنازلات الديمقراطيين واجراءاتهم " .

ان هذا الموقف المتشدد من مسألة استقلال حزب الطبقة العاملة ، ينطلق من حقيقة وجود الصراع الطبقي ، وان لا شيء قادر بما في ذلك الرغبات الذاتية على نفي

ماركس والمسألة اليهودية

بقلم : صالح زقوت

يرجع تاريخ أول اضطهادات عنيفة قاساها اليهود في أوروبا الى زمن الحروب الصليبية وقد امتد هذا الاضطهاد الى العصر الحديث ، فنشأت المسألة اليهودية في أوروبا وقد انقسم المفكرون الذين حللوا هذه المسألة الى اتجاهين :-
الاتجاه الأول :

_____ وهو اتجاه غير علمي مثالي نظر الى المسألة من زاوية دينية وقد تبلور هذا الاتجاه بشكل عملي في فكر البرجوازية اليهودية الكبيرة والذي تجسد في الايدلوجيا الصهيونية والتي حاولت ان تجد حلا للمسألة اليهودية خارج المجتمعات التي عاشوا في أحشائها محاولة ان تفصل جماهير اليهود عن النضال الديمقراطي والثوري الذي خاضه شعوب أوروبا ضد الرأسمالية بكافة أشكالها وقد تجسد هذا الحل في الكيان الصهيوني في فلسطين بالتعاون مع الامبريالية البريطانية والفرنسية ثم الامريكية ..
وأما الاتجاه الثاني -

وهو الذي حلل القضية على أسس الفلسفة العلمية أي الفلسفة الماركسية ولقد كان كارل ماركس مؤسس نظرية الاشتراكية العلمية اول من بحث هذه المسألة في كتابه المسألة اليهودية ووصفها في سياقها الصحيح كاشفا تنقاضات المجتمعات الأوروبية التي ولدت هذه المسألة ومحددا اسبابها الحقيقية وواضعا لها الحلول الثورية التقدمية وهذا ما يهمننا من هذه الدراسة السريعة وهو الفاء الضوء على آراء وأفكار كارل ماركس حول المسألة اليهودية
أولا : أسبابها :-

قال كارل ماركس في كتابه المسألة اليهودية ص ٥٥ "لقد عاشت اليهودية في أوروبا ليس ضد التاريخ وإنما بالتاريخ وأضاف قائلا وإنما ينسل المجتمع البرجوازي اليهودي من أعماق أحشائه هو نفسه دون انقطاع".

وقال أيضا ص ٥٩ من الكتاب نفسه "لقد ثبتت اليهودية الى جانب المسيحية ليس فقط لان الاولى كانت تشكل النقد الديني للمسيحية وكانت تشخص الشك بالنسبة الى أصل المسيحية الاولى وإنما أيضا وبصورة قد استمرت في المجتمع المسيحي بل وتلقت فيه تطورها الاسمي".

من هذه الكلمات ندرك عدة حقائق :-

أولا :- ان اليهودية عاشت وتطورت داخل المجتمع الأوروبي من الاقطاعية الى الرأسمالية لان قوانين تطور هذه المجتمعات كانت تحتم وجودها وتطورها وذلك بسبب

المكانة التي احتلها اليهود في عملية الانتاج وتبادل البضائع والنقد وان اليهودية لم تنش في اوربا بسبب نقدها الديني للمسيحية أى ضد التاريخ فلو اقتضت على ذلك لتعرضت هذه الديانة للانقراض وانما عاشت بسبب "الروح العملية لليهودى الواقعي" أى بسبب الدور الذى احتله اليهود في عملية الاقتراض المالى ..

ثانيا : استخدم كارل ماركس نظريته الماركسية في فهم الظواهر وتحليلها وهي التي تعتمد على التحليل الطبقي للمجتمع وتصارع الطبقات على أسس مصالحها وموقعها من عملية الانتاج، اذن فالمجتمع الطبقي هو الذى حتم وجود اليهودية هكذا لاحظ ماركس وتطورت هذه اليهودية داخل أحشاء المجتمع الاوروي ، ونتيجة لتناقضاته كانت تحدث المذابح والاضطهادات ضد اليهود فلو لا وجود الطبقات المتصارعة والمتناقضة لما حدثت هذه المذابح ضد اليهود ولما وجدت المسألة اليهودية اصلا ..

ثالثا : يميز ماركس وفقا لنظريته المادية الديالكتيكية بين يهود السبت واليهودى الواقعي (١) يجب ان نبحث عن سر اليهود في دينه بل نبحث عن سر الدين في اليهودى الواقعي " وهكذا يتحدث ماركس بكل وضوح ان مسألة اليهود لا ترجع الى دينهم وان استمرار وجود اليهودية كدين لا يكمن فيها بل ان الدين اليهودى تطور وتكيف حسب تطور واقع اليهود العملي ودورهم في عملية الانتاج لقد تطور هذا الدين ليلبي مصالح الطبقات الغنية من اليهود ويقول ماركس (٢) " ما هو الاساس الدينى لليهودية انها المصلحة العملية والمنفعة الشخصية " وعلى أسس المجتمع الرأسمالي القائم على الملكية الفردية ، ان كارل ماركس هنا في نظره للمسألة اليهودية لم ينسق وراء التفسيرات الغيبية وانما كان أمينا مع نظريته الفلسفية فهو يميز بين يهودى السبت واليهودى الواقعي ومن هو اليهودى الواقعي في نظره؟ انه سيد السوق المالية في اوربا الطبقية ولقد اصبح المال بواسطته أى بواسطة اليهودى العملي الباحث عن المنفعة الشخصية (٣) " قوة عالمية والروح العملية اليهودية أصبحت الروح العملية للشعوب المسيحية " .

ان نظرية ماركس والتي تعتبر ان البنية الاقتصادية هي التي تشكل البنية التحتية والافكار هي التي تشكل البناء الفوقي وان الافكار لا تجد تفسيرها الصحيح والعلمي الا على ضوء الواقع الاقتصادى أى البناء التحتي فلذلك عندما حلل ماركس المسألة اليهودية لم يبحث عن أسبابها في الدين اليهودى وانما وجد أسبابها في اليهودى الواقعي الذى اصبح سيد السوق المالية ولم يجده في يهودى السبت وهذه المكانة التي احتلها اليهود في البناء الاقتصادى الرأسمالي في اوربا هي التي جلبت عليهم الاضطهاد والمذابح والتشريد في القرن التاسع عشر وقبله . المكانة التي احتلها اليهود في عملية الانتاج وتبادلها فقد سيطر اليهود كما قلنا على عملية الاقتراض للفلاحين والنبلاء والبارونات في الوقت الذى كانت تحرم المسيحية الربا (٤) ومن الحق ان نقول ان اصرار المرابين والتجار اليهود على الانسياق وراء مطامعهم بصرف النظر عن الموجات الاساسية والاجتماعية التي كانت تتعاظم فيه المجتمعات التي عاشوا فيها هو الذى أثار البغضاء ضدهم بين أبناء المدن وبين الفلاحين على حد سواء " .

لقد كانت القوى الرجعية في المجتمعات الاوروبية والتي كانت تصطدم بطموح الجماهير

في التحرر والاعتناق من نير الاقطاعية في حاجة الى اسباب ثانوية او وهمية نخدع بها جماهير الفلاحين وأبناء المدن لكي تحرفهم عن الوجهه الصحيحه للنضال وهو اسقاط الاقطاعية وقد كانت تصور للجماهير ان اسباب مشاكلها هو اليهود فمضهم المرابون وكبار الماليين الذين يقرضون الفلاحين ويمصون خيراتهم (٥) "وننتج عن ذلك حركات اضطهادات عديدة في فترات متباينة في إنجلترا وفرنسا والمانيا واسبانيا منذدونا هواده ضد اليهود تلك الموحات التي لم تنح عن غير المعاملات الاقتصادية القاسية التي عامل المرابون اليهود على العموم بها غيرهم".

ان هذه الآراء التي استعرضها قاسم حسن في كتابه العرب والمسكلة اليهودية تؤكد نظرية ماركس حول الاسباب الكامنة وراء المسألة اليهودية.

ثانيا : حل المسألة اليهودية:

ان النظرية الماركسية لا تكفي بتفسير التاريخ ولكن تهتم بالتغير الثوري (٦) " ان الفلاسفة لم يفعلوا غير ان فسروا العالم بأشكال مختلفة ولكن المهمة تقوم في تغييره".

وهنا أيضا عن الاسس الصحيحة لحل المسألة اليهودية فان الحديث عن رأى ماركس حول حل هذه المسألة له أهمية عظيمة في كل الظروف التاريخية التي تحياها بعد ان تطورت هذه المسألة وتعددت وقبل الحديث عن رأى ماركس في حل المسألة اليهودية لا بد وان نعرض آراء الصهيونية لحل هذه المسألة ..

لقد نظرت الايدولوجيا الصهيونية وهي ايدولوجيا الرأسمالية اليهودية الكبيرة الى حل المسألة اليهودية في تجمعهم في فلسطين لتكوين دولة يهودية ورأت في هذه الدولة التجسيد لتحرير الامة اليهودية " .

وهنا لا بد ان نشير الى عدة ملاحظات هامة :-

(١) ان الصهيونية تلاقى مصالحها مع مصالح الدول الامبريالية القديمة والجديدة في تنفيذ مشروعاتها الاستيطانية .

(٢) انطلقت الصهيونية من مفهوم خاطئ للامة وهو ان اليهود في جميع انحاء العالم يشكلون امة واحدة ..

(٣) ان الرأسمالية اليهودية ، وايدولوجيتها الصهيونية التي نمت وتطورت في احشائ المجتمع الرأسمالي الاوروبي وواكبت تطوره حتى المرحلة الامبريالية التي ولدت النظام الاستعماري اندفعت للبحث عن مكان لاقامة دولة لهم تتيج لهم حصة في النظام الاستعماري العالمي .

(٤) وبهذا تكون الحركة الصهيونية قد زجت باليهود في وجه الحركة التحررية العالمية والعربية بوجه خاص وهذا يشير الى انها لم تحل المسألة اليهودية بل عقدتها وأزمتها ودفعتها الى قمة المأساة وذلك بتجميع قسم من اليهود في فلسطين واتخاذهم أداة لخدمة المشاريع الامبريالية في المنطقة فدولة اسرائيل الان والتي يصر حكامها على احتلال اراض الشعب الفلسطيني وتشريد والتنكر لحقوقه الوطنية في التحرر والاستقلال وتقرير المصير وذلك بقيام دولته الوطنية هذا يشير الى التآزم الاخلاقي التي أوقعت الصهيونية فيه اليهود بصفتهم الان أداة اضطهاد لشعب آخر هو الشعب الفلسطيني وأداة للعدوان على شعوب المنطقة .

ان الحركة الصهيونية حاولت ان تستغل في دعايتها مأساة اليهود وذبحهم على أيدي النازي، وها هي اليوم تمارس نفس الاسلوب ضد أبناء الشعب العربي الفلسطيني والشعوب العربية ومآذبح صبرا وشاتيلا وكفر قاسم ودير ياسين وخانيونس وبحر البقر ومصنع ابن زعبل الا الممارسة العميلة للعنصرية الصهيونية . فهل بذلك حلت الصهيونية المسألة اليهودية أم ان قادة اسرائيل يقامرون بمستقبل شعبهم نفسه؟؟
نظرة وأفكار ماركس حول المسألة اليهودية:

قال ماركس في كتابه المسألة اليهودية محددا الطريق الصحيح لحل المسألة اليهودية ص ٥٥ " اذن فالعهد الحاضر بتحرره من المتاجرة والمال وبالتالي من اليهودية الواقعية انما يحرر نفسه أيضا " ويضيف قائلا : " والتنظيم الاجتماعي الذي يلغي الشروط الضرورية للمتاجرة وبالتالي يلغي امكانية المتاجرة سوف يجعل وجود اليهودي مستحيلا والضمير الديني لليهود سوف يتلاشى مثل بخار كانه في جو المجتمع الحقيقي " .

ان هذا النص يشير بوضوح الى طريق التحرر وهو الغاء العلاقات الرأسمالية واستبدالها بالعلاقات الاشتراكية ان القضاء على الطبقة الرأسمالية الطفيلية التي تنهب عمل العمال والفلاحين وتبدها هو طريق للتحرير الكامل الحقيقي .

وهذا ما قصد به ماركس بتحرر المجتمع من المتاجرة والمال .

ان المسألة اليهودية تجد حلها في نظر ماركس داخل المجتمعات التي عاش فيها اليهود وليس خارج المجتمعات كما تحاول الحركة الصهيونية فعندما يندمج اليهود في النضال الثوري والديمقراطي من أجل القضاء على الرأسمالية والامبريالية سوف يجدون تحررهم الكامل وعند ذلك سوف تتبخر اليهودية التي ولدها المجتمع الرأسمالي مثل بخار في جو المجتمع الحقيقي أي المجتمع الاشتراكي .

ولقد تحقق ذلك لليهود الاتحاد السوفياتي فقد حلت المسألة اليهودية هناك بالشكل الصحيح والثوري لمصلحة جماهير اليهود وليس لمصلحة الرأسمالية اليهودية واندماج اليهود في عملية البناء الاشتراكي بعد ان ازيلت الرأسمالية وبقي الاقطاعية بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية وان كان هناك البعض منهم والذي لم يستطع الاندماج في مجرى العملية الثورية في اتحاد السوفياتي وفصل الهجرة ووضع نفسه خدمة الدعاية الصهيونية والامبريالية فهو لا يشكلون الا قلة قليلة لا تؤثر على مجرى التطور والحل الثوري التقدمي للمسألة اليهودية في الاتحاد السوفياتي .

وبهذا تكون التجربة السوفياتية قد برهنت وبشكل عملي على صحة افكار كارل ماركس ان حل المسألة اليهودية هو بالقضاء على الرأسمالية المتاجرة والمال واندماج اليهود في مجرى النضال الثوري والديمقراطي لا بانفصالهم والبحث خارج مجتمعاتهم لحل مشاكلهم وان الصهيونية خدمة للمصالح الرأسمالية اليهودية الكبيرة وحليفها الامبريالية تسعى باستمرار لفصل جماهير اليهود عن أشقائهم العمال والفلاحين من أبناء القوميات الذين يناضلون ضد اشكال الاضطهاد الطبقي والقومي وكافة اشكال التمييز وهذا ما أدركه البيوند عندما قرر (٧) " في مؤتمره الثاني عشر لمنظمات البيوند في عموم روسيا الذي انعقد

في موسكو في نيسان ١٩٢٠ تغير اسم الحزب نهائيا الى اليوند الشيوعي والانضمام الى الاممية الشيوعية .

بعد ان تخلص نهائيا من الاوهام القومية والتزامه نهائيا ببرنامج السلطة السوفياتية وتحدث ادبيات الحزب الشيوعي الاسرائيلي السياسية بكل وضوح عن حـل المسألة اليهودية بالشكل الصحيح الشكل المفاير لبرامج الاحزاب الصهيونية وقد تحدثت هذه الرؤيا في شعار الحزب " مع الجماهير العربية ضد الامبريالية وليس مع الامبريالية ضد الجماهير العربية " .

وان الحزب الشيوعي الفلسطيني وأعضاؤه الشيوعيون اليهود زمن الانتداب البريطاني قد وقفوا ضد ممارسات الصهيونية مع فلاحى العقولة عام ١٩٢٤ الذى باع أرضهم سوروك أفندى " ١٦ ألف دونم هي قرية العقولة العربية " الى المؤسسات الصهيونية الامريكية وقد قامت قوات البوليس البريطاني بالتعاون مع المنظمات الصهيونية بطرد الفلاحين العرب من أرضهم بينما وقف الشيوعيون اليهود الى جانب الفلاحين العرب محرضين العمال اليهود بعدم الاشتراك في طرد الفلاحين العرب (٨) " ليس من مصلحة العمال اليهود نهب الفلاحين العرب وليس من مصلحة العمال اليهود ان يعيشوا مع الفلاحين العرب بكراهية وحروب متبادلة " .

- (١) المسألة اليهودية كارل ماركس
- (٢) المسألة اليهودية كارل ماركس ص ٥٩
- (٣) المسألة اليهودية كارل ماركس ص ٥٧
- (٤) العرب والمشكلة اليهودية - قاسم حسن - طبعة بغداد ص ٤٣
- (٥) العرب والمشكلة اليهودية - قاسم حسن - طبعة بغداد ص ٣٨
- (٦) ماركس انجلس المختارات ص ٤٠
- (٧) الاممية الشيوعية وفلسطين - ماهر الشريف - ص ٦٨
- (٨) مقال بقلم بتينا فاينهاوز - الدرب

المراجع :

=====

- (١) لينين - ماركس - انجلز - الماركسية - ص ٥٠
- (٢) المصدر السابق ص ٤٩ .
- (٣) فرانز مهرنغ - ماركس - تاريخ حياته ونضاله ص ٨٨
- (٤) ماركس - انجلز - المختارات - المجلد ٣ الجزء ٢ ص ٢١٤
- (٥) مهرنغ - ماركس - تاريخ حياته ونضاله ص ١٨٩ .
- (٦) لينين - كارل ماركس - المختارات المجلد ص ٢٢٩
- (٧) مهرنغ - ص ١٩١
- (٨) المصدر السابق - ص ٢٩٨ .
- (٩) ماركس - انجلز المختارات - المجلد ٣ الجزء ١ - ص ١٨٨ .

صداقة ماركس وإنجلز دروس تربوية

محمد سعيد

قلما يمكن الحديث عن كارل ماركس دون الإشارة الى رفيق دربه ونضاله وشريكه المخلص في العمل والكفاح فردريك إنجلز، ونادرة هي الأبحاث والأعمال الماركسية التي لم يتعاون الرفيقان، بالعمل المشترك، أو التشاور، في إنجازها.

وفي التاريخ قديمه وحديثه، الكثير من الصداقات الفريدة، غير أنها تصغر أمام النموذج العملاق الذي مثله صداقة ماركس وإنجلز.

فما الذي جعل هذا النموذج عملاقاً مسنعيماً في عظمته، وباهرها في صدقه؟ لو قلنا ان السبب يكمن في السمو الخلقي والتواضع والاخلاص الرفاقى لكنا أصبنا جزءاً من الحقيقة. ولو قلنا ان السبب يكمن في عظمة المآثر التي أنتجتها هذه الصداقة بالنسبة للحركة الثورية وقضية الطبقة العاملة والانعقاد الاجتماعي للإنسانية بأسرها. لكان ذلك صحيحاً ولكن غير كامل. ولو قلنا أن السبب يعود للقدرة الفريدة التي توفرت لدى ماركس وإنجلز على جعل العمل العلمي الفردي لكل منهما بكل تعقيد وصعوبته متوافقاً مع نظيره الى حد الانسجام الكامل. لما جانبنا الصواب والحقيقة ان ابداع ماركس وإنجلز المشترك، وصل القمة في تميزه لكونه عكس كل الاسباب الانفعالية، إضافة الى أنه مثل نموذجاً جديداً في العلاقات الإنسانية. هي العلاقات الشيوعية في الكفاح والعمل المشترك. والتعاون المتبادل. وقدارسى هذا التعاون بشكل أو بآخر، نقطة تحول نوعي جديدة في ميدان الابداع النظرى. يمكن تلخيصها بكلمتين "الابداع الجماعي" وقد كان ذلك نقطة تحول في ميدان العلوم الاجتماعية، تفتحت آفاقها لاحقاً في ما نشهده اليوم من جهد جماعي واسع في ميادين النظرية والتطبيق الاشتراكي، والذي تسهم به الحركة الشيوعية العالمية بأسرها. ومن هذا المنطلق فان علاقة ماركس وإنجلز، كانت من جانب نموذجاً جديداً، نموذجاً شيوعياً، ومن جانب آخر فقد تكونت كاستجابة لحاجه إنسانية موضوعية. تمثلت في صعوبة إنجاز وضع النظرية الماركسية بشكل شموليتها ودقتها وعظمتها بجهد فردي بحث.

فهل ينتقص هذا الاستنتاج من قدر ماركس؟ الجواب على ذلك ستجده على لسان إنجلز بعد قليل ولكن وقبل ان نخوض في التفاصيل، لا بد من الإشارة الى أن هذه العلاقة ما كانت لتصل هذه الدرجة من العظمة لولا أنها نشأت بين عملاقين فعلاً، كان من حسن حظ عصرهما أن يلتقيا ويعملا معاً ..

ولنبداً بما قاله لينين، ذلك العملاق الثالث الذي لم يكن قد ولد بعد حين كانت الماركسية تتكون كنظرية للعصر والذي قدر له ان يكون مكملها ومطورها ومطبقها في آن واحد" ان الاساطير القديمة تروى أمثلة مؤثرة عن الصداقة . ويوسع البروليتاريا الاوروبية ان تقول أن علمها قد خطه عالمان مناضلان ، تفوق علاقتهما الشخصية ما ترويه جميع اساطير الاقدمين البالغة الاثر عن الصداقة بين الناس. ان أنجلز قد وضع نفسه دائماً - وحقاً من حيث الاساس - بعد مرتبة ماركس وقد كتب لاحد أصدقائه القدماء " يقول " لقد كنت دائماً ثاني عازف على الكمان بجانب ماركس" ولقد كان حبه لماركس حياً وتكريمه لذكره ميتاً، لاحد لهما (١) .

وما من شك ان الصديقين كانا مختلفين في أسلوبهما ، وتناولهما للامور ، ولذلك بالذات استطاعا ان يكملا بعضهما .

وكما كتب لينين " فقد كان ماركس يعمل في تحليل الظواهر المعقدة في الاقتصاد الرأسمالي . وكان أنجلز يعرض في مؤلفاته بأسلوب واضح وجدلي في كثير من الاحيان ، أهم القضايا العلمية ومختلف وقائع الماضي والحاضر ، ضمن اتجاه المفهوم المادي للتاريخ لدى ماركس ونظريته الاقتصادية " (٢) .

كان ماركس منهمكاً بوضع الاساس المتين والصلب لنظرية العصر ولاستراتيجية الحركة العمالية، التي ما كان لها ان تكتسب صورتها النهائية لولا مساعدة أنجلز .

وقد اشار فرانز مهنرغ . احد معاصري ماركس وأنجلز ، وأحد أبرز قادة الحركة الشيوعية في المانيا لاحقاً، الى " أن أنجلز كان يحمل اسلحة أخف ويستطيع الحركة بسرعة أكبر ، وكانت بصيرته حادة لدرجة تتيح له رؤية النقطة الحاسمة في أى مسألة او وضع فوراً ، لكنه لم يكن ينفذ الى عمق كلي لرؤية كل جوانب المسألة فوراً " (٣) .

لقد كان أنجلز متفوقاً في المسائل السياسية ، بينما كان ماركس عملاقاً لا يجارى في القضايا النظرية ، وقد أتاح لهما تعاونهما ان يضعا نظرية العصر الماركسية .

وبعد عشرين عاماً من التعاون ، كتب ماركس "العالم الاقتصادي" الذي لا يضاهاى ، وقائد الحركة العمالية بلا منازع كتب لانجلز يقول " أتعلم أنتي أولاً وقبل كل شيء اتوصل للاشياء ببطء " " وأنني ثانياً أتتبع خطاك على الدوام " .

هذا التواضع الغد من جانب ماركس . لم يكن يجاريه الا تواضع أنجلز ، الذي كثيراً ما سئل ، لماذا يطلقون اسم ماركس على الماركسية " ولا يضعون اسمه كذلك ، فأشار لهذه المسألة في كتابه " " لو دفع فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية " . والذي سيغدو مرجعاً فلسفياً لاغنى عنه لكل من يعنى بدراسة الماركسية او الفلسفة عموماً ، قائلاً " أجزى لنفسي هنا ايضاً شخصياً واحداً . لقد اشاروا حديثاً غير مرة ، الى اسهامي في وضع هذه النظرية ، ولهذا أراني مضطراً لقول بعض الكلمات لتوضيح هذه المسألة . فانا لا أستطيع ان انكر انني اشتركت بصورة مستقلة الى حد ما ، قبل واثنا تعارفي خلال اربعين سنة مع ماركس ، سواء في تثبيت النظرية التي نتكلم عنها ام في وضعها على الاخص ، ولكن الجزء الأكبر من الافكار الاساسية الموجهة وخاصة في الميدان الاقتصادي التاريخي ولا سيما فيما يتعلق بصياغة الواضحة النهائية ، انما هي جميعاً ترجع الى ماركس . وما أسهمت به كان بامكان ماركس ان

بفعله بكل سهولة - بدوني - ربما باستثناء ميدانين أو ثلاثة من الميادين الخاصة. ولكن ما فعله ماركس، ما كان في مستطاعي أنا أن أقوم به أبدا. أن ماركس كان أعلى منا جميعا، وكان يرى أبعد وأسرع منا جميعا وأن ماركس كان عبقريا أما نحن فكانا على أكثر تقدير - موهوبين. ولولاه لكانت نظريتنا بعيدة جدا عما هي عليه اليوم. ولهذا تحمل اسمه بجدارة" (٤).

هذا التواضع ونكران الذات الشيوعي الاصيل والذي كان متبادلا بقدر متساو بين رفيقي الدرب ما كان يمكن ولا يمكن أن يوجد بين أي من علماء ومفكري البرجوازية" بل بين أي علماء لا يتجردون تماما من الطبقية والانقسام الطبقي، ما كان يمكن أن يوجد ولا يمكن أن يوجد إلا بين شيوعيين حقيقيين وتلك ميزة لن ينالها في عصرنا إلا الشيوعيون القادرون على العمل بانسجام كامل ووحدة متماسكة وفي اطار حزب تسوده قواعد تنظيم سليمة وفي ذلك يكمن سر قوة وفعالية الحزب الشيوعي. كطليعة للطبقة العاملة، وكحزب من طراز جديد.

لقد وضع لينين فيما بعد ما غدا يعرف بقواعد التنظيم اللينينية. وجوهرها المركزية الديمقراطية، غير أن ماركس وأنجلز كانا قد قدما خلال تعاونهما، ومن خلال سلوكهما سواء في عصبة الشيوعيين، أو الاممية الاولى والثانية، مرجعا خصبا في هذا المجال وعلى ارضية هذا التراث العريق كان يقدور لينين أن يطور استنادا الى معطيات الحياة والتجربة الجديدة، الاسس التنظيمية لحزب من طراز جديد، حزب يختلف عن كل الاحزاب بوحدته حزب لا مجال فيه للانقسامات أو التكتلات أو الاجنحة، حزب لا يمكن لاهواء فرد أو مجموعة فيه أن تلحق الاذى بمستقبله. ومنذ ذلك الحين، تعرضت الاسس اللينينية لمختلف صنوف الاتهامات والتهجمات، من قبل أولئك الذين لم يستطيعوا التخلي عن أصولهم البرجوازية أو أفكارهم الموروثة عنها. ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا، وبغض النظر عن موقع الصراع سواء كان بلدا اوروبيا أو بلد آسيوي، كان حملة الفكر اللينيني يخرجون منتصرين، مجسدين بذلك قوة المثل الشيوعية التي ارسى قواعدها ماركس وأنجلز.

ولكي ندرك مغزى الصداقة العميقة التي ربطت بين هذين العالمين، علينا أن نعود للوراء ونلقى ولو نظرة عابرة على الظروف التي عاشا وعملأ فيها وقد كتب الكثير عن صعوبة تلك الظروف وخاصة بالنسبة لماركس كما قيل الكثير عن مغزى المساعدة التي كان أنجلز يقدمها لصديقة للصمود في وجه المضاعب ومواصلة العمل، غير أن القليلين يحاولون التعمق في مغزى تلك المعاناة الخاصة والقاسية التي عاشها ماركس. ولكي نفهم ذلك علينا أن نتذكر أن ماركس كان مضطرا لسنوات طويلة، أن يكتب عشرات المقالات البالغة العلمية والجدية، لأنه لم يستطع إلا أن يكون عالما امينا في بحثه، لينشرها لبعض الصحف الامريكية التي كانت تتبنى بشكل أو بآخر الاتجاهات الاشتراكية وقد كانت تلك الصحف، البرجوازية في المحصلة النهائية، تتفنن في استغلال ماركس حتى العظم، ولا تتورع أحيانا عن تشويه مقالاته، بل وحتى سرقتها دون أن تدفع له مقابلها. كل هذه المعاناة كان على ماركس أن يحتملها، فقط ليكسب قوته اليومي بما يوءهله للاستمرار في عمله العلمي من أجل الطبقة العاملة.

وقد وصف ماركس ذلك الوضع بنفسه حين قال "انه لامر مشير للتعجز تماما ان يتعين على المرء الشعور بالامتنان عندما تتعطف صحيفة كهذه وتأخذ المرء تحت جناحها".
ان العمل السياسي لصحيفة كهذه ليس في النهاية غير طحن العظام وصنع حساء من

طحيته ومع ذلك فان علي ان افعل ذلك بالتمام والكمال " . ومع ذلك فان العمل مع الصحف الامريكية لم ينقذ ماركس وعائلته من الانحدار الى شطف العيش والشعور الدائم بسيف الجوع معلقا فوق رأسه . ولكي يدرك القارئ معنى ذلك ، نكتفي بالإشارة الى ما كتبه ماركس لانجلز مرة شارحا اوضاعه . فمرة اضطر " ان يبقى في البيت لانه لم يكن يملك معظفا ولا حذاء - وفي مرة اخرى لم يكن يملك ما يكفي لشراء الصحف واوراق الكتابة ، وفي مرة اخرى نجده ينتقل بين معارفه ليقترض نقودا من اجل ارسال احدى المخطوطات للنشر هذا غير النزاعات الدائمة مع الدائنين . ومع كل هذا فقد كان ماركس يرفض القبول بوظيفة برجوازية تتيح له الحياة بشكل معقول . ودون ان يمس ذلك بشرفه او كرامته او مبادئه وقد فسر هو ذاته موقفه قائلا " علي ان اتابع السير نحو هدي مهما كانت الصعاب ولن اسمح للمجتمع البرجوازي ان يحولني الى آلة لصنع النقود " .

(ولعل القارئ يدرك الان معنى الجوع الحقيقي الذي كان كثيرا ما يقبع في منزل ماركس تاركا اياه يتقطع الما وهو ينظر لحرمان أطفاله . ولا نريد المبالغة في تفصيل صعوبة حياة ماركس اد يكفي أخيرا ان نذكر انه فقد عدة ابناء وهم ما زالوا أطفالا ، حين كانت عائلته تعاني بؤسا مدقعا . .

غير ان كل هذه المعاناة لم تمنع ماركس ولوليوم واحد عن الانصراف ، وهو يبدو مسحوقا تحت وطأة التفاهات الصغيرة ، الى بحث أعقد المسائل بهدوء العالم الذي لا يتأثر البتة بهجوم الحياة المادية . في هذه الظروف كان فكر ماركس يولد ، في ظل مقاومة رهيبه رسمية وغير رسمية من المجتمع البرجوازي . وقد مثلت معاناة ماركس الشديدة احد الجوانب الهامة في علاقته بانجلز . فلولا مساعدة انجلز لماركس ، لما استطاع ان ينجز عمله العظيم ، كان من الممكن ، وببساطة ان يقضي مريضا محروما من الدواء ، أو حتى جائعا او ان يترك في أحسن الاحوال عاجزا عن اتمام رأس المال .

ولكي نكون منصفين يجب ان نشير الى ان انجلز ذاته كان يعاني من الصعوبات المالية وان كان وضعه افضل بمالا يقاس من ماركس . وقد أخذ على عاتقه لاكثر من أربعين سنة حماية ماركس وعائلته من الانهيار ، واتاحة الفرصة له لمواصلة العمل الثوري . . لكي يتسطيع انجلز مساعدة صديقة ، كان عليه ان يصحي بوقته ومواهبه الخاصة ، في العمل الرأسمالي الملعون كما كان يصفه .

وقد اشار فرانز مهرنغ لذلك حين كتب في مؤلفه الممتاز - كارل ماركس ، تاريخ حياته ونضاله " . لم يكدح انجلز من أجل صديقة في المكتب والبورصة خلال النهار فحسب ، بل وكان يقضي جزءا كبيرا من وقت فراغه ليرجم رسائل ماركس " لنيويورك تريبيون " لان ماركس لم يكن في البداية متمكنا من اللغة الانجليزية بما فيد الكفاية ، وعند ما بطل هذا السيد استمر انجلز في عمله الصامت " (٥) .

ومع أهمية المساعدة المادية التي دأب انجلز على تقديمها لرفيقة ، فلا شك اننا سنكون سطحيين اذا اعتقدنا انها كانت أساس العلاقة فيما بينهما . والجانب الجوهرى في علاقتهما كان دوما التعاون العلمي والتشاور المتبادل في ميادين الفلسفة والاقتصاد والنضال السياسي وفي رسم تكتيك واستراتيجية الحركة العمالية العالمية اولا ، وفي الكفاح الثوري المشترك في صفوف الحركة الثورية ثانيا .

ويقدم لينين لنا صورة أخاذة عن كفاحهما المشترك ، والاضطهاد الذي كانا يواجهانه بملاحة لا تليق ٠٠٠٠ وفي ايلول ١٨٤٤ جاء انجلز لباريس لقضاء بضعة ايام فاصبح منذ ذلك الحين الصديق الحميم لماركس، وقد اسهم كلاهما بأشد الحماسة في الحياة المحمومة للجماعات الثورية التي كانت آنذاك في باريس. ٠٠٠٠

وفي ربيع عام ١٨٤٧ انتصم ماركس وانجلز الى جمعية سرية للدعاية هي "عصبة الشيوعيين" ٠٠ واسهما بقسط بارز في مؤتمرها الثاني، ووضعاً بناءً على تكليفهما البيان الشيوعي ٠٠٠٠ وعندما انفجرت ثورة شباط ١٨٤٨ طرد ماركس من بلجيكا فعاد الى باريس لينزله بعد ثورة آذار ويعود الى ألمانيا ٠٠ ليحال الى القضاء عام ١٨٤٩، ثم لينفى من ألمانيا، فانتقل الى باريس حيث طرد منها بعد تظاهرة حزينان ١٨٤٩، ثم ذهب الى لندن ليعيش حتى اخر ايامه -

ان ظروف حياة المهاجر هذه كانت مضيئة الى اقصى حد ٠٠٠ ولولا لمساعدة المالية المخلصة التي كان يقدمها له انجلز لما استحال على ماركس انجاز كتاب رأس المال وحسب بل لكان قد هلك حتماً من البرؤس.

وهكذا وكما قال مهنرغ فقد شارك ماركس البروليتاريا الحديثة مصيرها لا في شدة وسائل العيش فحسب، ولكن ايضا في افتقارها التام للطمانينة. ولاستكمال الصورة علينا ان نشير الى البرود الذاتي، ومؤامرة الصمت الحاقدة التي تميز بها موقف المجتمع الرسمي، بسلطته وثقافته، ومؤامساته في معظم اقطار اوروبا تجاه اعمال ماركس العلمية.

فبعد السنوات المبكرة في المواجهة المكشوفة بين ماركس الثوري، الملاحق والمطاردين الحكومات البرجوازية، بدأ وكان العالم الرأسمالي بأسره قد عقد اتفاقاً ضمينا لقهر هذا العنلق الذي عجزت المواجهة المكشوفة عن هذه. لقد حاولوا خنقه بالصمت البارد كالقبر، وبرفض نشر اعماله او تجاهلها في احسن الاحوال وتركه عرضة للمعانة. ومرة اخرى يتقدم انجلز شاهراً سلاحه، بعد صدور الجزء الاول من رأس المال. ومستخدماً كل ما لديه من طاقة فكرية في شرح الكتاب وتقديمه وتبيان اهميته بهدف افشال مؤامرة الخنق التي كان يتعرض لها ولقد يبدو تجاهل "رأس المال" اليوم ضرباً من الحماقة الصيانية لا يمكن ان يقدم عليها اسخف ممثلي البرجوازية، غير ان هذا الوضع قد نشأ قبل كل شيء بفضل اولئك المناضلين الاشاوس، وفي طليعتهم انجلز. الذين نقلوا استنتاجات الكتاب العبقري للطبقة العاملة وعملوا على ترجمته الى كل اللغات الهامة في تلك الفترة. ومن الواضح ان شراسة العالم الرأسمالي ضد ماركس قد عكست ادراكاً مبكراً لمغزى نشاطه الفكري بصفته تلك القوة الهائلة التي ستضعها الماركسية بيد البروليتاريا لتطيح بالمجتمع البرجوازي من اساه.

غير ان المؤامرات الشرسة، لم تكن احسن حظاً من الاضطهاد المكشوف، اذ لم تغلق في قهر المارد الصلب، ماركس، بل ان الضربات التي تلقاها زادت صلابته، ولعلها السبب في تلك المرارة اللاذعة التي اخذت تميز انتقادات ماركس القاطعة كالسيف في اعماله.

وفيما بعد سيعبر ماركس عن ضيقة بمؤامرة الصمت التي تعرض لها الجزء الاول من رأس المال في الفترة الاولى بعد صدوره. حين يكتب معلقاً على الموجة العارمة من الهجمات التي تعرض لها اثر نشر بيان الاممية حول كومونة باريس والذي صاغه ماركس بنفسه "لقد اثار البيان ضجة بالغة، وانه ليشرفني ان اكون اللحظة اكثر انسان في لندن عرضة للتشهير

والتهديد ان لفي ذلك ما يعوضني بعد عشرين سنة طويلة مملّة قضيتها منعزلا كضدع في
فحتي صحيفة الحكومة الابزرغر- تهددني باقامة دعوى ضدى . فليجربوا ذلك انني
ازدرى هوء لاء الانذال " .

اجل ، لقد اضطر العالم الرأسمالي ، الذى كان يرتعد رعدا من ثورية ماركس ان يكشف احيرا
نفسه ، عبر سلسلة من حملات القمع والملاحقة والتشهير ضد الاممية وعلى رأسها ماركس،
وبعد ان أفدمت حكوماته على ذبح عشرات الالاف من العمال في كومونة باريس

وقد كان موقف ماركس من الكومونة نموذجا اضافيا لثوريته التي لا تعرف الوهن ، وتأكيذا
جديدا علي انه كان ثوريا قبل كل شيء بل اعظم ثوريي عصره .

نهم لا يرتوى للمعرفة

(لم تكن الحياة التي عاشها ماركس تشبه في شيء الحياة التي يعتبرها المتخلف
العادى في جهله المعتاد-حياة عبقرية . فقد كانت قدراته الهائلة في عظمة جلده وقدرته
العظيمة على التركيز وقد كان جادا كل الجد حين قال " ان عدم القدرة على العمل حكم
الاعدام على اى كائن انساني " وعندما وقع صريعا للمرض لعدة اسابيع كتب لانجلز قائلا " و
وعلى رغم من انني لم استطع العمل ، فقد قرأت كتابا في علم وظائف الاعضاء لكارستنر
وكتابا لكولر وكتابا في تشريح المنح والجهاز العصبي لشلایدن . . . الخ " هكذا كتب مهنج
محاولا ان يلقي ضوا على طبيعة ماركس .

وقبله كتب انجلز (لقد كان ماركس مفكرا لا يكل ولا يمل ، يشكل التفكير بالنسبة له اسمى
المذات- هذا عدا عن انه كان يناضل دائما لتتق في الممارسة . لقد كان ماركس غير عملي
في المسائل الكبيرة ، فلم يكن يستطيع ادارة امور بيت صغير لكنه كان لا يجارى في قدرته
العبقرية على حشد جيش وقيادته للامام ليغير به وجه الارض) . .

وبالتأكيد فان العالم لم يقدم حتى الان رجلا مماثلا في نهمه للمعرفة وسعيه للحقيقة ،
وترثته في التأكد من استنتاجاته مثل ماركس . وقد اعاق ذلك ماركس في كثير من الاحيان
عن الاسراع في انجاز اعماله . ولعل تلك المبالغة في نواحي الدقة والموضوعية المتشددة ازاء
العمل الذاتي ، كانتا السبب في عشرات الملاحظات التي تمنليء بها رسائل انجلز
وهو يحثه على الاسراع في الانتهاء من عمله . ولننقطف احداها ، حين كتب انجلز لماركس
حول رأسمال (لانتقل ضميرك كثيرا بعملك ، فهو سيكون جيدا جدا بالنسبة للجمهور على اى
حال . المهم ان ننهيه ونشره بسرعة) . وقد كانت هذه النصيحة الوحيدة من انجلز التي
لم يقبلها ماركس . وكان يرفضها كنموذج لسلوكه المتشدد جدا ازاء نفسه وازاء عمله .

ولذلك فقد استغرقه العمل على الجزء الامل من كتاب رأس المال ، حوالي ثمانية عشر عاما
كاملة ولا يعني ذلك ان الاستنتاجات ، او قسم كبير منها لم يكن واضحا لماركس منذ
السنوات الاولى . غير ان تشدده ودقته العلمية منعه من انتهاء البحث قبل الوصول الى
القناعة الكاملة لصحة وثبات ما يكتب . وقد وصف انجلز بجاذبية اخاذة طريقة عمل ماركس ،
فلنسمح له التحدث (بالنسبة لرجل كان يدرس كل شي ليكشف منشأه التاريخي وشروط
تطوره . كانت كل مسألة تودى بالطبع الى مسائل جديدة . وكنموذج على ذلك ، درس

ماركس التاريخ القديم وعلم الزراعة واللغة الروسية وعلاقات ملكية الارض في امريكا والجيولوجيا. . الخ وذلك لجعل القسم المتعلق باجارة الارض من الكتاب الثالث (رأس المال) اكمل واشمل من اى معالجة سابقة للموضوع، وكان ماركس يقرأ بسهولة الروسية كل هذا الى جانب نشاطه الحيوى كقائد للاممية والحركة العمالية وطلانه مع كل قادة الحركة العمالية في العالم .

استنتاجاتهم والتحلي عنها بسرعة لا توصف . وبسبب دقة ماركس وتشده تأخر الجزء الاول من رأس المال، ولم يستطع رغم كل تقاويه، أن ينهي الجزئين الثاني والثالث، الذين تركهما بعد وفاته على شكل ثروة هائلة من الملاحظات والملاحظات والهوامش المختصرة، لقد عمل ماركس على هذين الجزئين طيلة سبعة عشر عاما، ومع ذلك فلم يكملهما . وهنا أيضا يتقدم انجلز الذى سبق ان اسهم في مراجعة الجزء الاول مرات عديدة ليكمل عمل رفيقه وليستخلص من الثروة المتروكة ما غدا يعرف بالجزئين الثاني والثالث من رأس المال .

ان كل توضيحات أنجلز تتضاءل اذا قورنت بوضحيته الكبرى ، تحلية الطوعي عن الوصول الى العديد من الانجازات العلمية التي كان بمقدوره الوصول لها نظرا لقدرته العظيمة على العمل ومواهبه الغنية . وذلك ليساعد ماركس في انجاز أعماله وفي مقدمتها رأس المال ، ثم ليكمل بعد وفاة ماركس الجزئين الثاني والثالث وينشرهما في اعوام ١٨٨٥، و١٨٩٤ . دون ان يضع ولو بين قوسين اسمه الى جانب اسم ماركس . وعن ذلك كتب من "لم يكن انجلز ليحزن عن ذلك اطلاقا، فقد اعتبر دائما انه من حسن حظه ان يقف كتفا الى كتف الى جانب ماركس طيلة أربعين عاما حتى لو كان ذلك على حساب بقائه في ظل القائمة التي تفوقه عطمه" وعندما لعب أنجلز طيلة عقد او اكثر بعد موت صديقه الدور القيادي في الحركة العمالية للطبقة العاملة، وعندما كانت سلطته لا تنازع . لم يبد له أبدا على أنه أمر جاء متأخرا . بل على العكس كان يقول "انه يمنح هالة اكتر مما يستحق" لقد أعطى الرجلين نفسيهما تماما للقضية المشتركة وقام كل منهما بتضحية مختلفة ولكنها تساوى الاخر عظمة لمصلحة هذه القضية ودون ان يبدو عليهما اثر لهما مهمة مستاءة او تفاخر مزهو . ولهذه الاسباب كانت صداقتهم تحالفا لا مثيل له" . (٧) .

وقد قدر ماركس في حينه توضيحات رفيقه . ففي ١٦ آب ١٨٦٧، وأثر صدور الجزء الاول من رأس المال كتب لانجلز يقول "هكذا انتهى المجلد . وينبغي على ان اشكر انت وحدك لانك جعلته ممكنا . فيدون توضيحاتك لم اكن استطيع القيام بالكمية الضخمة من العمل التي احتاجتها المجلدات الثلاث " .

وقد بقي كتاب ماركس رأس المال متفقا تماما مع الموقف العام لماركس، بقي كما اراده باخلاصة العميق للمنهج الديالكتيكي في المعرفة، فهو "ليس كتابا منزلا يضم بين دفتيه الحقائق نهائية لا يقبل النقص ولا التغيير . بل هو مصدر لا ينضب للحوافز الباعثة على دراسات أبعد واستقصاء علمي اكثر كمالا ونضالات من أجل الحقيقة اكثر نضجا وقد كانت هذه هي النقطة الجوهرية التي التقطها لينين فيما بعد ليرسم حدا فاصلا بين الجمود العقائدى ممثلا فيما غدا يعرف "بالماركسية الارثوذكسية" وبين الماركسية الحقيقية التي تمسك بها ماركس . وقد عدت هذه القضية محور خلافات مع الورثة غير الشرعيين للماركسية من زعماء الاممية الثانية بدءا من كاوتسكي وانتهاء بيليخانوف، وهي التي فتحت امامه ابواب الفكر

الخلق ليواصل تطوير الماركسية انطلاقاً من الظروف والتطورات الجديدة. وحتى لا تبسط الأمور نشير الى ان أعداد لينين ، كانوا يحفظون الماركسية عن ظهر قلب ، وكان كاوتسكي مثلاً قادراً على الاستشهاد بماركس في أية قضية دون جهد كبير ، ومع ذلك فقد هزمهم لينين في النظرية والتطبيق لانه مثل التطوير والاستمرار الخلاف الماركسي وبذلك فقد كشف بوضوح ان الماركسية ليست جملاً تحفظ مبتورة عن الأوضاع التاريخية التي كتبت فيها . بل منهج ثوري يفوق في علميته وقدرته على التطور أى منهج آخر . ولعل في هذا درس آخر لأولئك الذين لا يرون في الماركسية الا النصوص المتجزأة ، والحمل الثوري المسكرة .

وإذا جاز لنا أن نحدد وبالاستناد للينين المميزات الرئيسية للماركسية اللينينية ، عن سائر النظريات الفلسفية والاجتماعية التي عرفتها الانسانية لقلنا ان الماركسية تميز ..
اولاً : بشموليتها ، بصفتها قدمت نظرة شاملة للعالم ، والتطور في الطبيعة والمجتمع والفكر البشرى .
وثانياً : بكونها الامتداد الطبيعي لمنجزات الفكر البشرى بأسره ، وخاصة في حقل الاقتصاد والفلسفة وعلم الاجتماع .
وثالثاً : بكونها النظرية الوحيدة الثورية للنهضة ، نظرية الطبقة الوحيدة الثورية للنهضة والقادرة على اعادة البناء الثوري للعالم كله .
رابعاً : لقابليتها غير المحدودة للتطور والتقدم ، بما يتناسب مع تطور الحياة داتها .

تلك هي المميزات التي جعلت الماركسية أو الشيوعية اذا شئتم ، فكراً يتمتع بقوة رهيبه وجبارة ، قادر على اختراق كل الحصون والاسوار وكل وسائل التضليل والتشويه والتزوير والتخويف وذلك هو ما جعلها راية ثورة اكتوبر الظافرة في بلد كان ٩٠ / من سكانه أميين .. وذلك هو ما جعلها راية التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي الطافر في فيتنام وكوبا وغيرها .
وذلك هو السر ، الذي أهّل الماركسية - اللينينية بعد عشرات السنوات من وفاة مؤسسها لتصبح منارة لا بديل لها لشعوب بلدان ، لم تكن موجودة اصلاً على الخريطة السياسية حين عمل ماركس وأبدع لينين ، من اليمن الجنوبي الى أنغولا . وفي ذلك يكمن سبب ارتفاع رايات الشيوعية في فلسطين منذ اوائل العشرينات ، في وقت كانت فيه الجماهير المظلومة تعاني ، دون وعي هو " الشيعيين " المحاطين بأسوار عالية من الشكوك والدعايات الاستعمارية المفروضة . ولذلك فان هذه الجماهير المظلومة ذاتها رفعت فيما بعد على أكفها نفس الشيوعيين قادة لكفاحها من أجل الاستقلال والتحرر الوطني ، من الخصينات وحتى يومنا هذا

في الرابع عشر من آذار عام ١٨٨٣ ، توقف قلب ماركس عن الخفقان ، بعد ان عاش حياة عامرة بالابداع النظري والنضال الثوري ، وكم كان أنجلز شاملاً في وصفه ، وصادقاً في كلماته البسيطة حين وقف فوق قبر ماركس ليرثيه قائلاً " كما اكتشف داروين قانون التطور في الطبيعة العضوية ، كذلك اكتشف ماركس قانون التطور في التاريخ الانساني .. ولكن ليس هذا فحسب لقد اكتشف ماركس القانون الخاص لتطور نمط الانتاج الرأسمالي الراهن ونظام المجتمع البرجوازي الذي يقوم عليه . فقد سلط الضوء فجأة باكتشاف فضل القيمة على الظلام الذي كان يتخبط فيه كل الاقتصاديين الآخرين .. برجوازيين واشتراكيين .
ان اكتشافين كهذين يكفيان لاية حياة . بل محظوظ من يتيسر له ان يقوم باكتشاف واحد

لكن ماركس قام باكتشافات مستقلة في كل حقل قام بالبحث فيه ، حتى في حقل الرياضيات .
لقد كان ماركس رجل علم ، ولكن ليس ذلك فحسب . كان العلم بالنسبة لماركس قوة
ثورية خلاقة ..

كان ماركس ثوريا قبل كل شيء ، كان هدفه الكبير في الحياة المساعدة بهذا الشكل او
ذاك او الاطاحة بالمجتمع الرأسمالي وموئساته وأن يساعد على انتعاش البروليتاريا ، التي
كان أول من منحها وعيا لوضعها الطبقي واحتياجاتها الطبقية ، ومعرفة للشروط الضرورية
لانتعاشها . لقد كان في هذا النضال يقاتل بحماسة وتماسك ونجاح لم يحصل عليه غير
القتال .. وفي الواقع كان هذا لوحدة ليستغرق حياة كاملة يحق لصاحبها ان يفتخر بها
ولو لم يفعل شيئا غير ذلك . ولذا كان ماركس اكثر رجل كره وطعن في عصره .. ومات ميتة
مشرفة بحبه ملايين العمال الثوريين من مناجم سيبيريا الى سواحل كاليفونيا . سيعيش اسمه
عبر قرون . وكذلك سيعيش عمله " (٩) .

ولذلك غدا ماركس أعظم من مجدته البشرية في كل العصور . لم يكن بمقدور أنجلز
آنذاك ، أن يصيف لقائهم محبي ماركس ومقدريه عمال وشعوب ، قارات ثلاث ستلعب لاحقا
دورا كبيرا في تنفيذ وصايا ماركس الثورية ، آسيا افريقيا وأمريكا اللاتينية . لكن بمقدور كل
أبناء الحركة الشيوعية اليوم أن يقولوا ذلك ، دون أن يجابنوا الدقة العلمية . ففكر ماركس
يلف اليوم الكرة الارضية بأسرها مانحا الطاقة الثورية والوعي لملايين العمال والكادحين
والشعوب المضطهدة . وقد غدا الفكر الاقوى والاعظم والاعلى في كوكبنا ..
كثيرا ما يتفنن المفكرون البرجوازيون في تمحيص التغير الذي مدت به مقولات ماركس
بعد ما شهدت الماركسية من تطور على يد لينين ، ومن ثم على يد الحركة الشيوعية العالمية
بأكملها .

ولكن اليس ذلك افضل دليل على حيوية الماركسية وعصريتها وعظمتها بل وافضل
وسام لماركس الشغوف للتطور والمعرفة والنضال الثوري ..

اعلان

قسم الابحاث في مجلة الكاتب يقوم بعمل دراسة عن
الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية على المقدسات الدينية
الاسلامية والمسيحية من مساجد وكنائس ومقابر سواء كان ذلك
في داخل " الخط الاخضر " او في المناطق المحتلة ..
لذا نتوجه الى كافة أبناء شعبنا من أفراد ومؤسسات
ان يزودونا بالمعلومات التي تتوفر لديهم عن الاماكن
الدينية المنكوبة وان أمكن مع الصور ...

ترسل المواد الى عنوان الكاتب ص ب ٩٥٥ - رام الله
أوص ب ٢٠١٦١ القدس ...

حول مقررات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة عشرة

تلقت "الكاتب" رد الدكتور احمد حمزة النشئة على اسئلة الندوة السابقة حول "مقررات المجلس الوطني الفلسطيني" والتي كانت قد أرسلت لعدد كبير من الشخصيات الوطنية .
ونشر هنا رد الدكتور احمد حمزة على الاسئلة الموجهة له :

مشروع قمة فاس لتضع جميع الدول العربية أمام مسئوليتها للعمل على تنفيذ ما اقرته في هذه القمة . وفي نفس الوقت أوضحت القرار وأشارت الى الطريق الصحيح الواجب اتباعه لتنفيذ ما تقرر في مدينة فاس المغربية وذلك خلال تبنيها مشروع الرئيس السوفياتي الراحل الرفيق ليونيد برجنيف . وأكدت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني على ضرورة ترسيخ قواعد الوحدة الوطنية الفلسطينية على أسس ديمقراطية ثابتة تركز على تفاعل نضال الشعب الفلسطيني الواحد داخل المناطق المحتلة وخارجها على أساس وحدة الاهداف والمصير .

لقد أكدت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني من جديد على رفض اتفاقيات كامب ديفيد ورفضت مشروع الرئيس الاميري

(١) كيف تقيمون قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة عشرة على ضوء الأوضاع السياسية المعقدة بعد لبنان ؟

كما توقع الشعب العربي الفلسطيني جاءت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة عشر في الجزائر جاءت لتعبر عن أهدافه وآمانيه الاساسية في ظل هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ نضالة الشاق فهي تؤكد على حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة على تراب أرضه بقيادة منظمة التحرير ممثله الشرعي والوحيد . كما تؤكد على استقلالية القرار الفلسطيني وعدم تفويض أي طرف آخر غير منظمة التحرير الفلسطينية للتحدث باسمه . وتبنت القرارات

تمثيل جميع القوى الفلسطينية المناضلة ضد الاحتلال الصهيوني في الداخل والخارج في جميع مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ويتناسب هذا التمثيل مع حجم ونشاط القوى المناضلة في الداخل والخارج على السواء .

٥) هناك نشاط ملحوظ لبعض رؤساء بلديات ممن لهم ارتباطاتهم المعروفة، يبادون بالتفاوض على اساس "مشروع ريفان" وانقاذ ما يمكن انقاذه فكيف ترون هذه التحركات ومدى انسجامها مع قرارات المجلس الوطني؟

ان النشاط المحموم لبعض رؤساء البلديات وبعض الشخصيات المشبوهة لا يمكن أن تتسجم مع قرارات المجلس الوطني الفلسطيني السادس عشر، فهو لا نشطو قبل الاجتماع في الجزائر بهدف استقلال ظروف ما بعد بيروت وصعوبة المرحلة الراهنة لبث روح اليأس بين الجماهير الفلسطينية والعربية ودفعها الى قبول المشاريع الاستسلامية المطروحة وخاصة مشروع ريفان وتوهمت هذه الجماعة الضالعة انها تستطيع خداع الجماهير والضغط على المجلس الوطني الفلسطيني لكي يوافق على مشروع ريفان او على الاقل اتخاذ موقف غير واضح تجاهه . ومن الملاحظ ان هذه الشخصيات هي نفسها التي تحركت للسمررة لاتفاقات كامب ديفيد عام ١٩٧٧ .

ان جميع هذه التحركات القديمة والجديدة تتعارض مع أهداف وآماني الشعب العربي الفلسطيني ولهذا فلن يكون مصيرها الا الفشل فقرارات المجلس الوطني الفلسطيني جاءت لتعبر عن أهداف وآماني هذا الشعب ولا يمكن أن تتسجم بأى حال من الاحوال مع تحركات هذه الشخصيات العميلة .

ريغن باعتباره الوجه الاخر لنفس العملة . كما حددت علاقات منظمة التحرير الفلسطينية مع الدول العربية على أساس موقف هذه الدول من المشاريع الاستسلامية المطروحة والتي تحاول الامبريالية والصهيونية فرضها على الشعوب العربية وخاصة على الشعب العربي الفلسطيني بعد الاعتداء الوحشي على لبنان وبعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت .

وهكذا يمكن القول بأن قرارات المجلس الوطني الفلسطيني جاءت لتخيب آمال سامرة الحلول الاستسلامية التي كانت تبح للترويج الى هذه الحلول مستفيدة من تشجيع الاوساط الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ومستغلة الصعوبات التي واجهتها الحركة الوطنية الفلسطينية بعد الخروج من بيروت .

٢) لقد أكدت قرارات المجلس الوطني على أهمية الوحدة الوطنية في الداخل والخارج ، فما هو السبيل لانجاز هذه الوحدة عمليا ؟

من الممكن تحقيق وترسيخ الوحدة الوطنية الفلسطينية وذلك من خلال احياء الجبهة الوطنية في الداخل على أسس ديمقراطية صحيحة بحيث تضم جميع القوى الوطنية المناضلة ضد الاحتلال وتعمل على حشد جميع طاقات الجماهير وتكون هذه الجبهة الممثل الوحيد لمنظمة التحرير الفلسطينية داخل المناطق المحتلة لها صلاحيات خاصة تساعد على القيام بمهامها والمشاركة الفعالة في اتخاذ القرار الفلسطيني العام . اما على صعيد الساحة الفلسطينية خارج المناطق المحتلة فيمكن تحقيق وترسيخ الوحدة الوطنية عن طريق

واقع وأبعاد السياسة الاقتصادية الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة

بقلم: خالد سعيد

ومثل الاستيطان الجانب الأكثر أهمية والاثقل وزنا في هذه الاستراتيجية حيث تم مصادرة مساحات واسعة من المناطق المحظرة بلغت أكثر من نصف مساحة هذه المناطق التي عليها أكثر من (١٠٣) مستوطنات، بهدف خلق مراكز صناعية زراعية متطورة وفي مواقع استراتيجية. نتيجة هامة تسهل لها عملية تمزيق وحدة هذه المناطق ومحاصرتها وعلى غرار ما حدث في الجليل بعد عام ١٩٤٨ يتكرر اليوم في الضفة الغربية، حيث تتحول تدريجيا كل مدينة في هذه المنطقة الى مدينة يهودية، عربية واصبحت هناك خليل عليا ونابلس عليا يهوديتان وبهذا يتكامل حسب تعبير مناهج بيغن الدمج من القاعده، في الوقت الذي حققت فيه سياسة الهيمنة الاقتصادية مراحل متقدمة عبر تدمير القطاعات الانتاجية وزيادة الاعتماد على السوق الاسرائيلي .

تدمير القطاع الزراعي هدف اساسي تضمنته
الخطة الاقتصادية الاسرائيلية
=====

جسد هذا القطاع ميدان الصراع المباشر
مع الاحتلال لارتباطه الوثيق بالارض ومركزه

عانى اقتصاد الضفة الغربية خلال فترة الحكم الاردني من تبعية تامه للاقتصاد الاردني والذي عايش باستمرار ازمت التخلف وعدم الاستقرار، حيث لم تولى الحكومة الاردنية آنذاك أدنى اهتمام في خططها التنموية الهزيلة لخلق وتطوير مشاريع انتاجية في الضفة الغربية، وحدث قوانينها من إمكانية قيام مشاريع كبيرة في هذه المنطقة، بنفس الوقت الذي شجعت فيه قيام صناعات نصف تكميلية في الضفة الشرقية مما سهل هجرة الراسمالي المحلية وتوظيفها في الاردن . وزادت من تبعية السوق المحلي للسوق الاردني أما في قطاع غزة فلقد خضعت عوامل النمو البطيئة في الانتاج المحلي للمبادرة الفردية، وتركزت معظم الاستثمارات في بعض الفروع الزراعية ومشاريع صيد الاسماك .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة وجدت اسرائيل الفرصة مهيأة تماما لترسيخ سياسة التبعية والهيمنة الاقتصادية، ولقد تمثلت الابعاد الاستراتيجية للسياسة الاقتصادية في خلق واقع جديد يسهل عملية ابتلاع المناطق المحتلة وضمها الى اسرائيل . .

إطعام الدولة الصهيونية، ولكونه من أهم القطاعات الاقتصادية مساهمة في الدخل القومي، حيث تصل نسبة أسهامه إلى ٣٧٪ من مجمل الدخل القومي العام، في حين يعتمد ٤٦٪ من السكان في معيشتهم على الزراعة . ولقد تبلورت اتجاهات السياسة الاقتصادية في هذا الميدان في الممارسات التالية :-

(١) مصادرة مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والاستلاء على مصادر المياه الجوفية . واحتكارها من قبل مؤسسات اسرائيلية "كتركة ميكرو" مما أدى لتدهور الانتاج الزراعي خاصة في الزراعة التقليدية الفلسطينية كالحمضيات والزيتون وغيرها، وتحول أقسام واسعة من القوى العاملة في الريف الفلسطيني لسوق العمل الاسرائيلي ، حيث شكلت نسبة هذه القوى حوالي ٤٦٫٢٪ من مجموع عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل .

(٢) تحفيز انتاج محاصيل زراعية ملائمة لاحتياجات السوق الاسرائيلي والتحول مثلا من زراعة البطيخ لزراعة القطن والتبغ، والذي يقتصر مجال تصريفه في الغالب عن السوق الاسرائيلي وفي السوق المحلي ، مما يعني ترسيخ لسياسة التبعية وسهولة تعرض هذه المحاصيل بفعل احتكار الشراء للاستغلال والتدمير بالمقابل فان هذه السياسة توفر أساسا قويا لزيادة انفتاح السوق المحلي أمام منتجات زراعية أخرى لانعدام المنافسة المحلية لمثل هذه المنتجات وزيادة الاعتماد على السوق الاسرائيلي .

(٣) تشجيع انتاج المحاصيل الزراعية اللازمة للتصدير كالتوت الارضي مثلا ، عن طريق وجود متعددين فرعيين في الريف خاضعين مباشرة لسيطرة المتعهد الاسرائيلي

(٤) ان تخدم مجمل هذه السياسات

تفريغ الأراضي الفلسطينية أو أضعاف ارتباطها بأصحابها الشرعيين وتشجيع هجرة الفئات عن حاجات السوق الاسرائيلي من الايدي العاملة للخارج ، حيث بلغ مجموع الذين تركوا المناطق المحتلة خلال الفترة ١٩٧٥ - ١٩٨٠ ، حوالي ٩٠ ألف شخص يمثلون حوالي ٧٥٪ من نسبة الزيادة الطبيعية في عدد السكان مما يسهل عملية المصادرة وزيادة عدد المستوطنات وتوسعها ..

(٥) تحول تدريجي في شكل التداول السلعي في مجال الانتاج الزراعي على أساس انتاج محلي - سوق اسرائيلي ، وانتاج اسرائيلي - سوق محلي ، والفصل نهائيا بين الانتاج والسوق المحلي ، مما يعني في ظل عدم التكافؤ الحاصل ، سيطرته تامة للانتاج والسوق الاسرائيلي ..

الانتاج الصناعي

=====

أما في ميدان الانتاج الصناعي ، والذي عانى تاريخيا من أزمات اقتصادية فاقت في حداثتها الازمات التي واجهت الصناعة المتخلفة في الاردن حيث أتمت غالبية الصناعات المحلية بطبيعتها البدائية ذات النمط الحرفي في الانتاج وأقتصرت الجانب الاعظم من عمل هذه المؤسسات على تقديم خدمات فنية أكثر منه انتاج فلقد استهدفت السياسة الاقتصادية الاسرائيلية وبشكل مخطط ونشط تدمير ما يمكن تدميره من فروع هذا القطاع والحد من امكانيات نمو الفروع الأخرى . وتعميق عوامل تخلفها ، وكانت إحدى نتائج هذه السياسة انخفاض مساهمة هذا القطاع - المتخلف حقيقه - في الدخل القومي في الضفة الغربية ، فخلال الفترة ١٩٧٥ - ١٩٧٩ انخفضت مساهمته من ٦٪ - ٤٫٤٪ ، أما في

قطاع غزة فلقد كان تأثير الاحتلال أقل حدة نتيجة لتخلف الصناعات القائمة .

ولقد واجهت العديد من الصناعات المحلية، وما زالت تواجه مشاكل وصعاب جديده تمثلت في النواحي التالية .-

(١) اعتماد جزء كبير من الصناعات على المواد الخام المستورده من الخارج عبر وكلاء اسرائيليين، مما ساهم في زيادة تكلفه الانتاج وضعفه امام المنافسه الاسرائيلية وزاد من حدة هذه المشكله ضيق السوق المحلي، وسياسة الاسواق المغلقة التي تواجه المنتجات الصناعية المحلية سواء من قبل الحكومة الاسرائيلية أو الحكومات العربية المحيطة وخاصة الاردن .

(٢) تنوع الضرائب المفروضة على المنتجات الصناعية وتعايدها المستمر مما قلل من ربح العديد من المشاريع الصناعية القائمة وافلاس البعض الآخر، كما حدث هذه السياسة من امكانية نشو صناعات جديدة وزادت من الاعتماد على السوق الاسرائيلي .

(٣) تمزق النظام النقدي وانعدام المؤسسات المالية التي من شأنها توفير القروض والحوافز للراسمال لزيادة استثماراته في المجال الصناعي، وقصور سياسة الانفاق المالي لدعم المشاريع الصناعية في الضفة الغربية وقطاع غزة عن تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية، حيث ان الجزء الأكبر من الاموال المقدمة لدعم الصناعة يعاد استثمارها او تكديسها في الخارج، وبالذات في الاردن بدلا من الاستفادة منها في المناطق المحتلة، وهذا يحد ذاته مكسب اضافي تحرص عمان على تدعيمه وشبابه ..

(٤) الحد من امكانية قيام أية صناعات جديدة ووضع العراقيل "القانونية" والمالية أمام نشوؤها كما هو الحال بالنسبة لمشروع مصنع الاسمنت وللعديد من المشاريع

الصناعية الاخرى .

(٥) انعدام التخطيط والتنمية الاقتصادية الشاملة نتيجة غياب السلطة الوطنية، وانعدام أية توجهات جدية لدعم المشاريع الصناعية المتماثلة في الانتاج كالادوية مثلا وقيام صناعات مشابهة للصناعات القائمة ومما يترك اثرا سلبيا على مستوى الانتاجية وارتفاع التكاليف، وضعف التخصص في الانتاج وبالتالي رداء النوعية أحيانا وضعف المنافسه امام المنتجات الصناعية الاسرائيلية أو المستورده من الخارج (٦) ضعف وموسمية الطلب على العديد من المنتجات الصناعية الحرفية والتي يمثل أنتاجها جزءا هاما من الناتج الصناعي المحلي نتيجة لتدني قدره الشرائية من فترة زمنية لاخرى ولسيطرة الانتاج الاسرائيلي على السوق المحلي مما ساعد على افلاس العديد من هذه المؤسسات .

(٧) تنامي دور المتعهدين الفرعيين والذين يعملون بموجب عقد عمل (Subcontraction) لمؤسسات صناعية اسرائيلية تقدم لها المواد الخام او شبه الجاهزه وقد بدأ هذا بشكل خاص في مجال صناعة النسيج والتريكو وفي مجالات أخرى يرتبط بموجبها المتعهد الفرعي العربي مباشرة بالمتعهد الرئيسي الاسرائيلي . وعلى ضوء هذه يمكننا ان نلاحظ بوضوح اعتماد جزء متنامي من الصناعات المحلية وخاصة المتعهدين الفرعيين على السوق الاسرائيلي، فيما يعتمد الجزء الأكبر من الصناعات الاخرى وبالذات الحرفية منها في تصريف منتجاتها على السوق المحلي، بنفس الوقت يطمح قسم آخر بتوسيع نطاق السوق المحلي ليشمل أسواق عربية محيطة ولا شك بأن لمثل هذا التفرع اثر هام في تحديد

التوجهات السياسية لهذه الفئات ..

ولم يستثن قطاع الخدمات بفروعه المختلفة، تعليمية، صحية .. الخ من تأثير الاحتلال حيث يعاني الخراب والدمار، ولا أدل على ذلك من تصريح ضابط الخدمات الصحية في الضفة الغربية بعد عام ١٩٦٧ حيث قال: " كغيرها من شعوب العرب يجب أن تكون الخدمات الصحية فوق الصفر وما دون الواحد صحيح" . ولا شك بأننا مؤهلين على ضوء هذا التصريح الذي يعكس واقعنا الحالي أن نستدل بوضوح واقع وأبعاد السياسة الاقتصادية القائمة في المناطق المحتلة والتي تعدى مجال نشاطها وتأثيرها هذا الواقع الاقتصادي لينهش الوجود الفلسطيني ككل .

الخلاصة :-

=====

بالنتيجة فإن وضوح جوانب الضعف الموجوده يجب الا يحجب عنا جوانب القوة المتوفرة لدى شعبنا الفلسطيني، ولا شك بأن توفر الاساس المادى الاقتصادى سيوفر امكانيات لتنمية الصمود وشل وعرقلة تنفيذ هذه السياسة في المناطق المحتلة، ولهذا فلا بد من انتهاز سياسة اقتصادية مخططة وسليمة لمواجهة زخم السياسة الاقتصادية الاسرائيلية وعليه يقع على عاتق شعبنا الفلسطيني ومؤسساته الوطنية وبالتحديد منظمة التحرير، الفلسطينية وضع سياسة اقتصادية شاملة تستهدف تحقيق الممكن ضمن الظروف الصعبة القائمة ولا شك بأن التحدى المطروح امام كل اموال الدعم والصمود ، والقدرة على اقامة جمعية تعاونية زراعية ناجحة تعم تجربتها على بقية مواقع الريف الفلسطيني فبمثل هذا النهج لا سواه يمكن لاموال الدعم والصمود ان تخدم الاهداف التي وجدت من اجله ..

« المتشائل »

في تونس



ليون المعازنة

السليمة

الوقائع الغريبة
في الحقائق
سعيد المصطفى

تونس بكار

صدر عن «دار الجنوب للنشر» في تونس الطبعة الجديدة لرواية «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل» للكاتب المعروف اميل حبيبي.

وقد قدم للرواية توفيق بكار بقوله: «ما انفكت فلسطين منذ نكبتها ترمي بأحداثها نفوسنا حتى كانت

هذه «الوقائع الغريبة» فإذا هي تستنزفنا ضحكا. لم تنته المأساة ولكنها جاوزت حدّها فانقلبت الى ضدها. المثل معروف: اشتدّي أزمة تنفجري. فهتمة. وبالفعل اشتدت الأزمة باميل حبيبي فانفجرت تناولاً وهو اسم منحوت لضحكة جدلية.

وتأتي هذه الطبعة ضمن سلسلة «عيون المعاصرة» التي تصدرها دار النشر التونسية.

ومن المعروف ان رواية «المتشائل» قد أعيد طبعها في عدد من الدول العربية وقد صدرت ترجمتها الانكليزية قبل أشهر .

حوار

مع الكاتب محمد موسى مناصرة

أجرى اللقاء
جميل السالحون



محمد موسى عطية مناصره من مواليد وادي فوكس ١٩٥٠ ومن سكان مدينة بيت لحم .
امضى في الاعتقال سجون الاحتلال مدداً غير قليلة كان اخرها اعتقاله في الاعوام ٧٥،
١٩٧٨، ٧٧، ٧٦ . ويقضي الان تحت الإقامة الجبرية المفروضة عليه منذ ١٩٨٢/١/٧ حيث
امرت السلطات العسكرية بنفيه الى وادي فوكس وامضى فيها الاشهر الست الاولى . وحين
صدر له الامر الثاني رفض الالتزام به والعودة الى وادي فوكس واعتصم طوال اسوعين
في دوائر الشرطة والحكم العسكري في بيت لحم حيث صدر له الامر من الحكم العسكري
في بيت لحم بقضاء اقامه جبرية منزلية ريثما يصدر قرار بذلك من قيادة الحكم العسكري
في الضفة الغربية . وتم تجديد امر الإقامة الجبرية الثالث حيث سمحت له السلطات
بالتحول في حدود مدينة بيت لحم ..

شغل عضواً في الهيئة الادارية لنقابة عمال المؤسسات العامة ببيت لحم لفترات
عديدة وعضواً سابقاً في مجلس الاتحاد العام لنقابات العمال بالضفة الغربية . وفي
السنوات الاخيرة عمل في اطار اسرة تحرير جريدة الطليعة المقدسية ..
ومؤخراً استأذن من نقابته للسماح له باكمال تحصيله العلمي والتحق بجامعة بيت
لحم / كلية الاداب / دائرة العلوم الاجتماعية ..

متى بدأت الكتابة ، وكيف ؟

بدأت الكتابة قبل عام ١٩٦٧ ، أثناء دراستي الاعدادية ، اذ كنت اشارك في الكتابة بحلات الحائط بمدرسة ذكور الدهيشة الاعدادية . اما كتابتي فكانت عبارة عن مواضيع اثاثية تتعلق بواقع الناس في مخيم الدهيشة ومعاناتهم الناجمة عن الهجرة والنقص في الخدمات والفقر وانتشار الامراض . واذكر ذات يوم ان معلمي اللغة العربية في المدرسة ، نظموا مهرجانا ثقافيا اسبوعيا لتنمية مواهب الطلاب ، وتقدمت للجنة المشرفة بمقالة سياسية انتقد فيها مواقف هيئة الامم المتحدة في حينه تجاه قضيتنا . وفوجئت بان اللجنة المشرفة تحقق معي لمعرفة ما اذا كنت قد كتبت تلك المقالة ام لا ، واحالوني الى مدير المدرسة السيد موسى درويش الذي يشغل حاليا مدير العلاقات العامة بجامعة بيت لحم للتحقيق وهددوني بالعقاب اذا لم اعترف باسم الشخص الذي كتب المقالة لي ١١ .

يوما . . بكيت كثيرا لسببين الاول لم يصدقوا باني كاتبها والثاني لانهم منعوني من تقديمها في المهرجان الثقافي امام الطلاب . كان هذا الموقف حافزا لي كي استمر في الكتابة وبالتحديد الكتابة عن هموم الناس ومشاكلهم في مخيم الدهيشة الذي امضيت فيه قرابة خمسة عشر عاما من عمري .

في اي المواضيع تكتب ؟

اني مقتنع بان لدى الانسان طاقات وقدرات هائلة وغير محدودة تمكنه من الابداع في جميع المجالات ، وان كان هذا الابداع بدرجة متفاوتة بين هذا النشاط او ذاك .

ولما كان الابداع ، هو احد تجليات الوعي الاجتماعي ، وهذا الوعي مكتسب ، فبالقدر الذي يبني فيه الانسان نفسه بالخبرات المعرفية ويكنوز العلوم الانسانية المتنوعة ويحاول تجربتها او تطبيقها ، بقدر ما تتنامى لديه بالمقابل مشاعر واحاسيس ومقومات الابداع لقد كتبت الشعر ولدى ديوان لم يطبع ومجموعة قصصية لم تطبع ، وكتبت في النقد والمقالة . وكتبت اسكتشات مسرحية تم تقديمها على مسارح عديدة بواسطة فرقنا المحلي ومنها فرقة المسرح الفلسطيني .

والى جانب ذلك اهتمامي بالكتابة الصحفية حيث احس بالمتعة والسعادة في جميع الاخبار وكتابة التحقيقات الصحفية وخاصة حين يكون الامر متعلقا بمظالم الاحتلال ضد جماهير شعبنا او بكفاحات الناس .

كذلك كتبت القصائد الغنائية وكثيرا منها منتشر في اوساط المعتقلين بالسجون الاسرائيلية وفي الوطن المحتل وبعضها وصل للخارج دون ان يعرف الناس بانها لي ومن بينها الاغنية الوطنية المشهورة " يا يوم الارض يا غرة بجبيني " .

ولم اکتف بكتابة الاسكتشات المسرحية او الاغاني بل وعملت لفترة بالتمثيل في اطار فرقة المسرح الفلسطيني وشاركت في عدد غير قليل بالمهرجانات الوطنية بفقرات غنائية غنيتها بنفسي في بيت لحم ، بيت ساحور ، القدس ، رام الله ، والناصرة ، بالإضافة الى الحفلات الغنائية التي كنا ننظمها اسبوعيا او شهريا في السجون الاسرائيلية وخاصة في سجن بئر السبع .

من تأثر من الكتاب محليا وعربا
وعالميا ؟

انني انحزب لجميع الكتابات والادبيات
التقدمية المحلية العربية والعالمية وتأثر بها
بالطبع فان تحزبي لها لا يعني من الاطلاع
على كل ما تقع يدى عليه ايا كان مشرب كاتبه
الايدولوجي والسياسي . واقرأ جميع
الكتابات بدون استثناء بروح انتقادية سواء
كانت رجعية ام تقدمية . .

في مجال المقالة السياسية فاني افاخر
بما يكتبه بشير البرغوني رئيس تحرير صحيفة
الطليعه ليس محليا وحسب بل باعتباره احد
اعلام المقالة السياسية البارزين بالمنطقة
العربية . .

اما بالمقالة التاريخية فاميل توما وبالشعر
خليل توما ومحمود درويش وسميح القاسم
وتوفيق زياد وعز الدين المناصرة الذي لا
يربطني به أية صلة قرابة كما يظن البعض .
وبالنسبة للكتابة الروائية والقصصية فأنا متأثر
باميل حبيبي وحنان منبه، وفي مجال النقد
الادبي والفكرى حسين مروه ومحمود أمين العالم
انني اعشق الادب السوفيتي الذي اثر
في تربيتي كثيرا . وبواسطته ادركت الرسالة التي
يمارسها الادب في الحياة لتحقيق الرفاهية
والسعادة والسلام للانسان .

قرأت لك مواضيع نقدية اعتبرها هجوما
شخصيا اكثر مما هي نقد موضوعي . فماذا
تقول في ذلك ؟

يؤسفني بالطبع ان اسمع هذا منك ، واني
ادعوك بحرارة لقراء النصوص من جديد ،
وعندها ستعود لتتصنفي حتما .

اني لا اذكر قط باني تحدثت سلبا او

ايحيا فيما يتعلق بقوام الكتاب او لول
عيونهم والبستههم وامرحتهم ولون بشرتهم،
والصحيح اني وقفت موقفا انتقاديا حاسما من
بعض المفاهيم والاحكام والتصنيفات والافكار
التي نطق بها بعض كتابنا او عبروا عنها في
انتاجهم . وكل ذلك مسجل في النصوص واني
واثق كثفتي بالشعب وبالنصر وبالطبعة التي
انتمي اليها بصحة ما قلته .

يجب التفريق بين مفهوم "الموضوعية"
كما نفهمه نحن المنتمين للطبقة العاملة
وفكرها وسلوكها ومفهوم "الموضوعية"
البرجوازية وللأسف كثير من كتابنا التقدميين
تنقصهم حتى الان المعارف الناضجة ويمكن
احيانا بتلابيب المفاهيم والمواقف بدلا من
سير اغوارها . ولا افهم كيف يطلب مني باسم
الموضوعية التهاون والتراخي في الدفاع عن
جماهير شعبنا المناضلة وعما تقدمه للانسان
من خبرات في كل الميادين .

لا افهم كيف يطلب مني باسم الموضوعية
عدم الدفاع عنك وعن غيرك من الكتاب
التقدميين الذين يتم وضعهم في نفس المكان
والخندق مع الكتاب الرجعيين او الوسطيين
او المتذيلين بالحركة الوطنية .

اني لم اصرح يوما باني من انصار السلام
الطبيقي ، وانصار نظرية وحدة الاضداد
وانصار سياسة الحياد الابحاثي ، وانصار
الخلط العشوائي بين المتناقضات . لذلك فاني
اقر بوجود ادباء موغلين في الرجعية وادباء
يتوهجون تقدمية، واذا كان هذا الاقرار عند
البعض صفة غير موضوعية فاني مع الافراد
واتنصل من موضوعيتهم التي تغض عينها عن
حقائق الواقع .

يا عمي انا راجل متحزب . كما قلت في
الفجر الادبي رقم ٢٤ صفحه ٥١ " اننا

لم تهيم ظروف الإقامة الحربية لي الفرصة للكتابة ولتطوير نفسي في هذا المجال، رغم اني كتبت خلال هذه الفترة القصيدة المقدمة للمهرجان الوطني الثاني للادب الفلسطيني "هنا باقون" وانتهيت كتابة بعض القصص وبعض المقالات النقدية والصحفية، وقمت باعداد دراسة عن تطور الحركة المسرحية في الاراضي المحتلة ولا تزال بحوزتي حتى الان ولم تر النور .

بعيدا عن الناس لا استطيع الحياة ولا الكتابة كما يجب ولكي تكتب خيرا ناجحا ينبغي ان تحيا مع الناس، ولكتابة القصة ينبغي ان تحيا مع الناس ولكتابة الشعر ينبغي ان تحيا مع الناس وتعاني معاناتهم لتستلهم من هذه الحياة معالم المستقبل .

وبواسطة الإقامة الجبرية ابعدونني الى حد ما عن تفاصيل الحياة على الاقل في العام الاول . فتصور نفسك حبيس البيت رهن الإقامة الجبرية المنزلية الى جانب مختلف الضغوط الناجمة عن ذلك ، النفسية والامنية والفقر المدقع وتأتيك حقائق الحياة في وطنك بواسطة الاصدقاء كنشرة الاخبار ١١ فهل ستكتب بنفس الصدق والجودة والنضج كما لو كنت تعيش وقائع الحياة بنفسك . وليس معنى ذلك انك منقطع تماما عن الواقع ، ولا تستطيع كتابة شيء المقصود من ذلك ان الكاتب لكي يكتب بمستوى النضج - عليه ان يأخذ بالاعتبار الابعاد الاساسية للزمان الماضي الحاضر والمستقبل ، وأي انتقاص لاحد الابعاد لا بد وان يحدث خلافا معينا فيما يكتبه المرء . وان كانت نسبة الخلل متفاوتة من كاتب لآخر تبعا لما راكمه كل كاتب من خبرات ومعارف عن الواقع .

وللتوضيح اكثر . . كاتب يعيش في احد السجون الاسرائيلية فانه لا يستطيع الكتابة

مطالبون عند النظر لكل حالة او ظاهرة، او فكرة او مفهوم ، قبل المعالجة او المعالجة ، ان نضع النظارات الطبقية على عيوننا، وذلك لاننا لا نعشق الارض ونشق بالشعب والمستقبل مستلهمين روح الثقافة البرجوازية بل لاننا نستلهم روح ثقافة الشعب الكادحين وفكرهم ثقافة الطبقة العاملة .

ان وضع "الشوافات" الطبقية على عيوننا ليس تحزبا اعمى او تحزبا فئويا كما قد يبدو للبعض اننا نعني به صراحة التحزب للشعب والكادحين ، التحزب لكل المناضلين المندمجين في الشوارع والحارات والصحف والمدارس والمساحد والمصانع والساحات وفي المزارع يقاتلون صفا واحدا ضد المحتل " .

هل تعتبر نفسك ناقدا . شاعرا . قاصا ام ماذا ؟

ليس الامر كذلك ، ان لكل منا دورا يؤديه من اجل سعادة الانسان الفلسطيني ولذا فاني اكتب في كل ميدان استطيع وبواسطته اداء واجبي نحو الشعب والقضية .

بالطبع ، فانا موقن بانني لا يمكن ان اكتب بنفس المستوى من النضج والابداع في كل الميادين . ولكن الكتابة عموما بالنسبة لي هي جزء من ادوات الكفاح الوطني والطبقي . ولهذا لا ارى في كتاباتي او في نفسي ميلا لتخصص محدد ، فلك ان تعتبرني ما تشاء .

هل لكتابتك علاقة بامر الإقامة الجبرية المفروضة عليك ؟

واقع الحال انه على غير ما يتصور البعض

بنفس النضج والجودة عن مدينة القدس
بالقياس الى كاتب آخر يعيش حقائق الحياة
في باب حطه او حارة السعدية مهما استعان
الكاتب المعتمد بخبرات الماضي المتكونة
لديه اذ مع اشراقه كل شمس ، تطرح في
الحياة حقائق ووقائع متجددة .

ما هي همومك كطالب وكاتب ؟

تعلم باني انقطعت عن التعليم منذ عام
١٩٦٧ حين انتهت الاعدادية، واثاء اعتقالي
الاخير اتاحت لي فرصة تقديم امتحان
الشهادة الثانوية في سجن بئر السبع ونجحت
به فعاد الامل يراودني لاكمال تحصيلي العلمي
ومؤخرا التحقت بجامعة بيت لحم بعد
ان استأذنت من النقابة ولاني لا استطع
التوفيق من الوجهه الواقعية والقانونية بين
كوني طالبا وعاملا في آن معا ، وشجعوني على
ذلك وقدموا لي كل العون .

وبكل اسف ، رغم التحاقى بالجامعة، فقد
اصبت بخيبة الامل: صحيح بان الطالب
بالنتيجة يحصل على شهادة جامعية، ولكن
بأى مستوى؟ هنا السؤال ١١١ .

ان مستوى التعليم الجامعي في وطننا
متدني جدا جدا ١١١ ومسوء وليه ذلك تتحملها
بالدرجة الاولى السلطات الاسرائيلية بواسطة
هيمنتها على المناهج التربوية والتعليمية
في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية
وبسبب ملاحقتها للمعاهد والجامعات واوساط
الهيئات التدريسية فيها بالاضافة الى قمعها
للحركة الطلابية .

وبالطبع فان الجامعات المحلية تتحمل
هي الاخرى قسطا وافرا في تدني مستوى
التعليم وخاصة في مجال مستوى المناهج
والمساقات المقررة للتدريس والتي في غالبيتها

عفى عليها الزمن .. فتصور نفسك تضي ك
الوقت في دراسة نظريات عفى عليها الزمن
وهي نتاج للمعرفة البشرية في القرن التاسع
عشر او الثامن عشر وما دون ذلك .

قد يعترض غبي .. وما العيب في ذلك؟
فجميع دول العالم وجامعاتها تقوم بتدريس
هذه المواد هذا صحيح ولكن الى جانب
تدريس هذه المواد فانها تقوم بتدريس
الطلاب ايضا احداث العلوم الانسانية في كل
المجالات العلمية او الاجتماعية او الادبية،
وهذا ما يتم حرماننا منه او يتم في الغالب
اقرار مساقات ومناهج في المحصلة النهائية لا
يعرف الطالب منها 'رأسه من قدمه' ..

انني اطمح الى مستوى اكايمي جيد
لابناء شعبنا لاننا لا يمكن ان نبني دولتنا
المستقلة بالجهل بل بالعلم واني مقتنع بان
لا يمكن الوصول الى هذه النتيجة بنسبة مئوية
جيدة الا بحصولنا على النصر لكي نتامن لنا
فرص اعادة النظر في كافة المناهج التربوية
والتعليمية في مؤسساتنا ومعاهدنا ومدارسنا
ومؤسساتنا الاعلامية .

ان ما يسيطر على ذهني كطالب او ككاتب
هو ما يشغل بال كل ابناء شعبي .. التفكير
بالحرية والهوية القومية .

ما هو تقييمك للحركة الادبية في الاراضي
المحتلة، وهل انت راض عنها؟

كما تعرف .. فانا لا اتعامل مع الحركة
الادبية المحلية بوصفها طبقة او تنظيم او
مؤسسة او حزبا سياسيا، انها اطار عام، وحدة
كثيرها من الوحدات الاجتماعية التي تتفاعل
فيها قوانين التطور الاجتماعي، انها تضم
كتابا من مختلف المشارب الطبقية والايديولوجية
والسياسية ، ومنهم من يراوح على اول درجة

من السلم ومنهم من يحاول نخطيها الى الاعلى . .
لذلك . فان تقييم الحركة الادبية في

الاراضي المحتلة ينبغي ان يراعى عدة اعتبارات من بينها على سبيل المثال لالحصر الخصائص الملموسة لظروف الكتاب التاريخية في ظل الاحتلال .

مشرّب كل اديب الايديولوجي والسياسي والاجتماعي والمعيشي وموقفه من ظروف الاحتلال .

نضج مضامين الاعمال الادبية للكتاب ودرجة التفاوت فيما بينها

ان هذه الاعتبارات تساعدنا في فهم حقيقة ان ليس جميع الكتاب في اطار الحركة الادبية المحلية ملتزمون برسالة التاريخ المفروضة عليهم . .

صدقني، مثلما نشهد اصطفا في مجال السياسة حيث نرى اناسا تعبوا من الكفاح ويلوحون "بإيجابيات" مشروع ريفان والاتحاد الكونفدرالي مع الاردن . وآخرون وهم الاكثر يجددون العزم على الكفاح ويزدادون قوة واثقون من النصر .

ومثلما نشهد اصطفا في الحياة الاقتصادية اذ ثمة اناس مرتبطة مصالحهم الاقتصادية مع فضلات الاحتلال المالية او مرتبطين بنعم الاردن المالية عليهم . فهناك آخرون يكافحون من أجل الحرية والاستقلال الوطني وبناء الكيان القومي الفلسطيني فاننا نشهد اصطفا في كل ميادين النشاط بما فيها الادب مع ان هذا الاصطفا يتطلب منا لكي نفهمه ونكشفه قدرات ذهنية انتقادية معينة .

ان من الادياء من هزتهم ظروف القمع والملاحقات والجوع وخنق الحرييات الديمقراطية فاختاروا في انتاجهم تصوير الفرد العاجز عن مواجهة التحديات وانفصلوا عن الحياة، وعبروا عن تمردهم العاجز ضد

المجتمع والظروف المحيطة به وتوقعوا خوفا ورعبا داخل انانيتهم ومصالحهم الذاتية يبحثون في انتاجهم عن احلام ضائعة وسعاده لن تتحقق .

وادباء آخرون يناضلون مثابرون من أجل تغيير الواقع، من أجل تقدم وانتصار شعبهم من العبودية ويحملون قضية شعبهم على أكفهم وهاماتهم يلوحون بها امام العالم، مهتمون بمعرفة الانسان الفلسطيني في اطار تفاعلات مجتمعه وعصره في ظروف الاحتلال للتباهي بقيمه وأخلاقه الانسانية . .

هذان هما اطراف الحركة الادبية الاساسيان واني ارجب في تسجيل ملاحظة عن كتاب للكتاب المتقدمين هو ان كثيرا منهم لديه الرغبة والحرص الصادق للتعبير، ولكنهم ضعفاء ليس بسبب القمع من الخارج، القمع من الاحتلال بل ضعفاء بسبب قلة معارفهم للعلوم

الانسانية وما راكمته من خبرات معرفية .
ضعفاء لانهم لا يحاولون اكتشاف انفسهم في الكفاح المشترك مع الشعب وبين صفوفه، وبعضهم يعاني من تأثيرات الادب البرجوازي دون ان يدرك ذلك .

ان الاديب الناضج هو من وقف حياته كلية لخدمة القضية الوطنية والاجتماعية لشعبه هكذا كان ناظم حكمت، بابلو نيرودا، غوركي ولوكا، ولنفس السبب وجدنا اميل حبيبي يقفز الى اعلى السلم بقليل جدا من الانتاج الادنى، ولكنه ذلك يتلخص في انه وهب عمره للشعب والقضية التي يخدمها

ان الحجج الباهتة التي يقدمها وبأسف بعض الزملاء الكتاب والقائلة بان الممارسات الاسرائيلية هي السبب في تدني معارفنا الثقافية ومنها اوامر منع تداول الكتب والنشرات والدوريات وملاحقة الادياء، وبالتالي تدني مستوى الخبرات الثقافية والادبية لدى كتابنا، هي حجج غير مقبولة ولا تملك أي

دليل لتثبيتها، وهي ليست أكثر من تبرير للعجز والاحباط وتبرير للجهل المسيطر على اذهان بعض الكتاب .

صحيح بان السلطات الاسرائيلية تحاول تدمير قيما الروحية على اختلافها باعتبار هذه القيم، مادية، او علمية، فنية دينية، الخ واحدة من مقومات شعبنا القومية، ولكن لا من قال بان مصدر ثقافة الانسان هي هذه الكتب والنشرات والدوريات الممنوعة؟ ان قبولنا بحجج هؤلاء الزملاء - وللأسف بعضهم من هو مندمج في الحندق النعدي - يعني تنكرا لحقائق التاريخ، وتنكرا لابطسبدييات الفهم المادي للتاريخ. وذلك لان ثقافة الانسان ليس مصدرها الكتب والنشرات برغم الدور الذي تمارسه ١

ان وعي الانسان وثقافته نتاج للحياة الاجتماعية الواقعية، ان ثقافة الفرد تشكل وتتطور من خلال حياة الانسان الاجتماعية في العمل والعلاقات الاجتماعية بين مجموع الناس المحيطين به .

ان قبولنا بحجج هؤلاء الزملاء يدفعنا للموافقة على مفهوم اننا نعيش "ازمة ثقافة" وتعرف اني تمررت ورفضت هذا الفهم لانه يضع في سلة واحدة الثقافة التقدمية مع الثقافة الرجعية ويضع في سلة واحدة المثقفين التقدميين والمثقفين الرجعيين .

ان من يفهم فهما صحيحا يواصل دربه ويشق طريقه ويسلك سلوكا صحيحا في ميادين النشاط المختلفة رغم كل التحديات والعقبات التي قد تواجهه، بينما المأزوم ثقافيا قد يمضي للامام ليوم . شهرين او قل عامين ثم يتوقف ويبدأ تراجع .

وتحضرني هنا بهذه المناسبة اجابة بشير البرغوثي على سؤال لاسعد الاسعد ومحمود الشيخ في مجلة الكاتب العدد ٣٢ صفحة ٢١ حين سألوه " لا شك بان حركة التحرر العربية

تمر في ازمة . الخ " فرد عليهما (ابو العبد) قائلا " بلا شك هناك ازمة ولا يجدى ابداعا اعتراف بوجود هذه الازمة ولكن في رأيي ان هناك حاجة لتصحیح بعض العبارات حول هذه المسألة، وهي ازمة . . ليست لمحتوى حركة التحرر العربية" وانما هي ازمة لفهم حركة التحرر العربي وهي البرجوازية الصغيرة، ولكي تقتنع اكثر حد هذا المثال :

ان شعبنا في المناطق المحتلة الذين يواجه كل يوم جمیع ما يصدر عن الاحتلال ادرك وفهم محاطر قرار ٨٥٤ الخاص بالاجماع والتعليم العالي وانطلاقا من هذا الفهم قاوم ولا يزال يقاوم تطبيق هذا القرار وارغم السلطات رغما عنها على تجميده .

في حين ان بعضهم في خارج الوطن لا يتعرضون لاية اوامر بمنع تداول الكتب والمجلات والنشرات والثقافات العمالية وتاج لهم فرض الاطلاع على كل شيء ومع ذلك لم موقف اخر من قرار ٨٥٤، موقف تخاذلي واعفني هنا من التفصيل اكثر .

وخلاصة القول لكي نتجاوز باتناما الادبي جميع الحدود والاسلاك المحيطة بنا ينبغي الاندماج مع معارك الشعب ومراكمة المزيد من المعارف والخبرات الذهبية .

شاركت في المهرجانين الاديبيين الاول بشخصك وشعرك والثاني بقصة وقصيدة الحب نياة عنك نظرا للاقامة الحبرية المفروضة عليك، فما هو تقييمك للمهرجانين؟

المهرجانان بشكل عام هما تظاهرة حضارية عكس فيها شعبنا في المناطق المحتلة وجوده الاجتماعي القومي .
ان ما يهمني بهذا الصدد هو ان اشير الى

مرودة الحرس على ان تستمر اقامة هذا
المهرجان كتقليد وطني ينبغي ان لا تتنازل
بأي حال عن حقنا وواجبنا في اقامته .

شعره او قصصه ؟

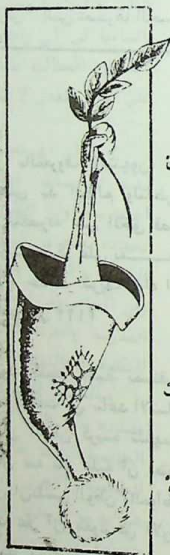
ببساطة لاني لا اكاد احد ثمن رغيث
الحيز ، وكما تعرف فان تكاليف طباعة اي كتاب
تتطلب اموالا طائلة لا طاقة لنا بتوفيرها .

لماذا لم تصدر لك حتى الان مجموعة

قصائد على شجرة الميلاد

شعر :

محمد حسين هيكل



سبحاً نوراً يبين
عصفور دودي
تتوهم كل في رشتيه
ومجاع النسيم
باباً سنوياً
شوري تتعقبه الشرفة في الطرقات
شوري يخرج من غرف التنكيل
يدخل حרב الطبقات
ياسمين أحران الفسقراء
باباً سنوياً
بدوي يخرج جسم الصحراء
يرهبه الامراء
ترتبع في عيني المعشوقة والموات
وحنين البدوي الجارج للاطفال
باباً سنوياً
قمر يتسلل نحو البحارات المهورة
ينسج أحلام الشرب
قصصنا للأطفال
جداً تتلا لا فتوقجبا والنملا

النظام الرجعي في شبه الجزيرة العربية

تلقي هذه الدراسة الموجزة ، الضو على ماهية النظام السياسي الحاكم في
السعودية . محللة مخاطر وأبعاد ممارساته المختلفة ، ودوره في ربط
المنطقة العربية بأذيال الامبريالية .
أعد هذه الدراسة مجموعة من المواطنين السعوديين ونشر في دورية
" ه مارس " التي تصدرها الجبهة الشعبية في البحرين . . .

ولكن وفي احلك لحظات التاريخ وب
تحت آلة القهر والاستبداد يبرز هذا الشعب
ليقاوم ليس الظلم فقط بل التمييز والاعتزاز
ايضا ، من اجل ان يمتلك الكرامة والحرية ،
من أجل ان يصبح الشعب مواطنون الكرامة
عدولا . .

ان اول ومضة في الظلام الدامس وال
فعل لتأسيس الكرامة والحرية واول خطوة نحو
المواطن العدل . . اول ذلك كله هو محاولة
الفهم ، فهم الواقع المشين المراد تغييره ،
وفي محاولتنا لفهم واقع حياتنا في هذا
الوطن السليب نقسم الموضوع الى اثلاث
اقسام . فنتحدث عن الواقع الاجتماعي والواقع
الاقتصادي والواقع السياسي . ومن المعلوم
بداية ان الموضوع بطبعة متداخل . .

(والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه
على الحق اطرا و لتقصرنه على الحق قصرا
أو ليغرين الله بقلوب بعضكم على بعض
ليلعنكم كما لعنهم) حديث شريف رواه ابو
داود (رياض الصالحين ص ١٢٢)

ان غلائل سود كثيفة تحيط بمستقبل
الوطن . . واغلا لا ثقالا تفت في ساعد الانسان
حتى ليرى الرائي ان الوطن فريسة تلتهمها
الذئاب وان الانسان فيه يعز عليه ان يصبح
مواطن . ويظن الظان ان تلمس الوطن والمواطن
كقبض الريح ، فلقد علا آل سعود في الارض
وجعلوا اهلنا شيعا يستضعفون طوائف منا
ويذبجون ابناءنا .

النظم المذكور بطله ضرورة البحث وضرورة
نظم القديم .

الواقع الاجتماعي :

١ - نصف قرن من الزمان مضى على تأسيس الكيان السياسي السعودي ولم يستطع حكومته بعد ان يخلق مجتمعا ولن يستطيع . ذلك لان احدا لا يحروء ان يزعم بان للحكومة السعودية سياسة تساعد على صهر سكان البلاد ثابتا . مجتمع موحد . بل ان سياساتها الاحتكارية والتمييزية والمتسمة بالفقر والعبء في تيار التمزق لا التوحيد .

فالفرق بين سكان الكيان السياسي المسمى المملكة العربية السعودية والمجتمع هو كالفرق بين الحشد والمجموعة . فبينما يحوى الحشد على عدد من الناس بشكل عشوائي تحوى المجموعة عددا من الناس في منظم من العلاقات ذات القواعد المفق عليها لتحقيق اهداف مشتركة .

من هذا المنظور فان الكيان السياسي المسمى المملكة العربية السعودية لا يحوى بداخله مجتمعا بل اعدادا متناثرة من الناس ذات ولايات متمايزة بشكل حاد . . .

فلكي يوجد المجتمع لا بد من توافر عناصر عدة منها الوحدة الجغرافية والبنية الاقتصادية المشتركة والحد الأدنى من الموروث الثقافي المشترك . ومعظم هذه العناصر وبسبب عدم تواجدها بالشكل الصحيح تؤثر سلبا على وجود مجتمع في الكيان السياسي المسمى المملكة العربية السعودية . فتاجر الاستيراد والفلاح وحوى الامير وعامل النفط ليسوا بأى حال من الاحوال اعضاء في منظم واحد بل اعضاء في جماعات ومنظمات متمايزة وصادمية في جوهرها . اذ تتباين ومشاركتهم

في معظم عناصر تكوين المجتمع . بل ان سياسة الحكومة القائمة على التمييز والتمييز بدعم يوما سياس المصاركة طائفا وتعمقا واطلما وسارخ الى القول بان التمايز الطبقي على احمس القصوى ما هو الا واحد من عناصر اساس التمايز . .

واذا كانت الحكومة السعودية تفرح بان الوحدة الوطنية المتوعدة هي اهم صحتها سارخ الى القول بان ألف سد من السواحد تحت ظل حكومة مركزية لم سقط سدود لا لرلى الكاثوليك في بواحيه مع الاصلحى الروسى بالخط لان الحكومة المركزية لم تكن ترغب الوحدة الوطنية وبؤس محتما بقدر ما كانت تمارس نظام الاستعمار الداخلى على احد الاقاليم واحدى الطوائف . وبالتسب لبلادنا وحيث الوحدة الوطنية مطلبا واساسا في آن واحد فان التمسك بينهاى بالضرورة المطالبات باعادة صياغتها لتبنى على اساس العدل لا على اساس التفرق .

٢ - ان أى تجمع سكانى او أى مجتمع لدية مؤسسات اجتماعية طبيعية وأخرى اختيارية . وفي الكيان السياسى الذى نحن بصده تعدد من المؤسسات الطبيعية كل من القبيلة والاقليم والفريد والطائفة والطبقة . ومن المؤسسات الاجتماعية الاختيارية كل من المدرسة والعرفد النجارية والسلد وجمعات التكنوقراط والقياد والحرب .

وبالتسب للكيان السياسى الذى نحن بصده واذا كانت الطبقة هي اسمى المؤسسات الطبيعية واكثرها فعالية فان وجود المؤسسات الطبيعية الاخرى وبالشكل الفاضل الذى هي به تؤثر سلبا على الولاء والوعى الطبقي خصوصا اذا كان الخط الفاصل بين طبقتين هو الخط الفاصل بين طائفتين مثلا . واذا كانت القبايل والاحزاب هما اسمى المؤسسات

الاجتماعية الاختيارية واكثرها فعالية فان كلا من المؤسّسات الاجتماعية الطبيعية والاختيارية الاخرى تعمل ضد نمو الوعي والولاة النقابي والحزبي خصوصا اذا كانت امكانيات نمو هذا الوعي والولاة تتمايز بشكل حاد بين اعضاء مختلف المؤسّسات الطبيعية ..

واذا كان هذا الفعل السلبى للمؤسّسات الطبيعية ذو حذور تاريخية معينة فان سياسة الحكومة لا تنتم بالرشد الوطنى تجاهها فيهي لا تعمل على خلق مؤسّسات اجتماعية ذات اثر ايجابى . على العكس فان الحكومة تمارس دورا تخريبيا بتميزها للمؤسّسات الاختيارية ذات الاثر السلبى مثل جمعيات النكفورقراط والحرس الوطنى . ونمى الحكومة في دورها التخريبى عندما تحتضن وتشجع مؤسّسات مثل العرفد التجارية، ونعاقب بالسجن (حسب نظام العمل والعمال) كل من يطالب بتنظيم نقابى للعمال علما بأن غرفة التجارة ما هي الا نقابة للتجار ٣ - في مثل هذا المحيط من التمييز والتمرق والقهر يصبح التحدى ليس فقط التعبير الاجتماعى بل العمل على خلق المجتمع اولا وهذا يعنى خلق الوعي والولاة الطبقي النقابى والحزبى لدى الطبقات ذات المصلحة الاساسية والدائمة في التغيير، ولكن وبذات الوقت والشدة العمل على فضح شتى انواع التمييز الطائفي والاقليمي والعرفي . اى انتزاع المواطن من بين برائن القول : الطائفة والاقليم والقبيلة .. المواطن ذو الولاة لكامل الوطن والواعى بموقفة الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ..

الوانع الاقتصادى :

١- في محاولتنا لفهم محتوى وشكل القطاع الاقتصادى لا بد لنا من التعرض لمسالتين

مداخلىتى اما تداخل ولكنهما منفصلين تحليليا كل الانفصال . فمن ناحية المحيز لا بد لنا من محاولة رسم صورة (اوفر-اؤلد) لنمط الانساج وعلاقات الانساج السادس في بلادنا لما لذلك من اهمية في ترسيده ادراكا للحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في البلاد . وفي هذا الصدد يقول العلامة ابن خلدون (ان اختلاف الاحيال في احوالهم هو باخلاف نهلتهم من المعاش) . ومن ناحية الشكل يتوجب علينا التعرض للاسطة الاقتصادية السارية في البلاد وسياسة الحكومة تجاهها ان وحسب ..

٢ - لقد ساد البلاد قبل اكتشاف النفط اقتصاد الكفاف الذى انتج من فائض القيد الشئ المحدود الذى لم يساعد على خلق تركيب طبقي معقد في سلم التقسيم الاجتماعى للعمل الذى بدوره بسطلا لم يكن الانساج سلعا ولم يلعب النقود دورا كبيرا فيه بل سادت المقايض والآخر العيني المتبادل تحليليا مع الانساج اللاسعى . وكانت الفعاليات الاقتصادية تنحصر في صيد الاسماك والرعى والزراعة والتجارة الداخلىة منها والخارجية وبعض الحرف . وبعض الخدمات مثل خدمات الحج في المدن المقدسة . ولقد شكل سوح القبائل وتجار القرى السرائخ التى اسحوذت على فائض القيمة الهزيل ذلك . ولقد وصف بعض العلماء نمط الانساج هذا بأنه (سب-اقطاعى) .

٣ - يرى البعض ان اكتشاف النفط في شرق البلاد قد فخر قبيلة في احتفاء النظام شبه الاقطاعى المذكور ومزقة اربا الى غير رجعة . وان النظام القائم في بلادنا اقرب الى الرأسمالية . وهذا صحيح من ناحية الشكل ولكنه يبعد كثيرا عن الصحة من ناحية المحتوى ورغم افتراضنا على الرأسمالية كنمط انتاجى ونظام معرفى واجتماعى وسياسى واقتصادى الا

أما ترى أن النظام القائم في بلادنا ليس
رأسماليا ولا يمكن أن يكون رأسماليا لو أراد.
والأهم من كل هذا أنه لا يمكن أن يتجاوز
الرأسمالية وهو المطلوب وضبا .

من هذا المنطلق نتعرض لعلافة النظام
القائم في بلادنا بالرأسمالية ليس بحيدا لها
وحي النظام المذموم ولكن لغرض البحث فقط
لنعرض طبعه النظام لدينا .

وبما أن صناعة النفط هي التي عبرت
الحياة ولا تزال تسلك الاتحاد الوطني .
ستعرض إلى هذه الصناعة من حيث الأدوات
والملكية والإدارة والسيطرة والاستحواد .

فالأدوات والأساليب والتنظيم للعمل في
قطاع النفط رأسماليا بحتا . وملكية هذه
الأدوات ملكية رأسمالية بحتة أيضا بالنسبة

للشركات الاحتكورية ورغم ذلك فإن
الشركات تمارس انماطا قبل رأسمالية في
علاقاتها بالعمل من حيث التفرقة الطائفي
والإقليمي والعنصري . بالنسبة لتوزيع العمال

على الأنشطة المختلفة وبالنسبة لسياسة
التوظيف والتدريب والترقية . ونادرا إلى
القول أن هذا التصرف يختلف نوعيا عن
ممارسة نفس الشركات للتفرقة العنصرية ضد
الرنوج في أمريكا وأن شاهده في الشكل . ففي
أمريكا تخدم التفرقة غرض استخراج فائض
القيمة في نمط انتاجي رأسمالي بحت . أما
هنا فإن التفرقة تتم لتدعيم نظام قبل
رأسمالي .

وإذا كنا قد قلنا أن الملكية في قطاع النفط
بالنسبة للشركات هي ملكية رأسمالية فإن نفس
الشيء ليس صحيحا بالنسبة للشريك المحلي
لقد أعطى ابن سعود امتيازاً للشركات للتنقيب
عن النفط في أراضي علاقاته الملكية (بكر
الميم) بها علاقات تسلط قبلية . فهو لم ولا
ملكها كـرأسمالي بل كسلطان .

ومن ناحية الإدارة فإن الشريك المحلي
بالتوازي مع الشركات الأمريكية قد سلم إدارة
مراقب النفط إلى امرئ ذي ولا للشركات أو
إلى محليين مأمركين ذوي خصائص تنسب من
صلب النظام ويعود وبدعمه بخصايه وقيمه
ومفاهيمه . كما حدد الشريك المحلي اصطفاة
للسعد حين حال دون وصولهم إلى أي من
المناصب العليا في الشركة رغم أنهم دخلوا
صاعد النفط بنفس العدد أن ليس أكثر وينفس
الوقت الذي دخلها السد أن لم يكن أكثر .
وبالرغم من أنهم أغلبية سكان منطقة النفط .

وإذا استثنينا الشركات والتي ساطر
قبيلة آل سعود السيطرة على النفط واللائي
قد تتصارع وأياهم في مناصب حرجي . إذا
استثنينا الشركات فإن قبيلة آل سعود ذات
سيطرة مطلقة على النفط .

وليس المجلس الأعلى للنفط إلا الشكل
الحديث للشيخ عبد الله بن سلمان .
فالسيطرة (الوطنية) على النفط ليست من
قبل الدولة - الدولة بل من قبل الدولة -
القبلية .

وعلى هذا المتوال وإذا استثنينا الشريك
الاحتكاري فإن فائض القيمة من صناعة النفط
تستحوذ عليه القبيلة ليس كجماعة من
الرأسماليين . وليس أدل على ذلك أكثر من
مئات الآلاف من البراميل التي تخصص يوميا
لبعض الأمراء لبيعها لحسابهم الخاص

بسر السوق الدولي بعد أن يدفعوا لبترومين
السعر المقرر في رأس تنورة حينما كان السعر
الأول يفرق السعر الثاني بثلاثة عشر دولارا
للبرميل . ثم أن العائلة السعودية تنصرف
على أساس أن دخل الدولة ما هو إلا صندوق
خاص بها . ويقوم مجلس وزرائها باعتماد
مشاريع في الميزانية وإقرار عقود هدفها
الرئيسي تحقيق الأثر اللامشروع لكبار
الأمراء والسيوخ .

يعتمد اعتمادا كبيرا على النفط كمصدر هام .
وبما ان النفط مصدر مادة واحدة فان الاعتماد
الكلي عليه كمصدر هام للتصنيع يعد مخاطرة
كبيرة . وقد يستبدل الاقتصاد الوطني . لسداد

يسمح اذن ان نطاق السرور رأسماليا في
ادوات ووسائله وسطيم العمل الفني الداخلي
منه ولكنه قبل رأسماليا عسائريا قبلها في
ملكه المحليه واداريه والسيطره عليه

دخول البلاد في عهد النفط والاعتماد على النفط

صنع السرور كميات كبيرة ولكن لا يكاد
السرور عليها على حساب الصناعات الاساسية
الاجرى . وحتى لا يكاد ان يقدم الحكومة
السعودية اموالها العامة لعدم ساعد للسرور
المعدده الحسابات . فعندما يؤسر الحكومة
واحدة من شركات سايك فان سايك (السرور
السعودية للصناعات الاساسية) ساهم بـ ١٠٪
من رأس المال والشركة الاخرى ساهم بـ
١٥٪ من رأس المال و ١٠٪ بقرضها الشركة
الجديدة من البنوك . و ٦٠٪ من رأس المال
تقدمها الحكومة السعودية فرضا للسرور
الجديدة من صندوق الاستثمار العام وبفائدة
رمزية . عمليا تقوم الحكومة السعودية بافراغ
الاجنبي ٦٠٪ (٣٠٪ من ٥٠٪) من رأس المال
الذي يقرض انه يستثمره في بلدا حيث ام
ملكه شركات سايك منافسة بين سايك
والشركات الاجنبية .

ورغم ان الحكومة السعودية تدفع للاجنبي
الاموال التي يشارك بها في رأس مال مصانع
الجبيل وينبع فان الحكومة تتعهد للاجنبي
مقابل مشاركته (كذا) بتسليم كميات معينة
من النفط لاجال طويله (١٥ الى ٢٠ سنة)
وبأسعار تفضيلية . وبالإضافة الى ذلك تقوم
الحكومة بأعفاء الشركات الاجنبية من ضريبة
الدخل لسنوات طويلة .

انه مما لا شك فيه ان هذه المشاريع
لمصلحة الشركات المتعددة الجنسيات اكثر
منها لمصلحة البلاد . فبالإضافة الى ما ذكرنا
سلفا فان نقل المصانع الى البلدان المتخلفة

والاستحواد على فائض القيمة منه .
٤- ان مما لا شك فيه ان نطاق السرور هو
الاقتصاد الوطني كله ان لم يكن كله و يدور
فانصافا اذ تصاد كفاف . والحدث عن باقى
القطاعات هو حدث عن الطريقة التي يتم
بها اتفاق عوائد النفط .

اذا كان نطاق السرور يهدد الاهميه واذا
كان قبلها في ملكه وقبلها في ادارته وقبلها
في السيطرة عليه وقبلها في الاستحواذ على
فائض القيمة منه . فلا مدح من الاستحواذ
بانه قبلها في اتفاق العوائد منه .

٥- يبدو ان الفلسفة التي ترسدت للصناعات
الاقتصادية للحكومة السعودية هي فلسفة اعاد
الدوير عالميا واقتصاديا ومحليا .

عالميا : لضمان بقاء مظهر الحماية
الامريكية لحكمها الاستبدادى من ناحية ولانها
لا تستطيع بناتها ان تدخل في منافسة رئيسى
مع الامبريالية الامريكية بانطلاقها نحو
التصنيع من ناحية اخرى .

اقتصاديا : لتدعيم بقاء الانظمة الموالية
للقبيلة السعودية ولدحر حركات التحرر عند
الشعوب الشقيقة وذلك من أجل ان تنعم
القبيلة بالاستقرار القائم على البطش
محليا . لترسيخ النظام القائم بشخصه
وقيمه ومفاهيمه ولا بأس من استقطاب بعض
الافراد والشرائح اليه .

١٨٢
ففي الميدان الصناعي تقوم الحكومة
السعودية بإنشاء مصانع في الجبيل وينبع

اما القطاع التجارى فهو يعتمد اساسا على الاستيراد من الدول الرأسمالية لتعويض تكملته بتدوير عوائد النفط. وفي الاونة الاخيرة ظهر حليما يفسح الحياة الاجتماعية في بلدنا مع ظهور نمط من الاستهلاك الاستهلاكي للكليات . ويعتمد الحكومة السعودية في الميدان التجارى كما في غيره مبدأ الحريه الاقتصادية وهي بهذا تعنى صراحتا حريه التنهت المصارف والقضاء على قدره البلاد على النمو اذا سى .

٦- ما تبقى من عائدات النفط بعد كل هذا توزعه الحكومة بشكل لا مسؤول على قطاعى التسليح والاستثمار الخارجى . فتحت حجب بنات حيسى وطنى تقوم الحكومة بدفع الاف الملايين من الدولارات للشركات الامريكيد والاوروبيد لشراء المعدات وبنات حيسى وطنى قوى . فبلدنا هو البلد الوحيد في تاريخ العالم الذى يدفع ثمن السلاح الذى يستعمل ويضطيد ويقتل به .

ممنوع على الشيعة تبوء مناصب عليا

وتقوم الحكومة السعودية بنسبا مع اتفاقية عقدتها مع امريكا سنة ١٩٧٤ بايداع ما يتراوح بين ٢٠ و ١٥٠ الف دولار في الولايات المتحدة الامريكيد بترائثها بسندات تلك الحكومة طويلا الامد (٢٥) سنة وبسعر فائده منخفض (٥٠ ٪) ولقد دلت التجربه ان الولايات المتحدة مستعدة لتحديد الايداعات التي لديها كما فعلت لعدة دول آخرها ايران . ناهيك عن ان هذه الايداعات تصرف اقتصادي غير رشيد حيث تتآكل قوتها الشرائية مع الزمن بسبب التضخم ، بل ان سعر الفائدة (٢ ٪) لا يعادل حتى ١/٢ معدل التآكل .

للغرب من المواد الخام وللتهرب من قوانين الضرائب ومكافحة السرقة في امريكا ولرخص الايدي العاملة في الشرق هو من استراتيجيد الشركات المتعددة الجنسيات .
بم ان هذه المصانع سوف تكون تحت سطره الاحصى اداريا وقنيا وعمالة ولا يبدو ان للحكومة السعوديد الرغيد او صلايد العمود القوي للوقوف ضد الشركات المتعددة الجنسيات .

ولقد انشأت الحكومة السعوديد بنك مسماها الصناعى يحدد بمقد الصاعد في البلاد . ولكنه وكما هو متوقع اصبح مصدرا للاراء الماسرورع من قبل الشركات العالمية ومن قبل بعض اصحاب البنوك من حاسيد قبيلة آل سعود . فالشريك الاحصى مبالغ في مدى ما يخدم مع الشريك المحلي والانتان ببالعان تركا لبقتهما واحتياجتهما ويحصل الجمع على فروس هائله وفوائد رمزية مع اعفاء من الضرائب لمدد طويلة من الزمن .

وفي الميدان الزراعي لا توجد للحكومة ساند رائدة لتطوير هذا القطاع او حتى لتحقيق الامن الغذائى للبلاد . فهي تقوم بعبثه الاموال العامه لكبار ملاك الاراضى من اشباه الاقطاعيين والتجار كمعونات (ممن لا يملك الى من لا يستحق) تحت حجة تنمية الزراعة .

وعندما قامت بما اعتبرته خطوة جبارة للتهنؤس بالزراعة في البلاد بانشاء الشركة الوطنيد للتنميد الزراعيه ملكة ٢٠ ٪ من الاسهم لحققت من كيار التجار واشباه الاقطاعيين ، حين ان الكل يعلم ان ٢٠ ٪ تعتبر ملكية كاملة من حيث السيطرة والقدرة على الاستحواذ . هذا في حين ان بعض الخبراء يشك في قدرة هذه الشركة على التهنؤس اللهم الا باثراء سريع لمؤسسيها .

١- اذا كنا قد توصلنا الى ان ابناء بلادنا لا يسكنون باى حال من الاحوال مجتمعا لاسباب تاريخية تعمقها يوما على صعيد الفعل السلطه السعوديه الحاكمه . وادنا كنا قد توصلنا الى ان اقتصادنا هو اقتصاد فيبلد وليس اقتصاد دوله . اذا كنا قد توصلنا الى ذلك فلا بد ان ينعكس هذا الامر على الهيكل والوظيفه السياسيه في بلادنا . ذلك ان طبيعه الاقتصاد والمجتمع يحددان طبيعه السياسه فيه .

نقول بادىء ذي بدء انه اذا كانت السياسه هي ممارسه تطبيق العداله وهي ممارسه السلطه شرعيا وهي التوزيع الشرعي للقيم الماديه والمعنويه ، وهي كل ذلك ، فان العائله السعوديه لا تمارس السياسه من هذا المنطلق وليسوا هم انفسهم ساسيين حسب هذا المفهوم بل هم عصابه تحترف الارهاب والتسلط .

٢- طبيعه السلطه السعوديه هي انها ائتلاف قبلي عشائري طائفي من اقليم واحد تتربع على قمته وتقوده العائله السعوديه متحالفة تدريجيا مع الشرائح العليا من الطبقة الكمراذويه التي تحمل نفس سمات التحالف الاصلي . وتقوم هذه السلطه بدورها على الصعيد المحلي باستغلال او اضطهاد الفئات التي لا يشملها الائتلاف . وتمارس دورها على الصعيد الاقليمي بتدعيم سلطات مماثله لها وعلى الصعيد الدولي تلعب السلطه السعوديه دورها كتابع للامبرياليه الامريكيه وتحت حمايتها واقصى مدى يمكن ان يعمل اليه ائتلاف الاسره السعوديه هو ان يصبح رأسماليه محيطيه تابعه في ظل الرأسمال العالمي .

٣- ما دامت الاسره السعوديه تستمر على الجحش والبيروقراطيه ورجال الدين فلا يمكن القول باى حال من الاحوال بان هذه المؤسسات تعكس الاراده السعديه . وليس هناك في هيكل السلطه السعوديه اى مؤسسه سعديه تعبر عن آمال الشعب وطلابه الوطنيه .

المؤسسات العسكريه لا تلعب اى دور سياسي بارز او واضح منذ ان فلتت محارباين الانقلابيه المتعدده والتي كان آخرها سنة ١٩٦٦ اما الدور الحالي لها فهو ما يقوم به احدث (الحرس الوطني) من القمع المباشر . ثم ان المؤسسات العسكريه في البلاد لا تشكل حلال نصال ضد الوجود الاحشي كالحال في معظم بلدان العالم الثالث . صعدتها سلطه عشاريه كأممدا لسياسه الحاكم بعد ان استقر لها الوضع اثر حروب اقليم القبائل والقرى .

عشيرة آل سعود

عصابه تحترف الارهاب والتسلط

اما رجال الدين ، ومعني بالذات اصحاب المناصب منهم ، فلقد فعدوا عن الجهاد منذ زمن طويل وتتركوا لواحب الامر بالعزوف والتهني عن المنكر . فهذا الواجب الديني اصبح على يد اصحاب المناصب الدينيه لصغائر الامور دون النظر في اصلاح حاله العامه . فهم دوما لصق البيت الحاكم لتروم ظلمه وفساده . ووصل بهم الامر الى منع الناس من القاء المواعظ والخطب في المساجد انهم هم انفسهم لا يلقوا من هذه الخطب

القبائل ليسوا بالضرورة الاغلبية العظمى من القبائل. وانما القبائل كلهم ليسوا بالضرورة الغالبية العظمى من الشعب، وعليه لا يمكن القول بأن سلطة الحاكم السعودي شرعية على اساس انها متفقة مع القيم السياسية العالمية للشعب ..

وحتى لو شكل ابناء القبائل او القبائل كلها الغالبية العظمى من الشعب فإن النظام لا يعد شرعيا ما دام يستثنى الاقلية استثناء تاما فحكم الاغلبية يكسب الشرعية طالما التزم بقواعد سياسية واخلاقية تحفظ الاقلية ..

الملاحظة الثانية .. هي ان المجلس التقليدي لشيوخ القبيلة كان مجلسا للانداد لا دونية فيه لاحد تجاه احد آخر. اما المجلس السعودي فهو ابعد ما يكون عن النديه والمساواة. بل هو مجلس لحاكم مستبد يوزع الاعطيات (لا الحقوق) على من يتوسله حينه لا على من يطلبه حقاً ..

الملاحظة الثالثة .. هي ان العائلة السعودية وسعت من اطار ائتلافها الحاكم ليشمل كبار التجار بل ان الامراء انفسهم اصبحوا تجارا. وعليه فإن المجلس مفتوح لشيوخ بعض القبائل وكبار التجار ولكنه مغلق امام عامة الشعب ..

الملاحظة الرابعة .. انه حتى لو افترضنا حسن النية لدى العائلة السعودية فإن المجلس يستطيع ان يعالج مشاكل تقليدية مثل تجديد ملكية اهل متنازع عليها ولكنه لا يستطيع مناقشة قضايا مثل النفط وخط التنمية او السياسة التعليمية. وعليه فإن المجلس يعالج المسائل الشخصية لا القضايا العامة.

٥ - ان الاسرة السعودية تفتقر الى الاسس الشرعية الصحيحة التي عادة ما تستند عليها الحكومة الصالحة في تدعيم حكمها لان الحكومة الشرعية هي تلك التي تستمد وجودها من

جزى ما توافق عليه الحكومة. اما الاغتناء فقد اصبح على ايديهم استصدار ما يبرر قرارات السلطات وكانهم وكالة للعلاقات العامة. اما البيروقراطية السعودية فما هي الا امتداد لسلطة البيت الحاكم ولا تتميز بأى استقلالية بحكمها نظام عام وحيادي. فعلاقة أى من الوزراء الحاليين بالملك فهد هي نفس العلاقة التي كانت تربط عبد الله بن سليمان بالملك عبد العزيز فهي علاقة التابع بالسيد. فاذا كان الامر هكذا بالنسبة للوزراء الذين يفرض ان يكونوا سياسيين اكثر منهم بيروقراطيين فان حال احزمة الدولة البيروقراطية وشخصياتها اكثر دونية وتبعيه ..

ثم ان سياسة التوظيف والترقية في البيروقراطية تأخذ في الاعتبار اول ما تأخذ بغير الشخص ذو ولاء سياسي مطلق وذو خصائص عائلية واقلية وعرقية معينة. اما الكفاءة فانها آخر بند على سلم اولويات لنظام حاكم ..

اما علاقة البيروقراطية بالشعب فهي تحسد لاستبداد الحاكم من ناحية واستغلال الشعب من ناحية أخرى ولا يستطيع المواطن العادي ان ينجز عمل له في البيروقراطية ان لم تكن لديه واسطة قوية او قدرة على دفع الرشوة المطلوبة ..

لذا فان البيروقراطية السعودية وبسبب طبيعتها ونفسها وفسادها لا تملك القدرة الاخلاقية او الهيكلية على لعب دور سياسي احاسبي ..

٤ - شكل العائلة السعودية قلب النظام الحاكم ويستمد الملك السعودي شرعيته من حيث كونه شيخا لشيوخ القبائل (أو بالاحرى من القبائل) اما الامير فهو يلعب دور ممثل الشيوخ. ويمارس ايا منهما سلطته من خلال المجلس. ولنا على ذلك عدة ملاحظات :-
الملاحظة الاولى .. هي ان ابناء بعض

تأييد الشعب ودعمه لها اما الحكومة التي
تعرض وجودها واستمراريتها بالقوة المجردة
فهي ليست شرعية ..

ان التاريخ يوضح ان حكومة الاسرة
السعودية قد فرضت وجودها بالقوة على
مختلف مناطق البلاد . صحيح ان حروب الاسرة
الحاكمة يمكن ان تفسر على انها حروبا قبلية
مالوفة في تاريخ الجزيرة ولكن هذا لا ينفي ان
الحكومة السعودية التي جاءت الى السلطة في
بداية القرن العشرين على اثر هذه الحروب
كانت تفتقر الى الشرعية التاريخية في جميع
مناطق المملكة باستثناء قريتي الدرعية
والعيينة . ان مشكلة الشرعية التاريخية
لحكومة الاسرة السعودية تتجلى بشكل كاف في
الشمال والجنوب ومدن الحجاز والقصيم
ومنطقة الاحساء والقطيف ..

يمكن الاستنتاج اذن ان حكومة الاسرة
السعودية بدأت حكمها مفتقرة الى الشرعية
التاريخية في الحكم وعوضا عن اتباع سياسة
الانفتاح في هذه المناطق لتعويض فقدانها
للشرعية التاريخية والسماح لسكان هذه
المناطق بالمشاركة، عوضا عن ذلك لجأت
الاسرة السعودية الى استعمال نوع فريد من
الاستبداد بالحكم الذي ليس له مثيل في
التاريخ المعاصر . وتجلى هذا الاستبداد
بسيطرة الاسرة الحاكمة على كل مظاهر الحياة
الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لدرجة انها
سمت الدولة باسمها ولقيت نفسها بالاسرة
المالكة (بدلا من الاسرة الحاكمة) لانها تعتبر
انها تملك الارض ومن عليها ..

اذا كانت الشرعية ممارسة السلطة في
البلاد ليست افضل حالا . ان القوة والقوة
وحدها هي اساس ممارسة سلطة الاسرة
السعودية ..

اما المجلس اليومي المستمد من فكرة
المجلس القبلي فهو كما بينا لا يعكس ارادة

الجماهير لانه اصبح يستخدم لتجسد السلطة
وليس لمساءلتها كما كان الحال في المجلس
القبلي ..

خلاصة -

هذا هو واقعنا . اجتماعيا نحن في
المجهول ولا تعمل الحكومة السعودية الا على
زيادة الفقرة والتشتت بيننا . واقتصاديا بلادنا
يعتمد على البترول الذي تسرق غنائمها
العائلة السعودية ومن حولها من النسيب
والادنان والحاشية والشركات الاجنبية .
وسياسيا تمارس الحكومة السعودية الارباب
المباشر بأسم السياسة ..
فهل هذه دعوة لليأس ؟ كلا . انها للغير
الصحيح حتى يتسنى للمخلصين تغيير الواقع
الى الافضل وصناعة الوطن والمواطن من جديد
والمستقبل لنا .

بسم الله الرحمن الرحيم .. (طس ..)
تلك آيات الكتاب المبين . نلوعليك من
موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون
علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستغفون
طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم
انه كان من المفسدين . ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض وتجعلهم ائمة ونجعلهم
الوارثين . ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون .
(سورة النمل)

واذا كان فرعون قد علا في الارض
واستضعف طائفة من الناس فوصفه الله بال
كان من المفسدين ، فان آل سعود علوا في
الارض وجعلوا اهلنا شيعا واستضعفوا جميع
طوائف الشعب الا حاشيتهم وعليه فانهم
المفسدين في الارض .

مواطنون في الجزيرة العربية
الرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

الوطن في ازمة : مطالب أولية

وحقوقه لا بد من محو الامية من البلاد وذلك بفرض التعليم الاجبارى في كل المرحلة الابتدائية وتوسع المدارس المسائية والوسائل التعليمية الاخرى لتشمل كل مدينة وقرية وهجره .

(٩) تغيير المناهج المدرسية لتنطق والمتسوى الحضارى الذى تصوله البلاد .

(١٠) تضيق الفجوة بين القرية والمدينة وذلك بتحسين احوال القرى عن طريق توفير الخدمات الاساسية مثل الطب والمواصلات والكهرباء واقامة المراكز الاجتماعية التى هدفها رفع مستوى القرية الاجتماعى والثقافى .

(١١) تحسين الوضع المتدهور للامن في البلاد وذلك بوضع خطة أمنية لا تعتمد على العنف فقط كما هو الحال الان وكذلك تخطيط الهجرة الاحننية والحد منها .

(١٢) تحسين مستوى الخدمات الاساسية مثل الطب والمواصلات والكهرباء والماء والمجارى وتوزيعها بصورة عادية بين ابناء الشعب .

(١٣) ايجاد نظام متكامل للضمان الاجتماعى يركز على مبادئ الحقوق الطبيعية للمواطنين من ناحية ومبادئ العدالة والكرامة الانسانية من ناحية اخرى .

(١٤) اعداد البرامج التعليمية والتدريبية والتأهيلية الخاصة بالمعوقين بما يتسق ومبادئ الحقوق الطبيعية للمواطن ومبادئ العدل والكرامة الانسانية

(١٥) اعداد خطة متكاملة وعادلة لتحضير البدو بدل استيعابهم في المؤسسات القمعية كالحرس الوطنى او تركهم للاغتراب في المدن وذلك عن طريق التدريب والتأهيل مع العمل على تطوير المناطق الزراعية .

ثانيا : على الصعيد الاقتصادى :-

(١) تأمين النفط تأميما كاملا وبدون تعويض

ان الازمة الخائفة التى يمر بها الوطن تستلزم نظائر جهود كل المخلصين لخلق الوطن المستقل والمواطن الحر فى مجتمع الوحدة الوطنية والعدل الذى لا يمكن تحقيقه بدون تلبية المطالب العادلة التالية :

أولا . على الصعيد الاجتماعى :

(١) وقف الامتيازات الخاصة الممنوحة لاعتبارات طائفية او عائلية او قبلية او اقليمية او ادارية

(٢) القضاء على التفرقات الطائفية والقبلية والاقليمية فى البلاد وذلك عن طريق حملة اعلامية وثقافية ضدها مع فضح الجانب المادى والامتيازات التى عليها آسست .

(٣) ايجاد نكافؤ الفرص للمواطنين سواء فى القطاع العام أو الخاص دون تمييز طائفى او عنصرى او قبلى او اقليمى .

(٤) القضاء على الفساد فى تعايطى الرشوة والواسطة واستغلال المنصب الحكومى لتحقيق مصالح خاصة .

(٥) اعطاء عناية اكثر للعمال والفلاحين . ذلك بتحسين الخدمات التى تقدم لهم وتعريف المجتمع بأهميتهم ودورهم القيادى فى مسيرة الوطن نحو التقدم والرخاء .

(٦) تصحيح وضع المرأة وذلك باعطاءها كامل حقوقها واتاحة فرصة لها للمشاركة فى صنع المجتمع وتطويره وتعريف مصيره .

(٧) وقف استغلال الدين كوسيلة لتحقيق المصالح الشخصية أو النفوذ السياسى أو ايقاع القهر الاجتماعى وتكريس الدين لما اراده الله له لا لما اراده السلطان .

(٨) لرفع مستوى وعي المواطن عن واقعة

الا بالقيمة الدفترية للمنشآت ، وتمليكه للدولة
- الدولة وليس للدولة القبيلة .

ثالثا : على الصعيد السياسي :

- (١) اطلاق كافة الحريات الديمقراطية ومنها حرية التعبير والنشر والتجمع والتنظيم النقابي والحزبي وحرية الاحزاب وحرية خطبة المساجد والحريات الاكاديمية وحرية أجهزة الاعلام حتى لو كانت مطوكة من قبل الدولة.
- (٢) وضع دستور دائم للبلاد يكفل الحريات والحقوق العامة والخاصة وينظم كيفية اختيار الحاكم وعمله وصلاحياته وينظم علاقة الحاكم بالمحكوم على أن يستقي هذا الدستور من روح الشريعة الاسلامية السمحاء .
- (٣) انشاء مجلس تشريعي على طريق الانتخاب الحر مع الحصانة الدستورية لأعضائه .
- (٤) اعتماد مبدأ فصل السلطات واستقلالها في مجالات تخصصاتها .
- (٥) انشاء مؤسسات الحكم المحلي مع محالستها المنتخبة وحكامها المنتخبين وضمان الحصانة الدستورية لهم .
- (٦) كف يد السلطة عن الاعتقالات التمسك أو حرمان المواطن من حقوقه الا بأمر قضائي علني حسب مقتضيات الدستور .
- (٧) اعداد وتنفيذ برامج إعادة توزيع الثروة والدخل بشكل عادل على أن تأخذ بمن الاعتبار الحيف التاريخي الواقع على فئات الشعب المحرومة والتي تعاني من التمييز .
- (٨) استرجاع الاموال العامة المنهوبة والتي استحوذ عليها افراد او جماعات بطرق غير مشروعة من خلال تطبيق مبدأ : من أين لك هذا ؟ .
- (٩) ضمان استقلال المؤسسات الأكاديمية .
- (١٠) حل الحرس الوطني وضم أفرادها الى الجيش .

مواطنون من الجزيرة العربية
الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢

- (٢) ترشيد استغلال النفط من حيث كمية الانتاج او التسعير . فالكمية المنتجة يجب ان تماثل احتياجات لانفاق الرشيد للدولة وتتناسب ومبدأ العدل بين الاجيال ، والسعر يجب ان يرتبط بالقيمة الحقيقية للخدمات والسلع الاستهلاكية والانتاجية المستوردة .
- (٣) اعتماد مبدأ الاكتفاء النسبي للوطن والاكتفاء التام للمواطن .
- (٤) وضع قانون ضريبي تصاعدي على الدخول
- (٥) اعتماد المعونة على المواد الغذائية كمعونه على الدخل تتناسب عكسيا معه وليس على السلع نفسها . .
- (٦) اعتماد خطط عادلة لتوزيع الثروة والدخل في البلاد وتضييق الفجوة بين أعلى وأقل دخل .
- (٧) وضع خطة للدخول تربط بينها وبين الاسعار
- (٨) اعتماد مبدأ تملك حصة عادلة من المصانع للعمال الذين يعملون بها .
- (٩) وضع خطة متكاملة للعماله تشمل التدريب ورفع الانتاجية وتشغيل المرأة وأفراد الجيش .
- (١٠) اجراء مسح كامل بامكانيات الصناعة والزراعة في البلاد ووضع خطط متكاملة لتنفيذها باستقلالية عن او تجاه الشركات المتعددة الجنسيات .
- (١١) انتشار الجمعيات الزراعية لتطوير عمل المزارعين وتحسين الانتاجية والتسويق
- (١٢) التراجع عن اعلان الحكومة رغبتها بتمليك المؤسسات الصناعية العامة والمرافق العامة للقطاع الخاص في المستقبل . .
- (١٣) الحد من الاستيراد وتخطيطه ليتلائم ومصلحة الوطن . .

مقدمة في علم الجمال الماركسي

فخري عبد نصره
جامعة بيرزيت



في ظل الحضم الكبير من الدراسات حول علم الجمال فإنه يصعب وضع تعريف شامل وعام لهذا العلم . ولكن يمكننا ان نفرق بين تعريفين لعلم الجمال : أولهما هو التعريف البرجوازي المعاصر وثانيهما هو التعريف الماركسي - اللينيني الثوري .

من وجهة نظر البرجوازية فإنه اذا كان النقد تفسيراً للعمل الفني أو على حد قول بعض النقاد هو تحسين العلاقة بين العمل الفني وجمهور المتذوقين فإن علم الجمال هو تفسير لهذا التفسير أو هو في قول البعض نقد للنقد (١) .

ومن وجهة نظر ماركسية فإن تصورات الناس الجمالية الأولية (في فجرو وجود المجتمع الانساني حيث الانتاج المادي ضعيف) مرتبطة ارتباطاً مباشراً بأفكار المنفعة المادية العملية وفي مجرى التطور التاريخي اللاحق وتحت تأثير عوامل كثيرة جداً، وأولها العوامل الاجتماعية صارت هذه العلاقة أكثر غموضاً وتعقيداً . تكاد تصبح غير ملموسة لكن هذا لا يعني انها تضلح من حيث المبدأ . ففي أساس كل علاقات الانسان بالعالم (ومنها

العلاقات الجمالية) تقوم حاجات مادية انسانية ظهرت تاريخياً وتتبدل وتتطور تاريخياً . والجمالي مرتبط من حيث المنشأ ارتباطاً وثيقاً بتطور حاجات الانسان المادية وتوسعها وتعمقها . . .

نشأ التفكير في علم الجمال قديماً منذ العصر اليوناني ويمكن القول أن بدايتها الواضحة كانت مع سقراط ثم مضت تزداد وضوحاً عند افلاطون وأرسطو وهكذا تابعت رحلتها في تاريخ الفلسفة كما في تاريخ الفن حتى عصر الماركسية - اللينينية .

الافكار - عالم الجواهر الثابتة الخالد المطلق. أما الجمال في العالم المادي فهو حقيقي وغير حقيقي في آن واحد فهو حقيقي لانه تجلي لفكرة الجمال العليا الجوهرية في عالم "المثل" وهو غير حقيقي لانه غابر ليس سوى انعكاس شبحي للجمال - الفكرة .

واستمر البحث في علم الجمال بنظر حتى القرن الثامن عشر حيث بدأت نظرية البحث في فلسفة للفنون الجميلة أو علم جمال بمعنى البحث في التعبير ومقاييس الجمال وتجربتي خلقه وتدوقه ..

فقط البداية لعلم الجمال الحديث ترجع الى القرن الثامن عشر عندما اظهر اسكندر باومغارتن اسم الاستطيقا أو علم الجمال على تلك الابحاث التي تدور حول منطق الخيال الفني وهو منطق محلي للاختلاف عن منطق التفكير العقلي - حسب النظرة الكانتية القديمة - وقد أثبت الفيلسوف الالماني كانت هذه الحقيقة في فلسفة الجمالية التي ضمنها مؤلفه "نقد الحكم" فقد انتهى بدوره الى بيان ان التجربة الجمالية لا ترجع الى النشاط النظري أو الى المعرفة المعتمدة على الذهن ولا الى النشاط العملي أو السلوك الاخلاقي المعتمد على الارادة بل الى مجال الشعور باللذة والالم.

قسم "كانت" تحليل الجميل الى أربع أقسام يدرس فيها الفيلسوف بالتالي الاوقات الاربع في حكم الذوق :-

١٢٠
١ - الذوق هو ملكة الحكم على الشيء أو على طريقة تصويره باللذة أو عدمها بشكل منزه عن الغرض تماما. ان الحكم الجمالي بعيد عن أي غرض ويحتوي هذا التأكيد على عنصر عقلائي بمعنى انه يميز العلاقة التي يحدثها الجميل من الاهتمام الذي يشهده هو لطيف أو ما هو خير .

بلاحظ الدارسون لعلم الجمال ان علاقة الفن بالمعرفة كانت موضع جدل على طول السنين وقد تباينت الاتجاهات في هذا الصدد ولكن يمكن القول انها كانت تراوح بين قطع الفن عن جذره المعرفي "Dyadical" وبين استيعاب الوحدة الموضوعية بينهما "Monadic" ان سقراط، رغم تفكيره المثالي، أول من رأى هذه الوحدة الموضوعية خلال دياكتيكه الخاص بقضية المعرفة حيث قال ان جوهر المعرفة هو المفهوم أي الحريد المنطقي للصفات المشتركة بين الاشياء وكان اسلوب التعريف (الشجاع، العادل، الجميل) من وسائل هذه المعرفة. يمكن تلخيص مبدأ سقراط في علم الجمال بما يلي "كل ما هو معقول هو جميل. كل ما له معنى هو جميل". اذن فان الفن عنده يجب ان يكون هادفا وعقلانيا لان الحياة ذات هدف معقول . وتظهر علاقة الفن بالمعرفة عند أرسطو في تحديد مذهبه الفني حيث انه ينطلق من فكرة محاكاة الطبيعة ولكنه بعيد عن فكرة المحاكاة الالية لانه يرى أن من خصائص الفن تحويل كل شيء في الطبيعة والحياة الى شيء جميل ولكي تصبح البشاعة الواقعية جمالا فنيا لا بد للفنان ان يستند خلال عملية الخلق الى الوضع المحتمل في الشيء أي الى ما يمكن ان يكون لا الى ما هو كائن بالفعل فحسب. ان هذه الخصائص المكونة لمذهب ارسطو الفني تستلزم المعرفة ضرورة فانه لا يمكن للفنان ان يحدد الاحتمالات وان يكتشف الصفات الجوهرية للموضوع وان يعمم دون ان يكون مالكا الادوات المعرفية التي ترفعه الى مستوى القدرة على التحديد والاكتشاف .

الجمال عند أفلاطون موجود موضوعيا باستقلال عن وعينا فالجمال الحقيقي ليس موجودا في عالم الحس المادي بل في عالم

لموسستها في مظهر ذاتي ثم في مظهر موضوعي وأخيرا في مظهر الروح وتكون هذه الاشكال الثلاث للروح المشخص ليس فقط ماهية الوعي الانساني وانما أيضا ماهية أنواع النشاط الانساني المختلفة ومختلف الروابط والعلاقات الانسانية .
والمرحلة الاسمي في تطور الفكرة هي الروح المطلقة التي لا غاية لها سوى ان تجعل من ذاتها موضوعا لذاته وان يعبر عن ماهيتها لذاته . انها روح حرة لانها حرة حقا او انه روح مطلق وتنقل هذه الروح في نظورها من التأمل الخارجي والحسي الى التصور ومنه الى التفكير في مفاهيم . والفن يرى هيغل هو الروح التي تتأمل ذاتها في حركة كاملة : والدين هو الروح التي تتصور ذاتها في خسوع اما الروح التي تفكر في ماهيتها في مفاهيم وتدرکها فهي الفلسفة . والفن والدين والفلسفة عند هيغل مضمون واحد في نهاية الامر . اما الفرق فيقوم فقط في شكل الكشف عن هذا المضمون وادراكه والمعرفة الجمالية او الفن هو الشكل الاول والاقل كمالا من بين الاشكال التي تكشف به الفكرة عن ذاتها .

x x x

ان ظهور الماركسية في القرن التاسع عشر كان الثورة الكبرى في العلوم الاجتماعية فمن خلال اسمها النظرية (المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية) تم بناء عصر جديد في تاريخ المعرفة الانسانية يقوم على الفهم العلمي العميق لقوانين تطور الطبيعة والمجتمع والتفكير الانساني في سبيل تخلص البشرية من الاستغلال والقهر الرأسمالي .
لقد أظهر ماركس وانجلز للمرة الاولى من وجهة نظر مادية متماسكة ان الجمالي يشكل وحدة داخلية ديالكتيكية للجانبين الحسي والعقلي وان الجمالي يستطيع ميدانيا ان يظهر عمليا في شكل انفعالي مشخص فقط . وبذات

٢ - الجميل هو ما يعجب الجميع دون مفهوم ان الجميل هو موضوع لذو عامة ويختلف عن اللطيف بالضبط لكونه يدرك على انه ذو اهمية بالنسبة للجميع لا لفرد واحد فقط .

٣ - الجمال هو شكل غائبة موضوع ما من حيث انه يدرك فيه دون تصور الغاية او بساطة الغائية دون غاية .

٤ - في حكم الذوق ، يجب التأكيد على الضرورة الذاتية في الاتفاق العام المقصود في حكم الذوق دون ان نقيم أي اعتبار لصراع الانحازات التقدمية والرجعية في الفن .

يمكن تسمية علم الجمال الكلاسيكي نقديا ليس فقط بلغة كانت وانما بلغةنا العادية لان علم الجمال هذا قد اكتسب قيمته من نقده الشامل لنظريات القرن الثامن عشر الجمالية التي فقدت قيمتها واهميتها بعد قيام الثورة البرجوازية وبروز مهام اجتماعية جديدة .

اما الفيلسوف الالماني "هيغل" فان نقطة الانطلاق عنده هي المثالية الموضوعية وقد حتم هذا تلك الروح الغيبية التي حل بها الفكر الالماني المسائل الرئيسية في علم الجمال . ان اساس كل ما هو موجود بالنسبة لهيغل هو مبدأ روحي ، لا شخصي ، ولا ذاتي يسميه الفيلسوف الفكرة المطلقة وتكون هذه الفكرة المطلقة ماهية الطبيعة والحياة الاجتماعية لكل ظواهرها . والجمالي هو أيضا الفكرة انما في مرحلة معينة من تطورها وما دامت الفكرة لم تباين ذاتها بعد قيام الطبيعة فانها تتطور في شكل ماهيات منطقية ، خالصة . ثم تباين الفكرة ذاتها فتظهر الطبيعة ثم تعود الفكرة الى ذاتها أي الى المجال الروحي ولكن مفتتحة بكل تطورها السابق . وتكتسب الفكرة المطلقة في المرحلة الثالثة هذه من تطورها التشخيص الضروري وتحصل الفكرة على شكل

الوقت فان للشعور والوعي اساسا ماديا . ان الجمالي بالنسبة لكلاسيكي الماركسيد بشكل عام هو كل معبر انفعالي مشبع مباشرة الى حد ما بالروح الاجتماعية والمتحفط بأثر الواقع الحي المتنوع الاشكال والملموسة الحسية .

لقد يرمي ماركس وانجلز برهانا قاطعا على ان الجمالي في الواقع هو التربة والاساس للجمالي في الفن . لكن هذا لا يعني ان الجمالي في الواقع مساو للجمالي في الفن من حيث الاهمية فبين هذين النوعين من الجمالي علاقات معقدة . ان الجمالي في الفن يتصف بغائيته ، بتفسيره الفكري الخاص وبشحنه الاجتماعية وبتركيزه الخاص .

كان ماركس وانجلز يعتبران ان لكل نشاط مادي عملي انساني جانباً جمالياً وان هذا الجانب لا يقتصر على الابداع الفني او الطبيعة وحسب . ويكون الفيلسوفان قد وسعا بذلك وبشكل هائل دائرة الجمالي في الحياة ، ولم يذوّبا في الوقت ذاته ماهية الفن الجمالية الخاصة او يستهيئا بها ، فالوقت الجمالي في النشاط المادي على الرغم من قيمته الكبرى ليس بالعنصر الحاسم . اما في الفن فهو الجوهر ، هو الذي يجعل الفن فناً أي شكلاً متميزاً من أشكال المعرفة الاجتماعية ، له موضوعه الخاص ووسائل تعبيره الخاصة . والجمالي هذا عباره عن وحدة دياكتيكية لانعكاس الحياة وتقييمها ..

ان دراسة مسائل الفن في علاقتها الوثيقة بتطور الحياة والتأثير المتبادل بينها هو المبدأ المنهجي الاساسي الهام الذي ينتظم ابحاث ماركس وانجلز الفلسفية - الجمالية كلها لقد كشف ماركس وانجلز من وجهة نظر مادية متماسكة عن دياكتيك العلاقة بين الموضوعية والذاتية في الجمالي . واثبها ان الموضوعية تشكل اساس الذاتية وان الناحيتين الموضوعية والذاتية ماديتان في النهاية . كما

اظهر ان الجمالي بمعناه الحقيقي سرور نظري كنتاج للتفاعل المادي العلمي بين الموضوع والذات ، بين الطبيعة والانسان .

لقد كشف ماركس وانجلز بشكل مفع وعبر عن الدياكتيك القائم بين العنصر الطبيعي والتاريخي في مسألة الجمالي واثبها ان للجمالي معطاه الطبيعة والسيولوجية وقد استطاع الظهور خلال العملية التاريخية الاجتماعية القائمة على التأثير المتبادل بين الانسان والوسط المادي ، لكن هذا الجمالي قد انتهى بمجرد ظهوره من كونه "طبيعياً" واكتسب طابعاً تاريخياً نوعياً جديداً ، النشاط المتنوع والثوري ، في أساسه ، والهادي الى تغيير العالم واصلاحه هو اساس الجمالي وبالضبط فان النشاط الثوري بمعناه الواسع هو الذي يشكل الوحدة الوثيقة حدابين العنصر العقلي والانفعالي ، الذاتي والموضوعي . وهذا يحل ايضاً وبشكل دياكتيكي التناقض الموجود بين النفعية واللاغرضية ..

تشكل نظرات لينين الجمالية ، مثلها مثل نظرات ماركس وانجلز ، نظاماً علمياً متماسكاً ان الفهم اللينيني للفن يشكل مرحلة جديدة في تاريخ علم الجمال الماركسي وقد كانت نظرية المعرفة في رأس اهتمامات لينين الفلسفية الجمالية . وقد بحث لينين مسألة المصدر المعرفي للجمالي وماهية المعرفة من مواقع المادية الدياكتيكية ، فحلل الفن كعملية جمالية وليس كنتيجة جمالية فقط . لم يوضح لينين الحقيقة المادية والدياكتيكية والتاريخية الاجتماعية للنتاج الفني المتقن والابداع الفني وحسب بل أوضح هذه الحتمية بالنسبة لعملية خلق القيم الجمالية وادراكها ومجمل عملية الاستيعاب الفني للواقع أيضاً . لقد كان لينين يتكلم عن الاحساس الجمالي الجديد بالعالم في علاقته المباشرة بالفن الاشتراكي

الى العالم بعقائده الواعية وعليها ان تدخل
بالضرورة وبشكل عضوي في النسيج المرن
للمؤلف الفني . ان عاطفة الكاتب هي التي تبين
الدفع والحياة في هذه الحزبية وعلى هذا
تصبح المعنى الداخلي ومضمون موهبة الفنان .
ان علاقة الفن بالعلم وعلاقة الفن
بالواقع الموضوعي من جهة أخرى قد أوضحها
علم الجمال الماركسي بما يلي :-

(١) في حين يكون للقاعدة المادية الدور الحاسم في تشكيل الطابع التاريخي للفن، يكون للطاقت الفردية دور مهم في عطية الخلق الفني وهذا الدور هو ما يتلار مع الاستقلال النسبي للفكر في انجاز عطية الخلق الفني هذه ..

يقول ماركس انه يمكن ان ينشأ أحياء
عدم توافق بين مستوى تطور الفن ومستوى
التطور الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع ما
ويمكن فهم ذلك بطريقة التحليل الطبقي
للظواهر التاريخية. فان المجتمعات القائمة
على اساس التناقضات الطبقية ، ليس من
الغريب بالطبع ان يجرى فيها تطور النفقة
بمختلف اشكالها على نحو تناقضي وذلك
للتناقض الحتمي بين الطبيعة الاحتكارية
لعملية الانتاج والملكية الخاصة لوسائل الانتاج
التي حرس ماركس على نفيها .

كان لينين يقدر الفن الاشتراكي الجيد
لانه قبل كل شيء يجسد (مباشرة أو غير
مباشرة) الاحساس الثورى بالعالم ويوقظ في
الوقت ذاته هذا الاحساس في الناس . فالثورية
في عرف لينين، لا يمكن فصلها عن عكس
الواقع عكسا موضوعيا دقيقا وهي تشكل الى
ذلك غاية جمالية واعية يسعى أى فنان الى
بلوغها .

(٢) ان المضمون الحقيقي لديالكتيك المعرفية هو توفير الشروط الضرورية للفن كي يتبع بطريقته الخاصة عن العالم الواقعي تنبهاً يتميز بالعمق والصدق والشمول التي تكون المكونات الاساسية لمفهوم الواقعية في الادب والفن لدى الماركسيين . .

كان لينين يرى ان الفن الاشتراكي الجديد لا يرث فقط كل ما هو جميل حقا في الفن السابق بل ويخلق ايضا جماله الجديد. وهذا الجمال لا يلتقي مع المدرسة العصرية ولا مع الفن " الطبيعي " المحدود الافق. اما اضعف ما اثر لينين فهي اعتباره الالتزام " مقولة جمالية " لقد أظهر لينين بشكل مقنع ان الالتزام الحزبي في الفن مشروط بنظرة الكاتب

x x x

اتصف ماركس وانجلز ولينين بالطريقة

الديالكتيك الاجتماعي العلمي حقا والمرتب
والدقيقة والشاملة في دراسة الجمالي .وعليها
ان يؤكد ذلك بنوع خاص لان كثيرا من
المؤلفات المعاصرة في علم الجمال يفتقر
اما الى الديالكتيك الماركسي - اللينيني
والطريقة الماركسية - اللينينية في التحليل
ان قلت التعمق في المصباح الماركسي - اللينيني
هو الذي يعوق علم الجمال المعاصر عن ان
يحل بشكل صحيح المسائل المعقدة والمهمة
في نظريات الفن ..

يدرس ويطور تراث ماركس وانجلز وليس
الفني جدا من هذه الناحية .
كان كلاسيكيو الماركسيه - اللينيني
يعترفون بما للفن عامة والاشتراكي منه خاصة
من دور في تربية الانسان وتغييره . لكنهم
اشاروا كذلك الى ما عليه عملية التربية
الجمالية من تعقيد وبعدد جوانب وحتى
تناقض . وللاسف فان ارشادات مؤسسي
الاشتراكية العلمية القيمة جدا لا تحظى دوما
بما تستحقه من اعتبار في التربية الجمالية
المعاصرة نظرية وممارسة ..

ان تراث ماركس وانجلز وليس الجمالي
الحالد، يتنوع ترى ويساعدنا الاسترشاد
به على حل المسائل الكبيرة والمهمة المطروحة
أمام علم الجمال والفن في العالم بوجه عام
وفي بلادنا بوجه خاص .

ان علم جمال ماركس - انجلز - لينين
هو علم جمال الفن الاشتراكي الجديد .
وبد كانت مسألة مميزة هذا الفن الجمالية
دوما في رأس اهتمامات كلاسيكيو الماركسية
- اللينينية الا ان علم الجمال المعاصر لم

x x x x x x

المراجع :-

- (١) أفلاطون : حوار أيون ٥٣٤ - ٥
- (٢) موحز تاريخ الطربيات الجمالية : رحمه باسم العفلا .
- (٣) كارل ماركسي : بعد الاقتصاد السياسي .
- (٤) ماركس وانجلز : الرسائل المختارة .
- (٥) ماركس وانجلز : الايدولوجية الالمانية .
- (٦) مقدمة في علم الجمال : د . أميره حلمي مطهر .
- (٧) الموقف الثوري في الادب الادعاسي : حسن مروه .

x x x x x x

الموقف العقلي من التراث

بقلم - جميل السحمون

ملاحظة :-

هذا الموضوع قدمه الرميل جميل السلحوب للمهرحات الوطني الثاني للادب الفلسطيني في الارض المحتلة الذي اقيم ما بين ١٥ - ١٨ آب الماضي " .

آذاننا من كثرة (خطابات الصمود والتجربا
ولا غرابة في هذا كله فالمصالح الطبية
للفئات الحاكمة والمتواطئة مع الاستبداد
العالمي تجد نفسها في موقف تناحري مع
حركة التحرر العربية وعلى رأسها الحركة
الوطنية الفلسطينية ولذلك فهي تقوم بما
يعجز عن القيام به المستعمرون ومما صودع
الشعوب ، ولعل ما تتناقله الانباء عن مشاركة
بعض الانظمة العربية في تخطيط بل وتنفيذ
الحرب العدوانية البربرية التي تشنها
اسرائيل منذ بداية حزيران الماضي على
الشعبين الفلسطيني واللبناني على ارض
لبنان العربي خير دليل على ذلك . وما ان
الشعوب في ظروف القهر القومي والظلم
والعهر السياسي لانظمتها العميلة لا تجد لها
مفرا الا بالعودة الى تاريخها القديم وتراثها
العريق لتجد لها متنفسا من الوضع المأساوي

أمتنا العربية في السنة الثانية من العقد
الثامن للقرن العشرين هي أشبه ما تكون بورقة
في مهب الريح وذلك لا نقصا في عددها أو
في مواردها الاقتصادية او في مقدرتها على
الابداع وصنع الحضارة الانسانية ولكن كنتيجة
حتمية لتسلط حكام رجعيين على رقاب هذه
الامة لا هم لهم الا قهر شعوبهم وبيع أوطانهم
خدمة لاسيادهم في الدول الامبريالية . وما
الموقف "الرسمي العربي الصامت تجاه ما
يحدث على أرض لبنان العربي وما يتعرض له
الشعبان الفلسطيني واللبناني والحركتان
الوطنيتان للشعبين الفلسطيني واللبناني من
حرب ابادة - باحدث ما انتجته العقليّة
العسكرية الامريكية - على أيدي الغزاة
الاسرائيليين الا دليل واضح على (الخزي
والعار) الذي تجنيه الشعوب العربية كوليّد
شرعي للانظمة العربية المتخاذلة التي صمت

الذي وصلت اليه . وحرى بنا هنا ان نلقي
نظرة على تراثنا وخصوصا الجانب الشعبي منه
في محاولة منا للوصول الى موقف عقلاني
في هذا التراث .

يقولون بان التراث هو . (ما كان ويكون
ويكون) وسعينا الفلسطيني كان وكائن وسيبقى
كائنا بعزيمة ابناءه وبمساندة حركات التحرر
العربية والعالمية ، وحضارة اجدادنا الكنعانيين
والاراميين كانت حضارة عريقة وحاكمة حتى
نيل الديانة اليهودية التي اعتنقها من
يطلقون على انفسهم ابناء اسرائيل والتي
اخذتها الحركة الصهيونية مطية لها في
اواخر القرن التاسع عشر من اجل السيطرة
على وطن الفلسطينيين والعمل على ابادتهم
ابناء . وبعد الفتح الاسلامي لفلسطين كان
للفلسطينيين دورهم الحضاري في بناء الوعي
الحضاري والانساني وبعد الغزو الصهيوني
لفلسطين وما ترتب عليه من قيام دولة
اسرائيل وتشريد الغالبية العظمى من ابناء
الشعب الفلسطيني وحرب الابادة التي تشنها
اسرائيل وما زالت تشنها على شعبنا
الفلسطيني الا انه شعب حافظ على وجوده
وسبق الى ان ينتهي الوجود الانساني على
الارض وهو يشارك حتى في اقصى واصعب
فترات وجوده في بناء الحضارة الانسانية
بطولة المدافعين عن بيروت رغم كبر حجم
المؤامرة التي تستهدفهم ستسجل بما
الذهب في تاريخ الشعوب التي تدافع عن
وجودها وحريتها . فما هو موقفنا من تراثنا
الحضاري ؟؟

يختلف المهتمون والدارسون والباحثون
في نظرتهم للتراث وبحيث يتدرجون تحت
اسماء ثلاثة .
١) فريق محافظ ومتزمت في محافظته

ورحوبيته وهذا القسم ايضا ينقسم في نظره
الى التراث الى عدة اقسام فمنهم من يرى ان
لا تراث لشعبنا سوى التراث الديني وان لا
خروج لنا من ازماننا ومحننا الا بالعودة الى
الدين ولا شيء غير الدين وهو لا يمتصون
غالب اوقاتهم في الحوامع والخلوات الدينية
ويكثر من الشعائر الدينية ولا يرون ما يدور
حولهم وهم يعتقدون مخطئين ان الدين
جمود وليس حركة ويتمسكون بالسكليات دون
الحوهر حتى اننا نجد اعدادا منهم يرفضون
ارتداء النطال مثلا لانه لم يكن يستعمل في
زمن الرسول عليه السلام ومنهم من يرفض
اي تغيير في المجتمع من نواحي العادات
مثلا لانهم يرون الخطر كامنا في كل جديد
وهو لا نستطيع القول عنهم انهم يعيشون في
عقلية الماضي ولا يستطيعون رؤية الحاضر او
النظر الى المستقبل .

ب) موقف رافض للتراث جملة وتفصيلا .
وهذا القسم صاحب هذه النظرة التشاؤمية لا
يرى شيئا ايجابيا في تراثنا ويرى ان اوضاع
امنا المأساوية الحالية هي نتيجة
للتراكمات (الخطا) ١١ ؟ لتراثنا وان لا
خروج من هذه الاوضاع الا بترك ما هو قديم
والبدء ببناء حضارة جديدة لا علاقة لها
بالماضي واصحاب هذا الموقف لا يقلون سوءا
عن موقف الفريق الاول .

ج) قسم يتخذ موقفا انتقائيا من التراث
وهؤلاء هم المسيطرون على واجهة الثقافة
العربية الطليعية . فهم ينظرون الى التراث
نظرة شمولية من خلال المعارف العلمية
الحديثة والايديولوجيات الثورية لحركات
التحرر العربية بما يخدم قضايانا الوطنية
وهؤلاء استوعبوا العملية التاريخية
والصراعات بين الطبقات فآخذوا الحوانب

الثورية من التراث بمختلف جوانبه الدينية والاداب الرسمية والاداب الشعبية .

— تطبيق النظرة العلمية على التراث —

=====

تطبيق المعارف العلمية الحديثه على التراث يجب أن يرافقها الفهم العقلاني للعملية التاريخية وللأوضاع المعيشية لمنحى التراث في نفس الفترة التاريخية التي عاشها منتجو التراث أي يجب أن لا نتجاوز الوضع التاريخي لذلك التراث حتى نستطيع ان نصل الى بعده الحضاري في تلك الفترة لا من خلال واقعنا التاريخي الحالي . فمثلا عند النظر الى شرائع حمورابي والقيم الانسانية والتشريعية التي احتوتها يجب ان نعيد تقييمها في نفس الفترة التاريخية التي عاشها حمورابي ومملكه بابل لا أن نطبق عليها المقاييس العلمية لقوانين القرن العشرين كي نرى مدى حضارة بابل !!

سمعنا الكثيرين مثلا ينكرون وجود التراث وحجتهم في ذلك أنه توجد جوانب سلبية في ذاك التراث قد تخدم السلطات المستبدة لكن هؤلاء يغيب عن بالهم فهم الصراع الطبقي بين ابناء الشعب الواحد فعلى سبيل المثال لا الحصر المثل الشعبي الذي يقول " اليد اللي ما تستطيع تعضها بوسها " هذا المثل لا شك انتجته الفئات الحاكمة أو من يدور في فلكها من عامة الشعب لان هذا المثل يدعو الى الاستكانة والخضوع أمام السلطة المستبدة في حين أن الطبقات المسحوقة التي لا مصلحة لها بوجود السلطة المستبدة انتجت أمثالا مضادة تخدم مصالحها الطبقيّة منها " اليد اللي بتمتد عليك اقطعها " و " اللي ما بحترم قدرتك لا تحترم راسه " .

ان الكاتب الواعي الذي امتلك

النظرية الثورية العلمية يستطيع ان يستغل الاداب الشعبية بمختلف اتجاهاتها الطيف لخدمة حركات التحرر فالمثل الشعبي الاثرى مثلا وهو " اليد اللي ما يستطيع تعضها بوسها " يستطيع ان يستغله لفصح الغامض المناقضة وتبيان مدى الرذيلة التي ارتكبوها فيها في حين يستغل الامثال الاخرى لسبل سلوك الثوري الحقيقي للمناضلين في سبل حريتهم ولعل القاص الفلسطيني الشهير محمد نفاع قد استغل المأثورات الشعبية احرص استغلال في قصصه لاحقا حق الحق الفلسطيني ومحاربة الفكر الصهيوني المعادي ..

— الموقف الثوري للفلسطينيين من تراثهم —

=====

ان أخطر مرحلة تمر بها قضية الشعب الفلسطيني تتمثل في حرب الابادة العنصرية التي تشنها اسرائيل على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان مستهدفة النضال النهائي للاجئين الفلسطينيين في لبنان والتصفية الجسدية لمقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي تصفية حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ولكيهم واهلهم في ذلك لان عقلية المستعمرين لم تدرك بعد أن حركة التاريخ لا يمكن ان تسير بطريق معاكس وقد ادركت الثورة الفلسطينية المخاطر التي تهدد التراث الفلسطيني فعملت على اعادة نشر النتاج الادبي للرعييل الاول من رواد الفكر الفلسطيني كالشعراء عبد الكريم الكرمي " أبو سلمى " وابراهيم طوقان ، عبد الرحيم محمود ومطلق عبد الخالق والكتاب كالدكتور اسحق الحسيني ومحمد اسعد النشاشيبي وعارف العزوني وغيرهم كما تشكلت في الناصرة لجنة لاعادة نشر تراث ابو سلمى .

الشعبي الفلسطيني أهمية خاصة لانه مستهدف والسرقات التي يتعرض لها التراث الشعبي الفلسطيني من قبل الحركة الصهيونية أكثر من أن تحصى، وقد تعرضت لبعض منها في بحثي عن الحكاية الشعبية الذي قدمته للمهرجان الوطني الاول للادب الفلسطيني في الارض المحتلة. ولهذا فكل الفلسطينيين من مؤسّسات وأفراد مطالبون بجمع تراثنا الشعبي بايجابياته وسلبياته كي يكون في متناول الدارسين لاختضاعه للمقاييس العلمية الحديثة دون الخروج عن الفترة التاريخية التي انتج فيها هذا التراث لان التراث هو (بمثابة عملية تشكيل حضارية مستمرة تعيد فيها الشعوب النظر الى الماضي في نفس الوقت الذي يسهم فيه في تشكيل الحاضر والتوجه نحو المستقبل) اننا مطالبون بربط الماضي بالحاضر حتى نستطيع تحديد المستقبل.

كما نشطت الدراسات في التراث الشعبي ومن اشهر الباحثين في هذا المجال لجنة الابحاث التابعة لجمعية انعاش الاسرة في البيرة. توفيق زياد، دكتور عبد اللطيف البرغوثي، الشاعر علي الخليلي، دكتور عمر الساريسي دكتور رشدي الاشهب، علي عثمان نبيل علقم، وليد ربيع وآخرون . كما ظهرت فرق الدبكة الشعبية التابعة للمؤسّسات والنوادي في سبيل احياء التراث الشعبي . . . فما هو الموقف الثوري من التراث الشعبي الفلسطيني ؟

لعل الفلسطينيين وحركتهم الوطنية أكثر المستهدفين من قبل الحركة الصهيونية والامبريالية العالمية وهم مستهدفون كشعب وكفصية ومن هنا تنبع ضرورة ايلاء التراث

عشر سنوات على وفاة بيكاسو



● باولو بيكاسو ●

هذا، ولا تزال الجهود مستمرة لاعداد فندي «لاسال» في باريس ليكون متحفاً فنياً يحمل اسم بيكاسو ويتضمن الاعمال الفنية لهذا الفنان العظيم ■ .

■ في مثل هذه الايام، قبل عشر سنوات، سنة ١٩٧٣، انطلقت الميغرية الفنية الوهاجة التي اسمها باولو بيكاسو. وكان قد تم سنة ١٩٨١ الاحتفال، بشكل واسع بالذكرى المئوية لمولد هذا الرسام العظيم، الذي ترك بصماته الفنية، أكثر من أي رسام آخر، على الرسم في القرن العشرين.

وقد جمع بيكاسو بين الابداع الفني الدافق والمشاركة النشيطة في معارك العصر، مما جعله يصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي.

الشخصية القصصية بين الثبات والتطور

في مجموعة «عرس الجماجم» لمبدحي حمدان

بقلم - فضل الريماوي

المجموعة القصصية المذكورة تحوي عشر قصص قصيرة، سميت المجموعة باسم آخر قصة فيها وحتى يكون النقد شاملا عاما لا بد من تناول المجموعة من جوانب وزوايا متعددة، إلا أنني رأيت من المفيد التركيز على الشخصية القصصية، لأنها محور الأحداث، تقع لها أو تدور حولها، وعلى طريقة تعاملها مع الأحداث، وردود أفعالها وطريقة استجابتها يتوقف مصير العمل الأدبي ..

وتركيزنا على الشخصية يتطلب منا مراقبتها بعين فاحصة .. ننظر إليها في حالاتها وأوضاعها المتغيرة .. ونرى بعد ذلك هل تتغير وتتمو في تفكيرها، ونظرتها إلى الأمور وحكمها عليها أم أن نظرتها تبقى ثابتة رغم التغيرات التي تحدث حولها، وتفرض صراعا فكريا ووجدانيا لها؟؟

تقدم لنا قصة (الحكمة) شخصية نمطية لابناء شعبنا الذين زلزلتهم النكبات، لم تقلعهم من أرضهم فحسب بل أحدثت شروخا نفسية، نتيجة الفقر والضيوط المادية الحياتية التي تتمثل لهم يوميا في الواقع الجديد ..

نتقلنا القصة بعد ذلك إلى جو آخر - وإن

كانت النكبة سببا له - أم بطل القصة "أريل" تتمتع بسحر غابر" تتفق مع أبي سالم المستول عن العمال على الزواج بعد توطد العلاقة بينهما تصارح ابنتها برغبتها هذه، لكن ابنتها يعتبر زواجها من أبي سالم خطيئة ويقرر أنه لا أم له بعد الآن، رغم أنه أصبح كبيرا إلى حد الاعتماد على نفسه .

الشخصية تتحرك ضمن وقائع، لم تستطع
القصة تحويلها الى واقع فني غني بالصور
والايجابيات والتحديات التي تسمو بها الى
عالم آخر مزيج من الواقع والتمثيل ..

في قصة (عبادة) نرى الشخصيتين - أم
خليل وابا خليل - لاهم لهما سوى الحلوس
امام صورة ابنتهما خليل والتأمل فيها من
بداية القصة الى نهايتها.. لقد مرت
الاحداث دون ان تحدث تغييرا في
الشخصيتين . فالهم الفردي بقي مسيطرا
عليهما .. لا يفكران الا في مصير ابنتهما خليل
في احداث ايلول الاردنية ، وفي احداث
لبنان المدغم فيها خليل مع رفاقه المناضلين

- خير يا أم خليل ١١
- خير يا خوى .. كل خير .
- بشريني ، سمعت حاجة عن خليل
- الولد موجود في بيروت .
- صحيح ١١ وساكنه ليش يا حرمه، فني
- الرغـــــروده ..
- وكانت ليلة مشهورة، عانق الفرح حيطان

الدار (٢) .

يحضرننا تساؤل . هل استطاعت
الشخصيتين عبر احداث القصة نقل الهم
الفلسطيني الخاص وصهره في الهم الفلسطيني
العام، أم بقي هما فرديا تجتريه الشخصيتين
وتعيشان حياتهما تحترقان فيه؟؟

أظن القصة نفسها تجيب على ذلك .
" ومنذ اسبوع فقط ، وكان من عادته ،
بعد ان يفرغ من صلاته ، أن يستمع الى نشرة
الاخبار الصباحية، صفت اذنية كلمات خرقاء ،
سقطت حروفها كالصخر على قلوبهما .
وانتابهما الذهول، وتساءل " ترى هل يسلم
خليل هذه المرة" (٣) .
ان الشخصيتين في تأملهما المستديم

- لو أنك تأخذ الامور بتعقل .
- كيف
- ارمل تتمتع بسحر غابر ، تريد الستر لا
- اكثر، ابن الخطأ في هذا ؟
- الرحمة عليك يا أبي
- الحي ابقى من الميت
- اكذوبة
- وابت أصبحت كبيرا لحد الاعتماد على
- نفسك
- اذا لاعتمد على نفسي الى حد الجمود (١)

موقف الشخصية وفرارها يجعلنا نقول
انها شخصية ذات بعد واحد تنظر الى نتائج
الامور من زاوية مصلحتها الشخصية، دون النظر
الى حقوق الاخرين فزواج الام الارمل حق تنص
عليه الشرائع السماوية، وتقره القوانين
الوضعية أليس من حق الام التفكير في
مستقبلها بعد ان أصبح ابنها رجلا يعتمد على
نفسه وماذا سيكون حال الام الارمل بعد زواج
ابنها؟؟ اليس من حقها ان تحيا حياتها هي
الاخرى ..

لقد اختارت الام محاورة ابنها، واقتاعه
صحبة موقعها .. " انها تريد الستر لا اكثر"
لكن الافكار المحافظة التي تتبناها الشخصية
تمنعها من رؤية حركة الواقع، ومتغيراته التي
لا تقف عند حد .. وهذا ما يجعلنا غير
مقتنعين بموقف الشخصية وقرارها، ويجعلنا
ننظر الى هذه الشخصية على أنها جامدة ..
لا أمل في تطورها الفكري، والوجداني .

قد يسأل سائل الا يحدث هذا في
الواقع؟؟ الا يمكن اعتبارها شخصية واقعية؟؟
نقول نعم . لكن ما وظيفة الادب؟؟ لعل اهم
وظيفة له العمل على تغيير الانسان نحو
الافضل من القيم والعادات والتقاليد والافكار
والمشاعر عبر جدلية الاحداث والشخوص . ان

(عيد العرش) .

— يا صديق ، حاول ان تفهمني ، لانك تفهم كل شيء تحسه اكثر مني ، يجب ان تتغير الى الافضل اقرأ كثيرا ، عيش احداث المدينة بكل تفاصيلها ، وارك السهران والمشروبات ، أنت تنتقم من الدنيا في شحك تغرز الخنجر في مكان مهم وحساس فسي قلبك " (٥)

حسب أقوال علماء النفس " أى تغيير في مواقف الانسان وأفعاله يحتاج الى مقدمات موضوعية تسرع التغيير وتكفل وقوعه " .

اذن ما الذى حدث حتى يتغير فايز نحو الافضل؟؟ هل الثقة بأقوال أحد اصدقائه الذين شاركوه قساوة السجن ، كافيه لهذا التغيير المفاجيء .

مثل هذا التطور في حياة ومصير (فايز) يبدو للقارى كأنه ميلاد جاء نتيجة عملية قصيرة . . انه تغير غير عادى ، وقع فجأة ، ما يدفعنا الى القول بأن هذا التغير غير مضمون وثابت في الاتجاه المرسوم له .

صحيح ان الشخصية تغيرت ، ولكن تغيرها لم يكن نابعا من قناعات نمت داخلها وتطورت وأخذت تضغط على ذهن الشخصية ومشاعرها باتجاه التخلي عن الممارسات والمسلكات الخاطئة التي كانت تتلبس بها ، ان الظروف الخارجية من عوامل التغير ولكنها ليست العامل الحاسم ، اذ لا بد من توفر العامل الذاتي في الشخصية الذى قد يقبل التغير او يرفضه رفضا ايجابيا او سلبيا ، عبر صراع فكرى ونفسى قاس .

مثل هذا التغير حدث في قصة " المرأة التي ترفض الرحيل " ام حميد تلك المرأة التي تنتظر عودة زوجها بعد ان طردت سلطات الاحتلال خارج البلاد ، قدمت لـ العديد من طلبات جمع الشمل لكن دون

يرة ابنهما تفرقان في عبادة صوفية تعوضهما روحيا ، ولكنها لا تضيف جديدا الى الواقع ، ولا تمد المتصوف بشحنه فكرية تقنعه بالتحول الى المشاركة في تغيير الواقع بدل مراقبته ، وتتبع اخباره عبر الراديو ، وأخبار القادمين من موقع الاحداث .

مثل هذه الشخصيات نتعاطف مع مآسيتها ولكنها لا تقنعا بصحة موقفها؟؟ كان من الاولى ان يدفعهما الى الاهتمام بالقضية العامة ، والواجب الملقى على كل فرد ضمن الهم العام؟؟ او على الاقل من الممكن ان يدفعهما هذا الاهتمام الى التفكير بأبناء الآخرين ، والمعاناة التي يكابدها الاء بسببهم ؟ أضع هذه الامكانات لنرى الشخصيتين في تطورهما وتفاعلهما مع الاحداث ، لا لئراهما جامدتين رغم الاحداث الكابوسية التي تحيط بهما تعصف بهما نفسيا لكنها تبقىها ثابتين فكرا وممارسة .

في قصة (فايز) نتعرف اليه (مجنونا) نتيجة التعذيب الذى تعرض اليه في سجون الاحتلال . . يدخن بكثرة . . يدمن الويسكي . . يعمل في (بيت يام) الناس يعتبرونه مجنونا الا أن (الحكواتي) يلقي ضوءا على ماضيه الوطني النظيف ، ويضع على عاتقه تغيير فايز الى الافضل . .

" عرفت انه لم يقدم للمحاكمة ، وظل يوقف اداريا سنة اثر سنة ، وبعد خمس سنوات اطلقوا سراحه ، لكنه فصل من عمله ، والسبب دواعي امنية . . ولست ادرى كيف تدرج فايز وتردى في وضعه الراهن ، كنت غائبا في القاهرة ، اجرى وراء علم الاجتماع " (٤) .

وبكلمات وعظيمة من (الحكواتي) سرعان ما يتغير فايز . . يبدل جلده القديم . . يطلق الدخان والويسكي ، ويضرب عن العمل يوم

جدي . . الايام تمر . . يشاق ابو حميد
لزوجته والاولاد يرسل في طلبهم مع احد
القادين الى القطاع لترحل اليه ، ومع انها
محببة لزوجها فخورة به "تعرفه جيدا ، نبنة
برنة تستطيع العيش في كل الاحواء ، ملايين
الحسن العربية الاصلية مصوبه في عظامه
ملاية وقوة وافنخارا" (٦)

الا انها تضع البقاء في المخيم والرحيل
اليه في كفتي ميزان ، وتختار البقاء على
الرحيل ، معتبره الرحيل مدخلا الى التغير
السلي ، والانحراف عن المثل والقيم الوطنية
الاصلية التي صنعتها اجواء المخيم .

"الرحيل او البقاء دونك خياران كلاهما
علم ، وان رحلنا فلسوف لا تعرفني ، سأكون
قطعة حطب نخرتها يد العيب ، وسنتنفس سما
قائلا ونقنات من دمنا الذي يسح في كل
الارجاء" (٧)

لست أدري كيف اختارت ام حيمد البقاء
على الرحيل مع انها كانت ترى ان لا رجاء
في اللقاء وتجتاحها موجة من خيبة امل عميقة
تريد طحنها .

"وماذا عن الامل الاخضر الذي تكسّر
شظايا حيث تمر الايام والسنون وما من رجاء
في اللقاء . خيبة امل عميقة تفتح شذقيها الان
تريد صحنها ، غضب متكوم منذ سنين ينتشر
في عشات اصابعها ، لماذا رحل او اجبر على
الرحيل؟؟ (٨) .

لنناقش امر التغير عند ام حيمد ، هل
قرار البقاء منطقي نابع من ذات المرأة
وقناعاتها ام انه مفتعل مفروض عليها من
الخارج؟؟ .

المرأة تعجب بزوجها - المرأة تعرف ان لا
امل في عودته حيث صدر الامر بطرده خارج
البلاد . اذن كيف سيعود اليها؟؟ تقول
"عندى امل بحجم العالم بقرب اللقاء . .

سوف تحملك المعجزة ، وتحي كالبرق ، حاملا
المطر في جعبتك ، ونفخ فلاح المسحبل ،
وتهدر بصوت العاصفة الكاسحة وتترعرع في
احضاني ، أتعلم أنك أنت المعجزة؟؟" (٩) .
كيف بنت المرأة هذا الامل ، وعلى أي
شيء؟؟ هل هو التفاؤل الثوري ام التفاؤل
السطحي الساذج؟؟ فاذا كان نفاؤ لا ثوريا؟؟
فليست نضالات الخارج وحدها كافية لتضع
المعجزة في مواجهة صراع غير متكافئ مع
العدو دون مساهمة الدخل وقوى عربية وعالمية
ثورية أخرى؟؟ .

ان الشك المباغت الذي نبت في رأس ام
حيمد حول ابي حميد نفسه ، .

— اذ لم يعد ابو حميد يعرف ما يريد — يدل
على صدق وطنيتها وصحة نظرتها الى الامور
وتغيرها عند ابي حميد من وجهة نظر ام
حيمد ، اما الواقع فقد يكون غير ما تطرح وغير
ما تفكر وتـرى . .

لا يا بو حميد ، ما هكذا تريد ، أنا
أعرفك اكثر من نفسك ، تزوج ان اسعدك هذا
ولكن اؤكداك ستنجب مسخا" (١٠) .

مرة أخرى نحس أننا امام شخصية قصصية
تتغير تغيراً ميكانيكياً لا تغيراً دياكتيكياً
واعيا ، وهذا يقلل من قناعة المتلقي بهذه
الشخصية وموقفها رغم البعد الوطني لها .

وفي قصة (الطباق الطائر) نواجه شخصية
تتغير بطريقة مشابهة تتعاطى الادب ، وتكتب
القصة ، وتتعامل مع الشعر . . تتشبث به طالبة
في جامعة بيرزيت تشاركه الميول ، يقع في
حبها وتقع في حبه رغم انه زوج واب لسبعة
ابناء ، وتنتهي قصة الحب (النزوه) لحظة سفر
الطالبة الى لندن لاكمال دراستها هناك .
والشخصية تعتبر ان الامر انتهى ، والانفجارات
تفجر فيها روحا جديدة ، تعلم ان يصوغ
قصه صياغة بطريقة افضل .

اللفظي للواقع - تبقى هكذا الى نهاية القصة
 "ومنذ تلك الايام لم يكف زندي نرى
 العمل، وها آنذا مكوم على كرسي وديس
 النمل خدر اطرافي تماما، وها هي الدنيا
 تستحيل عاهرة تفتح فحديها للريح، وها هي
 ابصق في مكان ما .. يلعنها من عيشه" (١١)
 وفي نهاية القصة نرى الشخصية نفسها
 محبسة على الذهاب الى العمل
 يوم السبت رغم انه عطلة اسبوعية، ومع ان
 العمل كثير (هالايا م) حسب قول زوجته ام
 حسين "شلومو يحتجر أجره خمسة عشر يوما،
 يعني لو غبت فيسطرديني، وان طردني نظير
 فلوسي، وان طالبت بها فيذهب نمطا
 اجرة سفر، وان وكلت محاميا فيسبيلها
 تبقى ، وان اكلها شلومو علي، فيقتلني
 الكمد (١٢) .

مثل هذه الشخصية المستكنية تتغير
 اتجاه سلبى، اتجاه يرتبط بوشائج مع
 الخنوع . والتسليم بالامر الواقع - رغم التز
 العاطفي الذي تحتج فيه على هذا الواقع -
 صحيح ان هذه الشخصية نموذج لفئة من
 عمالنا، ولكن ألا تساعد العلاقات التي تنرم
 بين العامل وطبيعة عمله، والتغيرات التي تطرأ
 على علاقات العمل هذه الا تساعد على
 احداث تغييرا في العامل نفسه فكريا ووجدانيا .
 اننا امام شخصية ساكنة رغم تغير الواقع،
 وطبيعة العمل التي تمارسها الشخصية .. انها
 تظلم .. يجحف بحقوقها .. تتشكى بينها وبين
 نفسها ولكن هذه الشكوى لا تتدغم في شكوى
 ومعاناة زملائه العمال المشابهين له في
 ظروف العمل .

في قصة (ايام من حياة شاعر كان صائغا)
 تحس أنك أمام شخصية تتطور تطورا طبيعيا .
 احداث خارجية تبعث ذكريات وخواطر مشابهة
 تشير فيه شخصية الشاعر الراقص التي كان قد

ألم تشاهد الشخصية القصصية او تسمع
 الانفجارات من حولها قبل ذلك ، وفي اثناء
 حبه الطالبة؟؟ وهل كان حب الطالبة يملاء
 عقله وفكره، ولا مكان للتفكير بأى شيء آخر
 حتى لو كان هذا التفكير في امور وطنه؟؟
 فاذا كان الجواب بنعم، فاننا أمام شخصية
 مسطحه فارغة تجرى خلف اللذة والمتعة
 الجنسية التي حرم منها جراء زواجه من
 "امراة غبية" حسب قول القصة، واذا كان
 الجواب بلا . فهل ساعده هذا الحب على
 تطوير واغناء شخصيته؟؟ الواضح ان القصة
 تقول غير ذلك رغم الاقوال الاخيرة التي
 نطقت بها الشخصية في نهاية القصة، والتي
 تستم منها، الزيف والرياء، اذ لا يعقل ان
 تتغير الشخصية لمجرد سماعها الانفجارات،
 وانما لا بد من مرور وقت تنشد فيه الشخصية
 الى العمل الوطني حتى تتغير . وتقدر ان
 تكتب قصصا بصورة أفضل مما كانت تكتب من
 قصص حب ومغامرات عاطفية، انها ليست
 نقله كمية، وانما هي نقلة نوعية تحتاج الى
 مرحلة وسط تكون مرحلة عبور فكري ونفسي
 بين المرحلتين .

ان الشخصيتين في هذه النقلة السريعة
 تشبه حجر الشطرنج في يد اللاعب يتحكم
 اللاعب في موقعه ومصيره ، بينما الشخصية
 يجب ان تمتلك مصيرها بنفسها وعبر تداعيات
 الاحداث ومنطقية تحولها وتغييرها . اننا امام
 شخصية نامية ، ولكن بطريقة آليّة، تحس به
 ولكنه غير مقنع للمتلقى ..

في قصة (صابر) لا نحس معاناة الشخصية
 التي تمهد الى تطورها، ونموها، ولكننا نرى
 سردا لهذه المعاناة تتعاطف معها، ولكنها
 لا تمهد الى حدوث تحولات في الشخصية
 نفسها .. انها شخصية مستكنية رغم رفضها

الفجر " (١٥) .

اننا امام شخصية ناضجة فنيا. تطورت تطورا طبيعيا ولد في داخل الشخصية، وان كانت الاحداث الخارجية هي التي ولدته. . انه الصراع الداخلي، فرض منطق علي الشخصية ذات التراث النضالي الذي تخلت عنه لفترة - وحتى طبيعة التغير ونمو الشخصية ينسجم منطقيا مع اتجاه تطور الاحداث، والمتغيرات التي تجربها في واقع الشخصية الفكرى والنفسى .

لقد قلت أننا امام شخصية تنمو تتطور، ولم اقل تتغير ذلك ان التغير قد لا يؤدى الى نمو الشخصية وتطورها، وانما النمو والتطور هو الذى يعنى جوانب في الشخصية يغيرها نحو الافضل، باتجاه التكامل في خصائل وصفات الشخصية الفكرية والنفسية - اما التغير فقد يكون ايجابيا نحو الافضل، وقد يكون سلبيا يمثل ارتدادا وتراجعا وتضييما لجانب واحد في الشخصية على حساب جوانب الشخصية الاخرى .

هذه الشخصيات الثابتة لا تصلح للعمل القصصى . . انها تعيق تطوره. تجعل أحداثه غير مقننه . . تسطح العمل القصصى . . تنفر القارئ منها، أما الشخصية النامية المنظورة فهي التي ينجذب اليها القارئ . . يحس بها يشعر بما تشعر يتألم لما تتألم . . باختصار يندمج فيها بوعي، هذا الاندماج الواعي بشكل مقبلا لنجاح العمل الادبي في تجاوز ذاته واقتحامه ذوات القراء المتلقين له . . المتأثرين به، المنجذبين اليه . .

الهوامش :-

- | | | |
|-----------|-----------|-----------|
| (١) ص ٩ | (٢) ص ١٦ | (٣) ص ١٧ |
| (٤) ص ٢٤ | (٥) ص ٢٨ | (٦) ص ٣٧ |
| (٧) ص ٣٨ | (٨) ص ٣٦ | (٩) ص ٣٨ |
| (١٠) ص ٣٨ | (١١) ص ٦٠ | (١٢) ص ٦٤ |
| (١٣) ص ٦٨ | (١٤) ص ٦٩ | (١٥) ص ٧١ |

دقنها في اعماقه . وتخلّى عنها . .
"ادار المفتاح . . كارتري يعارض اية مبادرة اوربية تهدف الى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . .

وانبعث صوت موال شعبي من مسجل في احدى الزوايا

ياما موبيل الهوى ياما موبيليه
ضرب الخناجر ولا حكم النذل قيا
الموال فتح سيلا من المواويل داخل راسه
وتلاحم الموال مع اللحن الصاخب
المتوتر " (١٣) .

وتتدفق الذكريات سيلا جارفا تطفو فوق سطح وعيه ، توقف فيه ماضيه الوطني ونضالاته المحيده وشعره الذى كان كالبرق الجامح . .
ينير طريق المناضلين . . يحفزهم على النضال . .
"وتذكر مظاهرات ال ٥٥ وتذكر انه كان يحمل البيتين واللعن الصاخب المتوتر الراضى في قلبه والرفيق حسني بلال يتصدر المظاهرات . . "يومها كان للشعر مذاق آخر ، وكان يدفق كشلال جارف " (١٤) .

وتتراكم الاحداث وتتكاثر . كلها تدفعه في اتجاه العوده الى العمل النضالي، والى قول الشعر المقاوم . . شاب يطلب راية في قصيده شعريه نظمها حديثا . . ركلات ارجل الجنود واعقاب البنادق، واصطدام شيء حاد في جبهته . . ورويته لتعذيب الشباب وحرارتهم . رغم القمع والاضطهاد .

كل هذه الاحداث وتراكماتها في فكره ونفسه . . استطاعت ان تهز قناعاته السابقة، وتضبط على فكره ومشاعره، لا قناعه بأهمية النضال الجماعي والعودة الى قول الشعر الراضى المقاوم . . .

"وجاشت خواطر كثيرة في صدره المتعب واستغزته الديكة تبشر بقدوم الصباح فيدا يكتب وظل يكتب . . يكتب . . حتى طلوع

باقعة ورد لعينون.. يونس

أسماء محسن العيسه

مخاطر، .. دير بالك على حالك .
 .. وما ان نزلت من الباص أمام مبنى
 الكلية حتى رأيت تجمع كبير من الطلاب في
 احدى الزوايا يتبادلون الاحاديث وتطل
 أصواتهم كلما اقتربت منهم، .. الطقس بارد
 جدا .. ولكن تجمع الطلاب يلفت الانتباه ..
 .. وقبل ان أصل الطلبة كان الخبر يخترق
 أذني فاجأتني " سلمى " بالخبر ؛
 - شاب من الكلية لقي مصرعه وقبل ان اجد
 لنفسي الوقت في التفكير أو التحليل أمسك
 بي 'ناصر' وصرخ .
 - يونس استشهد ، حبيب الفقراء .. معقول
 يا "ربيع" معقول !!
 وددت لو أبكي وأملئ العالم مراخا ،

"ليتني سمعت كلام أمي ومكثت في البيت
 اليوم .. بدلا من الخروج الى الكلية .. فيها
 أنا لم أصل بعد الى محطة الباصات والبرد
 قد تسلل الى عظامي واستقر في جميع أجزاء
 جسمي ، ولا أدري بعد ماذا ينتظرنني هذا
 اليوم .. ضحكت في سري وأنا أستعيد كلام
 أمي هذا الصباح عن حلمها المزعج .. حيث
 لم تدعني أخرج الا بعد ان شيعتني بكل
 الادعية التي تحفظها
 - الله يحميك من اولاد الحرام ...
 - يجعلك في كل خطوة سلامة

ولم تنس في النهاية ان تقول كالعادة :
 - اعرف يا أبني انك تسير في طريق كله

حبيب الفقراء"، لقد عاش الخمسة والعشرين عاما من عمره يتيم الابوين وكان يمر عليه يومان او اكثر دون ان يذوق أى طعام... كان بوده ان يغير العالم ويصنع عالما جديدا، لقد طاردوه حتى في لقمة عيشه، هددوا كل صاحب عمل يعمل عنده... ومرة الصقوا به تهمة أخلاقية... وفي سرى كنت دائما أتساءل:

ما سر قوة يونس؟ .. يونس ثورة، انه حقا ثورة... ١١٠٠

x x x

وما ان غاب النهار حتى كانت الصورة قد اكتملت والكل عرف قصة يونس... فبعد ستة أشهر من قصة اختفائه التي يذكرها جميع طلبة الكلية... عندما وقف في وسط ساحة الكلية وهاجم الرجعية والامبريالية والجوع وملك المجوس... منذ تلك الحادثة والامن العام" يبحث عن يونس حتى صادفوه في احدى اوقعة "عمان" ... واستقرت الرصاصة في قلبه قبل ان توجه الى العدو... ١١٠٠
قبل هذا المساء لم اكن أعرف ان الطلاب يحبون يونس الى هذا الحد خصوصا ان البعض منهم كانوا يتهايمون في السابق:

— ملحد شيوعي
.. في وسط الدموع الى تتدرج من أعين البعض والدموع التي انحبست حتى تحجرت في الاعين... تذكرت الخالة "عزيزة" ... عفوا "اليزا"، يجب ان اتوجه اليها حالا... فهي بالتأكيد ستكون بحاجة الي... وأنت يا يونس يا أجمل ثورة... ١١٠٠
سندرك مع زفرقة عصافير الحقول في فجر بلادي وستفني لك فتيات بلدنا في الاعراس...
لتصبح انشودة حب تتجدد مع ولادة كل فجر جديد... ..

يونس... يعني لي الشيء الكثير... فتقدمت من الجموع وصورة "يونس" في مخيلتي...
يونس هذا الجزء من نفسي الذي فقدته .

x x x

اذكره آخر مرة... قبل اختفائه بفترة وجيزة... عندما كان خارجا من المعتقل لنوه... اصريت على اصطحابه معي الى البيت ولم تنفع أعذاره وشوقه الى عائلته التي تتكون من جدته "عزيزة" أو كما يسميها "اليزا" - فهو اسم حضارى نوعا ما كما كان يبرر لها عند ما تسأله عن سبب هذه التسمية - لم تنفع أعذاره من اصطحابه معي... سألته مداعبا...

— ما نمرة هذه الزيارة .

ابتم كعادته وقال :

— نمرة "١٥"

وتابع: "هل تعرف كم كان صادقا الذي قال الضربة التي لا تقتلني تقويني، فأنا نقى بنفسي وبكم تزداد خصوصا عندما أشعر انه يوجد في هذه الدنيا ناس مثلكم، .. وعلى أية حال لن يجدى التروى والصبر مع الاوغاد... العنف ثم العنف..."

— لا تكن راديكاليا يا "يونس" ١١١٠٠
قلت مداعبا...

— أخرتها معك تتهمني بالتطرف، معلش -
حتى لو اختلفت معك في الاسلوب فسااعد من حقدي وعلمي ضدهم .

لاحظت عليه وهو يتحدث انه كان يحاول ان يخفي اصابع يده اليمنى في جيبه... ،
سحبت يده، ووضعتها بين يدي... فقال:
— يقول اجدادنا الظفر عمره ما بيطلع من اللحم وهاهم ينزعون جميع اظافرى ويشوهون صدرى بأعقاب سجاثرهم... انهم حيوانات ١١٠٠٠

.. لهجته هي... هي واسلوبه في الحديث لم يتغير منذ أن عرفته أصبحت أدعوه

الرياسة

بقلم

محمد عبد الملك
البحراني

من منا يجهل منصور الياس؟ منصور الياس الذي يتسلى الاطفال باقتفاء اثره وقبلة الظهيرة حين تخلو الازقة من الرجال؟ منصور الياس الذي يتسلى السكارى في الليل بأسماه حين يهجع الجميع الى بيوتهم وأولادهم وزوجاتهم؟ وفي الليل، كل الليل يحمل منصور الياس لعبة صغيرة يشعلها عند آذان المغرب ويطفئها عند الفجر . منصور نقطة الحذب الوحيدة في الحارة فهو ملتقى سمات الرجال، وضحك الاولاد، ولفظ النساء . الجميع يحيون منصور الياس الحكيم والمجنون ويهابونه ومنصور الياس لا يعمل بشكل منتظم فهو نزيل

مستشفى الامراض العقلية شهورا ونزير الحارة شهورا . وفي الصف عند البحر سفل منصور نارا كبيرة ويصب عليها الزيت ويقفز من حولها وعليها فيتبعه الصغار ثم يصاب سعار فصرح ويأكل من لحمه حتى يأتي رجال الصحة ويدورون من خلفه حول النار ، ويأتي رجال المطاي والشرطة ، ويخرج النسوة ، والرجال ، وتتحول الحارة الى شعله كبيرة من نار

العسكر بعضهم لبعض .

— أهلا... أهلا بالعرب !

عمت القوضى الوزارة ، وتأخر الموظفون عن الدوام خاصة النساء منهم فخرج المدير العام للادارة التي يتبعها منصور الياس ومن خلفه مراقب شئون الموظفين وطلبوا مقابلته على الفور .

دخل منصور الياس المكتب وطلب المدير من السكرتيرة والمراقب الخروج فامتتلا لامره في الحال . وبعد ان ضرب منصور بطن الارض بقدمه اليمنى أدى التحية العسكرية وقال :

— أهلا... أهلا بالعرب !

لم يبتسم المدير كما فعل الموظفون في الخارج قبل قليل وظل وجهه العبوس يثير الريبة ثم قال في لهجة آمرة :

— انزع القبعة يا منصور !

— ولماذا انزعها ؟

— لانها لا تناسب العمل .

— لكنها تناسب الوقت .

— أي وقت يا منصور ؟

— يوم ٦ يونيو .

— وهل يلبسون قبعات في هذا اليوم ؟

فقال منصور وهو يؤدى التحية العسكرية من

جديد :

— أهلا بالعرب !

— ماذا تعني يا منصور ؟

— اليوم انهزمت الجيوش العربية .

— لكنها تدخل الحرب ؟

— انهزمت بدون ان تدخل الحرب .

— واين نعليك ؟

— انا من اللاجئين .

وهكذا يختفي منصور الياس شهورا أخرى طويلة فتنتقطع الحكايات والنوادر والحكم من حارتنا ونكون كلنا في انتظاره . فالسكاري على الشواطئ يذكرونه في خلواتهم ، والاطفال في الظهيرة عند تجوالهم ، والنساء حين يجتمعون عند سوق الخضار .

ولكن لماذا يتعذب منصور الياس أكثر من الآخرين ؟ . وأحيانا بدلا عنهم ؟ فمنصور الياس عامل بناء . وصباغ وبخار وكناس ونادل في المطاعم ، وأحيانا حين يحصد من عمله بعض الدنانير يشتري لعبا وملابس أطفال ويضعها في قفة كبيرة أمام الابواب لكنه لا يبيعها . يوزع منصور الياس بضاعته على الاطفال والمنازل ثم يبحث في اليوم الثاني عن عمل جديد .

— ٢ —

أحد المحسنين في الحارة أخذ منصور الياس من يده فعمل في اليوم الثاني فراشا في وزارة يحمل الورق بين المكاتب . وخلال ايام كسب منصور الياس شهرة في الوزارة بتصرفاته الغريبة . جاء الى الوزارة في يوم ٦ يونيو وهو يرتدى قبعة عسكرية وقدماء حافيتان فأثار الضحك من حوله . تجمع الموظفون عند بوابة الدخول يذكرون بعضهم بعضا بالحكاية وآخرون تركوا مكاتبهم بالداخل وتوقفوا في الشارع العمومي المحاذي للوزارة وفئة ثالثة جلست داخل سياراتها ، فمنصور الياس يرتدى اليوم حلة الفراشين وفوق رأسه قبعة عسكرية ، وفوق كتفه نجوم ، وكان منصور الياس يبتسم للموظفين ويقدم لهم التحية العسكرية ضاربا بطن الارض بقدمه اليمنى تماما كما يفعل

على عقولهم : من يفتح الآخر .. منصور
الياس أم المدير ؟ . من يفرض ارادته في
هذا اليوم الذي أعلن فيه ساعة توقف
العمل تضامنا مع فلسطين ؟

كان الموظفون ينتظرون خروج منصور
الياس والقبعة في يده ولكنهم فوجئوا به يخرج
والقبعة فوق رأسه ! وفجأة أخرج بوقا صغيرا
من جيبه ونفخ فيه وهو يدور في ممر الوزارة
المستطيل الطويل فخرجت البقية الباقية من
الموظفين . وعمت الفوضى كل المكاتب ثم
لم يعد منصور الياس الى الوزارة .

كنا قبل سنوات نضحك من منصور الياس
ثم علمنا ان نفكر فصرنا نضحك ونفكر ، ثم
علمنا ان نحزن فجمعنا ثلاثة أشياء في حياتنا
ثم أضف ذات يوم كلمته الشهيرة :
- الحركة . عليكم بالحركة ..

وكنا نعلم عن حبه للسير ، وعدم توقفه
عن المسير فمنصور الياس أحيانا يسير طوال
الليل واللمبة في يده وعند الفجر حين يتعب
ينام عند رصيف أو شاطئ ، وفوق كرسي مفي
في شارع عمومي واللمبة عند رأسه مظافة
قال لنا منصور الياس

- اني أرى أعرافا كالرايات فوق رؤوسكم
- أعراف يا منصور ؟
- نعم أعراف حمراء ..
- هل تراها يا منصور ؟
- أراها تهتز مثل ..
- مثل ماذا يا منصور ؟
- صدقوني أولا ..
- نحن لا نرى شيئا .
- ستصدقون متأخرين ..
- متى يا منصور ؟
- حين تضع الديكة البيض في الغرب ..
- البيض يا منصور ؟
- نعم .. الذي تأكلونه ..

- تصرفك هذا اثار الفوضى في الوزارة .
- وانتم اثرتم الهزيمة .
- الغضب يا منصور الا تخشى الغضب ؟
- اريدكم أن تغضبوا ..
- الكبار غضبوا بالفعل ..
- الذئاب لا تخاف الحملان .
- أوقف هذا التصرف في الحال !
- لا اظن أنني مخطئ ..
- أنت مخطئ في حق العمل .
- في هذا اليوم كلنا مخطئين ..
صمت منصور الياس . وصمت المدير ثم قال :

- أنصحك أن تعقل !
- وكيف لمحبوب أن يعقل ؟
- كلامك لا يدل على الجنون ؟
- ارتدوا القبعات العسكرية ..
- ولماذا يا منصور ؟
- لنذهب الى الحرب .
- لكن بتصرفك هذا لن تدفعهم الى
الحرب .

- أريد ان أذكرهم .
- لكنهم يبتسمون ...
- ابنسامة الخجل ..
- يا منصور حافظ على الوظيفة ؟
- ماذا تريدني ان أفعل ؟
- اخلع هذه القبعة وارتندي النعال ..
- هذا يوم المعارك !
- اذهب الى البيت اذن .. أنت مجاز
هذا اليوم ..
- خيانة جديدة !
- اذهب !

قالها المدير بغضب هذه المرة فآدى
منصور التحية العسكرية وقال :
- حاضر سيدي !

واندفع نحو الباب . كان حشد كبير في
انتظاره ، ومن لم يخرج من الغرف تلتصق من
وراها النوافذ ، وكان سؤال واحد يستحوذ

سذهب الى فلسطين .. النقل العام وصل !
 والمجنزرات وصلت ! والطائرات والصواريخ ..
 كاكو .. كاكو .. هذا الفجر .. وهذه الديكة ..
 عجلات الباصات مثقوبه .. العاقل محنون ..
 النكتة مأثم .. العبد صيام .. الكلام حرام ..
 قال طحنون شكر :

— فلسطين في الدائرة ..

فقال رجب اللقمة :

— دوروا حولها ..

فقال منصور الياس :

— لن نصل .. ادخلوها ..

وتوجه الجميع الى قطر الدائرة صار
 منصور الياس قطر الدائرة هدفهم ، التحمت
 أحسادهم فشرعوا بسعادة غامرة وضحكوا بعمق
 وشدة واطمئنان ..

وقال شكر :

— صدقنا يا منصور !

وقدمت جماعة من الشبان يحملون اشرطة
 فيديو وأوراق أسهم وعلب "هنيكن" وانضموا
 الى الدائرة التي راحت تتسع من جديد
 وتلتحم في قطر واحد صار هو هدف الجميع ..
 وكانت الدائرة تكبر وتكبر حتى أصبحت بحجم

الوطن

— ٤ —

بعد ايام جاء رجال الصحة ، حملوا منصور
 الياس في سيارة بيضاء مفلقة ذات حواجز
 حديدية ، قال كبيرهم للجمع الذي احتشد
 دون ان يحميه

— منصور الياس مصاب بمرض عقلي خطير !

واجه منصور الجمع وقال :

— عاشت الديكة !

واستدار مرة أخرى الى رجال الصحة
 وأدى التحية العسكرية :

— أهلا بالعرب !

هذه المرة لم تكن القبة العسكرية فوق

رأسه

— الديكة لا تبيض يا منصور ..
 — في زماننا تبيض الديكة وتلد الفراخ ..
 وذكرنا بحوادث غريبة حدثت كما رواها لنا
 وكنا لم نصدقهم فقلنا :

— صدقنا يا منصور !

— صدقتم ماذا ؟

— اننا ديكة !

— ولماذا تصدقون ؟

— ألا تريدنا أن نصدق ؟

— أريدكم أن تفكروا

— هذا ما تقوله وعلينا ان نصدق ..

— وهل ما أقوله هو الصحيح ؟

— أغلب الاحيان ..

— وهل تصدقون مجنوننا ؟

— انت أجن العقلاء يا منصور ..

— اذن .. لكم أعراف !

— لنا أعراف .. أعراف ..

كان طحنون شكر حمال الناحية كما
 يطلقون عليه في نوبة سكر عارم بعد عودته
 من الميناء فقال لمنصور :

— انظر ! .. انا عرفني أطول !

وحمل قنينة الخمر ودار حول منصور
 والشباب وراح يكاكي .. ويضحك ويقول :

— كاكو يا شباب .. كاكو يا دجاج

فقال منصور الياس :

— هل صدقتم ؟

وفجأة قفز رجب اللقمة الاعرج ، وقفزاته
 بدون عصي تبدو كنشاطات العصفور المصاب في
 قدمه ، تبع رجب اللقمة طحنون شكر ، وأمر
 منصور الياس الجميع ان يدوروا من حوله ..
 السكاري والأصحاء ظلوا يكاكون .. ومنصور
 الياس يقول :

— هذا يوم العرب .. الاوائل والاواخر ..
 هذا يلعب وهذا يتبع .. هذا يوم النوم ويوم
 اليقظة .. يوم التجم والحجرة .. يوم الحشر

يعقوب أحمد
كفر مند



نظف النواب يقف على أبواب البصرة ليلاً

مهدها الى خطيبي التي وقفت الى جانبي
كالصخرة صامدة اثناء فترة اعتقالي الاخيرة.

جئت بالسر يا حبيبي
أحمل أعمار الانهار
وأرقام الموتى
وعذاب كل الشهداء
بالسر جئت -
وبالسر سأغادر
أخاف ان يكتشفني
الشرطي الواقف عند الاسوار
المتفحص وجوه الفقراء
جئت - عند ابواب البصرة -
لارى وجوه اطفالي -
وأسقي الشجيرات بعض الماء ..

عادية جدا كانت الاشياء
احجار الجدران المحدقة في المجهول
كعيون الفقراء -
عصافير الليل المذبوحه الملقاه فوق العشب
تنتفض من الوجع . والجوع
وتقطر بالدماء .
عادي جدا وجهك يا حبيبي
الواقف في ذاكرة الريح
كالنحلة المذبوحة العذراء .
أحمل وجع المنفى وأحلام الحقول
ودموع كل الانبياء

استيقظي حبيبتي
اسحي دم الاطفال عن جسدي
اخلعي ثوب الليل - علي -
ايقظي كل الصغار - ليشاهدوني
جئت انا -
جئت انا - بلا عيوني -
سرعة ايقظيهم
لان آلاي الكلاب تطاردني
وسيعرفوني

x x x

عادي جدا هذا الصمت
وعادية جدا هذه الاشياء . . الكثيرة .
نفس طفل ضريب
في زاوية خيمة مهجورة
هل حجر هذا . .
هل عشب هذا
ماذا يكون عند الموت شكل الضحكة
على شفاة طفلة صغيرة .
ماذا تتمتع في الجناز شفاة أم
نحاول ان تودع طفلها
بدمة أخيرة -
لماذا تسافر الاطيار والاعشاب
ويعلق النبي في مشنقة حبلها مجدول
من شعر طفلة صغيرة !!!
هل يموت الفرح في صمت الشفاة الحاملة
وجهك باب الصبح -
وانا انتظر الطلقة الحاسمة
من يغطي محاسن هذا الجسد الوردي
من كل العيون
ومن كل اسراب الفراش الحائمة
"امي هي النخلة الحاملة
وامي هي الانهر الحاملة"
وانت - انت وحدك حبيبتي
وانا وحدى احبك -
بكل الرياح
٣. الليالي الغائمة -

اشتريني قبل الوداع بنظره
اقظي عن جسدي
زهر الجراح النائمة . .
عذبوني كثيرا . .
سرقوا لون عيني .
وسرقوا طعم شفتي .
ووزعوا لحمي على كل السجون
وعلى كل الكلاب الهائمة . .
جئت - اليك -

بلا عمري - بلا شكلي - بلا لوني
جئت حقدا - وموتا - اسودا كالليل
أحمل حبي - وشفتي الوارمه .
استيقظي حبيبتي -
قبل قليل سقطت " مدينة الفقراء "
وتهافت المصلون والمودعون
وتكاثر الذباب والصمت والشعراء -
عادي جدا .
ان يذكر الله بهذه الساعة من الحزن الليلي
وان يوقظ من النوم عيون الانبياء . .
سقطت عاصمة الغرباء
سقطت كل عصافير الثلج
وأقمار الورد -
وحقول العشق والدمار -
وشاهد النبي - يرحم بحجارة المرتدين
في كل الازقة والاحياء . .
استيقظي حبيبتي . .
سقطت - عيون الاطفال وحبات البرتقال
كما تسقط الاوراق الصفراء . .
جئت هنا .
اعلن انني مذبح . .
وأني منفي
وأني . .
مطارد
لا حمل في عيني . .
الا قطرة كبرى . .
x x x

أماء

زنانة رقم ٣

.....
 أماء
 من زنانتني السوداء اكتب
 من زنانتني السوداء ...
 بالحق ٠٠ بالاصرار اكتب
 باظافري ٠٠ انحت على الجدار مشاعري
 وارسم ٠٠ من دمي ٠٠ شكل السماء
 أماء ...
 حين يقفل السجان خلقي الباب
 وتنهش من لحمي السياط والكلاب
 أصرخ يا أماء ٠٠
 يا أماء .
 لحمي هناك كتاب ٠٠
 ليقرأ الاطفال ٠٠
 انشودة البقاء ٠٠
 أماء لا تبكي ٠٠
 أكثر ما يؤلمني انك يا أماء ٠٠
 يقتلك البكاء
 وانك تبكين كلما ٠٠
 خطرت ببالك .
 وكلما ٠٠ وكلما ٠٠
 رأيت بعض الاصدقاء ٠٠
 كتبت في زنانة رقم (١) سجن الجملة
 حيث كنت معتقلا

لا ياتي الله الى هنا ٠٠
 كيف يتعدى الاسلاك الشائكة
 والاضواء الكاشفة والظلمات ٠٠
 جدار الزنانة هذا ...
 يحمل ارقام الموتى ٠٠
 وتواريخ التعذيب ٠٠ والبصمات
 اخوتي ٠٠ معا نتقاسم كسرة الخبز والدمعة
 ونتقاسم عند الحزن ٠٠
 بعض ٠٠ الاغنيات
 نبكي معا ٠٠ ونضحك معا ٠٠
 ونصلي لله معا ٠٠
 ونطل من الطاقة الصغيرة
 الى الشمس البعيدة ٠٠
 معا نموت ٠٠ ومعا حين تنز الجراح
 نعمس عيدان الثقاب
 لنكتب نفس القصيدة ٠٠
 ماذا يكون ٠٠ هذا الحزن اللامفهوم
 نجلد بنفس السوط ٠٠
 ونحرق بنفس الجمر ٠٠
 ونبكي نفس الدمع .
 ونتنفس نفس الهموم ٠٠
 (مهداه الى السجناء الذين التقيت معهم
 في نفس الزنانة وهم الان في معتقل
 الانصار)
 زنانة رقم (٣) سجن الجملة

حذاء

على تلك الرمال المحرقة الصفراء

تلك المحررا..

لم يكن أحد هناك ..

غير الحذاء . . قيل حذاء جندی

منذ الف عام ...

يتم تجف عنه أثار الدماء

ببرت في صدره زهرة ..

قل ..

زهره حمراء ..

وعند الفجر ...

قل . . .

هناك طير

لیس یکف

عن الغناء

حزاء

حزب



عادل محمود
رسمه

بلاد قابلة للنسيان

- أ -

قال الربيع بن زياد الحارثي
يلقى على مقتل حجر بن عدي :
" لا تزال العرب تقتل صبراً بعده
ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم
صبراً ...

ولكنها أقرت فذلت ..."
الطبري

- ب -

وخطب الوليد بن عبد الملك يوم استخلافه
قائلاً : "أيها الناس . من أبدى لنا ذات نفسه
ضربنا الذي فيه عيناه ... ومن سكت ... مات
بدائشاً !"

- ج -

وقال ابن المقفع : " شر الملوك الذي يخافه
البرئ و شر البلاد بلاد ليس فيها أمن ولا

خشب !

- كليلة ودمته -

- ١ -

بلاد من الفخار

بلاد من الفخار المزخرف ..

بلاد من الشفاعات بالموتى

ورد الشفاعات بالموتى

بلاد من الاوسمة التي يأخذها

من يقتل عمداً ..

الجند والحرس الملكي ، والوحدات الرديفة

بلاد من الاوسمة التي يأخذها كل قاتل

هدايا القتل المتقن والرعب العمومي ..

وحيطانها مبكى لكل الناس ..

بلاد من الفخار المزخرف

ان ضمها الطغاة انكسرت

فقد ولى أوان الثياب .
ولا تتبختروا في الشارع الرسمي
مثل العاشقين ..
غطوا تالفكم

خثوا القبلات في المنفى ..
فروائح التقبيل تغري ..
خياشيم الذئاب ..

انتظروا مرور العف ، تحت الارض .
وترقبوا المنفى ..
لا تعمروا مدناً في عصر من يهوى الخراب ..

x x x

انهم المنفى يا صاحبي
ملئت بالكدمان

تلك التي رأيتها بالأمس
عارية تصب الشاي للآتين
فتلت تحت باب الغد الآتي

x x x

هذه بلاد مغلفة

كرهره من غبار ..
مظلمة ..

كما لو أنها اختبأت في معطف
من صخور ..

لا كهرباء فيها ..

لا ماء للجرحى ..

(ولا تخفي عارها ..)

هذه بلاد ،

مثل حب قديم

مضى عنوة ..

بلاد قابلة للنسيان !

- ٤ -

علقوا بالامس وساماً

من الطلقات

في صدر الشاعر ..

رصدوا دمه للجهد الحربي

وقالوا

مات شهيداً

فاحتلظت أوراقها بنبيذها
باللبن الذهبي فيها ..
ولم تنق جريحاً ملقى في الشارع الدموي ..
بلاد

قابلة للنسيان !

- ٢ -

وكل بلاد لها زلازلها

وبراكبتها ..

موسم الفيضانات فيها

لكل بلاد إله يغضب

ان عصته جواربه

أو أمحلت فحولته ،

ترقا .. ان أغلقوا باب

خوفاً عليه ..

او فتحوه كي تأتي شكاوى الناس

وبلادنا تشكو .. من زينتها

من سحنتها التي ورد بها البحر

انقسمت لونين اثنين :

اللون الاسود

واللون الخاكي ..

x x x

والبلاد التي ألفت موتها

والبلاد التي لا ألفت لون لها ..

لتبوح الزهره فيها

وضحكة وجه الطفل فيها

ومد الاكف للمصبح فيها ..

بلاد

قابلة

للنسيان !

- ٣ -

قال الحكماء يوماً :

"بني ..

لا تعمروا مدناً في عصر من

يهوى الخراب .

لا تحلموا بالنوم في ظل السقوف

ولا تفرشوا أرضاً بثوب ..

عذبوه طويلاً ..

ومات شهيداً ..

قالت امه :

" تفتح مرأ في طفولته

فجاء مريراً الى وطن قصير .

وقالت بنته الصغرى :

" .. بابا مسافر ليرى صديقه الموت "

والمشيعون صمى ..

أكثر من الريحان

والتفت للخلف

موكب الموت مهيب

ان كان في ظل البنادق

والقائلين ..

قال الشاعر :

" ان الصمت مهزلة

ومن يصمت يشمت بالقتلى "

قال الطغاة :

علقوا صوته بحبل سرتة

وأعيدوه الى النهر جثة ..

وليختف هذا النحيب . "

وقال الناس :

أميلوه قليلاً كيلا يروه

وحيـداً ..

وعلقوا صوته في الصدر

أو علقوه في وتر الرباب .

بلاد ترامت أطرافها

واستبيحت حدودها ..

وغشت نبيذها ..

بلاد لم تحتل ان يصرخ

في وجه طعنته شاعر ..

ان يجرب صوته في حمام الدم ..

بلاد

قابلة للنسيان !

- ٥ -

يبدل هذا الهواء

شهيقى بفحم

فأغفو على حلم الهواء النقي والحظ

في الصباح ألا يكون أمام بيبي فتلى

صدفه .. أو أمام قلبي الدم صارخاً بصمري .

أرفو رثات الناس بالكلمات

فترفعني الى المدن ، التي فقدت أمنها ،

نقايرهم معلنة اني شهدت زوراً

فقلت ان صوت الصراخ موجه وان

المدينة قد خلت من أهاريحها ، والناحر

المزود بالنياشين افتتح الليلة دكانا

لبيع الدم ..

" .. يأتي الفقراء اليه فيجسهم

نحاس يرتدي الابيض ، يصنف

الزمر المرغوبة . يسحب

من ابهرهم ما امكنه . يحاسبهم

بالقليل عن الكثير خلف ستار لا يرى

خلفه أحد دمه .. ثم يمضي الفقير

الى الشارع أصفر الوجه ويشترى

لأولاده درناً من سوق اللحم الرخيص يذش

تاجر آخر أصفر .. ثم يأتي الى البيت

ميتاً ليطلب في أول الصباح من يفتش

منزله بحثاً عن مخابيء مشبوهه لجرار

السمن والعلس المصفى وبقايا قطع من

تاريخ امته المجيد ..

أنا أرخو جزء الحكاية الحركي لاتصح

الشكوى صراخاً

فيطلب من يصرخ متهما بافلاق الراحة

والامن العام ..

انني ، هكذا ، مثل بلادي ..

أعشُ نبيذي .

بلاد هذه

ام بقايا اساطير من الشرق القديم ؟

ام حد سكين مشى الحفاه عليها

باسم الصداقة والابوه والبنوه

والنباية عن الشعب الغشيم ؟

بلاد هذه يذكرها بالخير ساكنوها

أم

هاتوا، اذن،
جمالها الفريد
ومجدها ..

وغرتها .. وكل ما فيها من خصال:
شمسها البيضاء
وجبالها
وهواها
وظفارتها
والعصف الذي انقضى
هانوا

قمها ولعابها
والبنات الجميلات فيها
وكل ما فيها .. حتى حكمها
وامزجوا عسلاً في كأسها
وانتخبوا منها أفضل أراف
أوسم أشفق .. أهدأ طاغية:
تجدوا :

أن المدن التي أحببنا
ملئت غرباناً
وأن الموتى أفضل من أحيائها
والأعلى أسفل تحت القصف
السيف أعيد اعتباره
فاصطف خلف الرقاب،
خارجاً من متحفها
لقد صفقوا بلادنا بين الوحوش
زيقوها حتى تكبر فيها عقوبتنا
حتى .. تصفر فيها كهولتنا
حتى تغدو بلاداً قابلة للنسيان !

وكلما رفعت يدي للسلام
على الناس
تذكرت أن الحقائق
ما زالت ملفوفة
وإن النسيم خلا
من رائحة الجثث المتروكة

هذا هو العصر ..
منقذه انفعال قديم .
أدوات لا أعرفها أمام المرايا
وأنت
كنت حيناً معي كدواة
إلى حوارى
حربة مثل قوس وغزال
أمامي
وليس في عيني ضوء
للخطى التي خلفتها الجبال .
كنا معاً

عصفورين من شجر وما
عز في الظهر ما: الحياة
فكنا معاً

عصفورين من شجر وما
هكذا خلق النهر والظل
في العهد القديم ..

هذا هو العصر الجليل مكرر
كثرت انيابه في لحم الرثات
لم يتنفس حيناً ..
كثر الشوك في تاج الصبا
فغدونا شهداء

فرقتنا كرة من لهيب
فانقسمنا وغدونا صفيين
هذا هو العصر ..

بلادنا ساومته في السوق
فلم تريح سوى خسارتها ..
غازلت قوة الأشياء فيه ..
فامتلاءت صدور الحاكمين
خسوا

فلصقنا سيفها المكسور
كي نخفي عارها ..
فدبحنا .. مرتين ..

في أرض بلاد قابلة للنسيان

x x x

يتعيني ظلي أحاوره

كالمجنون لاقنعه

أن الرحيل إلى مدن أخرى

وبلاد أخرى

أفضل من مشهد مقبره

تزحف يومياً لتتخّر هذا العالم ..

يقعيني ظلي

"أن المدينة أو المقبرة أو

العدائين .. أو الذكرى ..

سوف تلحقك أينما ذهبت .."

لا تنفك الحشرات

ولا الخوف ..

فهذه الجثة البيضاء بلادنا

لم يزل فيها لبن على طوف التكنات ..

وفيهما تعددت أوجه الموت

والموت واحد ..

وعلى ضفافه تجري الحياة

هذه بلادنا

تعبت من هوانا وهواننا

فأفقرت ..

وصنفت بين الوحوش

بلادنا صبه الصيف الجميل

مرضى خيل الطفلة ..

اتسعت يوم الأربعاء

لتدفن أبناءها

وحين ضاقت ..

هضرت نوم القاتلين

فأرقهم دمها

كبرت بلادنا فجأة

فضايقهم أن قامتها أعلى

وأنها لكل الناس

ولبيديها متسع من الوقت

لتبديل حاكميها

وتنوع ألوانها ..

ونكهة الحب في القلب

ولثقة العدل في توزيع الضوء ..

ضايقهم أنها كبرت فينا

لتتصر فيها عقوبتنا ..

وقد مزجت في كأسنا

مراراً .. فصحننا : يا بلادنا :

يا غطاء الرأس

يا صندل الحزن

يا نيزك الروح

يا استداراتنا الغضبي

ويا مخدات عودتنا

يا بلادنا :

مدى ذراعيك

رحيبي أكثر

والى أعلى .. الى الاصفر

والى اليمين

الى الشمال ..

مدى يديك الى أقاصي الآن

ونظفي أسناننا من دمننا

يا بلادنا ..

يا أيتها المخمل البري

ويا أيتها القاسية الصلبة

مثل شاهده القبر ..

أنت مثل ناي طويل طويل

ينفخ فيه الناس ..

لكي ينسوا مرارة أنك

قاسية

فيعيد اليهم صدى غامضاً

كالصرخات في الوديان ..

.. أنك غير

قابلة

للنسيان !! "

عرض الكتب

مؤلف يقدم كتابه لماذا حوكم الكاتب؟

"مطاردة السحرة (١) الكتاب الذي ألّفه السوعي هانس - ستردي لوريس من ألمانيا الاتحادية صار موضوعا لدعوى قضائية. وقد يكون قرا محله قضايا السلم والاشتراكية مهتمين بالاطلاع على فحوى الكتاب. لا من حلال عرض له يكتب بالطريقة المعتادة. وأما عن طريق المؤلف نفسه. الذي وافق على الاحابة على الاسئلة التي وجههاها له (٢) .

عنه كما يسعون الى تحطيمه روحيا وجسديا .
سؤال : ما الذي اوحى لك بكتابة الرواية؟

جواب : منذ عام ١٩٢٤ وأنا بالذات ضحية
للقانون حظر ممارسة المهنة. هذه
البدعة الالمانية الغربية. وصرت موضع ملاحقة
مستمرة بسبب ارائي الماركسية وانتمايي الى
الحزب الشيوعي الالمانى مدة نافى على
العشر سنوات وعملي كنفائى ومحرر لاحدى
الصحف النقابية. وقد استدعيت خمس مرات
الى التحقيق بذريعة اجراء "المقابلات" معي .
وحضرت ثلاث عشر مرافعة فى خمس محاكم
مختلفة. هناك اكثر من اربعة الاف الالمانى غربى
يعانون محنة مماثلة. ومنذ عشرين سنوات حتى

سؤال : كتابك يحمل عنوانا فرعيا غير
"رواية عن حظر ممارسة المهنة"،
فما السبب؟

جواب : الواقع ان الشخصية الرئيسية ،
كريستيان غونتر، وهو معلم شاب من
هامبورغ. يقع ضحية لقانون حظر ممارسته
المهنة. ان السلطات تفصله من العمل لان
زفلا. ينتخبونه ليمثل بالنابة عنهم مصالحهم
المهنية. الامر الذى يجعله فى نزاع دائم مع
مدير المدرسة. وبدأ حملة ملاحقة ضد
غونتر يشترك فيها مدير المدرسة واقرب
زملائه وموظفو قسم حماية الدستور. ويحاول
هو. اظهار عمله وكأنه عمل لا يمكن الدفاع

اليوم وقانون حظر ممارسة المهنة ممارسة سياسية عامة في جمهورية ألمانيا الاتحادية. وهذا ما لا يصح السكوت عليه، ولهذا فأننا نفصح عما هناك على أن من الضروري لا الكشف فقط عن كل قضية على حدة بالاستناد إلى الدليل الوثائقي وإنما ينبغي أيضا أن تسترعى انتباه أعداد متزايدة من الناس إلى الإجحاف الصارخ. ولهذا خيل إلى أن اللجوء إلى الرواية وسيلة مناسبة لبلوغ هذا الهدف. سؤال : الكتاب جرك إلى محاكمة أخرى. — فكيف تفسر هذا المصادفة العجيبة؟

جواب : لا بد أن الرواية أثارت أعصاب أولئك الذين يكتبون التقارير السرية ويفترون على الناس ويبقون أنفسهم بعيدين عن الشبهه أن الرأي العام لا يعرف شيئا عن اساليهم. ولقد رأى قسم من المسوءولين في هامبورغ نفسه وهو يلعب ادوار الشخصيات في الرواية وشعر بالاهانة وهو يقرأ رأى الضحية بمضطهديهها. ان هؤلاء وسادتهم هم الذين حاكموني. احدهم ، وهو سانتور اشتراكي ديمقراطي مسؤول عن شؤون التعليم واسمه غرول، برر اقامة الدعوة عليّ على النحو التالي " هذا الامر يصبح خطرا بالنسبة لي كموظف ، وذلك لان خمسة من موظفي مجلس هامبورغ ، حتى وان لم تذكر اسماءهم ، صوروا بدرجة من الوضوح والتأكيد بحيث ان ذلك لا يدع أى مجال للشك في من هو المقصود في كل حالة على حدة .

سؤال : حول اى شيء دارت المحاكمة ؟

جواب : غنى عن القول ، ان المحكمة انشغلت أساسا بطبيعة كتابي ، وما اذا كان رواية او وثيقة كما اكد على ذلك الادعاء العام . وقد استبعدت المحكمة ان يكون كتابي عملا ادبيا ثم مضت بعد ذلك تدقق مدة شهرين

بتوجيه الاسئلة الى مختلف الشهود حول أحداث حقيقية قامت عليها الرواية . ونجرت انا ورفاقي في تركيز الانتباه على جانب هام هو أن الرأي العام وحتى الصحافة البرجرمان يجمعان على ان الواقع هو اسد سوء ما هم مصور في الرواية . ونتيجة لذلك ، اضطرت المحكمة الى تبرئني من جميع التهم المنسوبة الي كما انها رفضت طلب القسم السياسي دائرة المدعي العام بمنع كتابي صحيح . المدعي العام طلب اعادة النظر في الحكم وهذا يعني ان المحاكمة سوف تستأنف . كما يـــــــدو ..

سؤال : يقول بعض خصومك ان الشخصية الرئيسية في الرواية ليس شخصا نموذجية، وإنما هي استثناء نادر. فمار رأيك ؟

جواب : سبق وان قلت ان هناك اربعة آلاف شخص من ضحايا قانون حظر ممارسة المهنة . والاحاديث التي اجرينها مع الكثير من هؤلاء قد كشفت للمرة تلو الاخرى ان الشخصية الرئيسية في كتابي تعاني وتتمثلما يعاني ويفكر ويشعر هؤلاء الناس . "مطاردي السحرة" يلجأون الى وسائل وسلل بارعة للغاية ، تكشف الرواية عن كثير منها . والمجسد الرئيسي للشرف في هذه الحالة هو المدير ، الذي يحذر مروءسية من التعاون مع غونتر ، الذي يصفه بـ "المتطرف" - ويفتح له ملقا ويبعث عنه بتقارير منظمة الى رؤسائه ويتجسس على المجموعة النقابية في المدرسة الخ غير ان هناك في الجمهورية الاتحادية حالات أسوأ من ذلك - مثل طرد الرجل وزوجته من العمل ، وهو امر يهدد بالخطر موت رزق العائلة كلها ..

سؤال : غالبا ما يدعى المسوءولون في بلادنا

— بان قانون حظر ممارسة المهنة يطبق بصورة ليبرالية للغاية، ولهذا فانهم لا يفهمون سبب هذه الضجة المثارة حوله. جواب: لقد بقيت الحكومة سنوات وهي تنكر اصلا وجود قانون حظر ممارسة المهنة. وبقي ممثلوها يطوفون مختلف البلدان لتضليل الرأي العام او كسب ثقته مجددا وغسل ادمغة الناس. وهم يعاودون ممارسة هذه اللعبة من حين لآخر، زاعمين بان الناس انما يطردون من العمل بسبب عدم كفاءتهم. وهنا علي ان اضيف ان النوعية السياسية للشخص تعتبر مثل شهادة السلامة من الامراض السارية.

في قسم من الولايات الاتحادية، حيث اتبعت المقاومة ضد قانون حظر ممارسة المهنة الى درجة مشهودة، اعيد بعض الذين فصلوا الى عملهم. ولكن ملاحقة المعارضين لسياسة تقليص المبالغ المخصصة للاغراض الاجتماعية ونشر الصواريخ النووية للولايات المتحدة. والسلطات تميل اكثر فاكثر الى التنصل من المسؤولية السياسية عن هذا العمل القذر وتلقيه على عاتق المحاكم. ومن المؤكد ان القضاة البرجوازي يمكن الاعتماد عليه في تنفيذ ارادة الطبقة الحاكمة

سؤال: عقد في هانوفر كونفرانس عالمي ضد

قانون حظر ممارسة المهنة. فماذا ناقش الكونفرانس؟ وهل جا لكنايك ذكر فيه؟ جواب: كثيرون ابتاعوا الكتاب هناك. — فالموقف المعادي الذي وقفته الجمعية من الكتاب ساعد كثيرا على الترويج له على عكس المطلوب، وكان من نتيجة ذلك ان صدرت طبعة رابعة للكتاب.

لقد اشير في الكونفرانس الى ان حركة السلم الاخذة بالنمو تسبب ازعاجا كبيرا لسلطات المانيا الاتحادية. وهذه السلطات ترد على نموها باللجوء الى التخويف والى قانون حظر ممارسة المهنة. فالمعلم الذي يتحدث في اعلان ينشر في الصحف (٣) ضد نشر الصواريخ النووية للولايات المتحدة في اراضي جمهورية المانيا الاتحادية يتعرض الى الفصل بكل تأكيد. وقد قيل في هانوفر ان كل من يعارض في جمهورية المانيا الاتحادية الرأي الرسمي حول أية قضية يتعرض الى الملاحقة عادة. واكد المتحدثون بان الدفاع عن الحقوق الديمقراطية وثنق الارتباط بالنضال في سبيل السلام ونزع السلاح والمسألة التي تجابه السلطات هي ان المقاومة لقانون حظر ممارسة المهنة تتسع برغم مطاردة السحرة وهي عاجزة سواء عن تحريم حركة السلم او اشاعة الخوف في صفوف انصار السلام.

الهوامش —

- (١) بيمتردي لونيت . مطاردة السحرة. رواية حظر ممارسة المهنة . دورتموند، دار فيلتركايس للنشر، ١٩٨١ في ١٢٨ صفحة .
- (٢) تلقت مجلة قضايا السلم والاشتراكية الاجابة قبيل وصول الائتلاف الجديد الى السلطة في جمهورية المانيا الاتحادية، والمؤلف من الاتحاد الديمقراطي المسيحي / الاتحاد الاجتماعي المسيحي والحزب الديمقراطي الحر — المحرر
- (٣) هو الشكل الوحيد تقريبا الذي يستطيع المرء ان يعبر فيه عن رأى معارض لرأى مطبوع برجوازي — المحرر .

ليست العزافات

الى صديقه يتسقى ما بين لوبيا وأماكن أخرى

شعر : فرج بيرقدار
دمش

لوبيا : قرية في الجليل الادنى ، علامتها الفارقة مغارة جميلة تدعى "مغارة العريس" .

هكذا سميت لان جميع عرسان لوبيا استحموا فيها ليلة ما قبل الزواج .
في أيار ١٩٤٨ حدث فيها شبه ما حدث في كفر قاسم ودير ياسين ، وسقط سبعة وعشرون شهيدا من خيرة شباب لوبيا ، وشهداء آخرون ممن جاؤوا "فرقة" من القرى المجاورة . دفنوا جميعا في مغارة العريس ، لتصبح بعدها مغارة الشهداء .
ويقال ان لوبيا شوهدت أكثر من مرة في الليل تتنقل ما بين البحر والاحراش ، وهناك من أكد أنه شاهد علامتها الفارقة بأمر عينه .

الراوي : أحد أطفال تلك المرحلة ، حيث رفض الاختباء مع بقية الاطفال تحت السرير الموجود في بيت المختار ، مما جعله شاهدا أو مرشحا للقتل في جميع المجازر من لوبيا وحتى هذا التاريخ

لا أقول يفاجئني حزنك المستبد ،
النوافذ تبكي
فأنت الذي حاصرته الفلاة ...
وكان البداية ،
إذا أقبلت حاصروها
وإن أمحلت حاصروها
وكانت بيادنا تطعم الماء والنار

اذن بادرت ارضا بالسحاب ، وبادرت
القبرات الحزينة بالدمع ،
قيل : دمي .
والمغارة بدلت الشهداء بعرضاتها
ان خارطة القتل تتسع الان
هذا أنا

ويشهد نجم - تفلت منه المدار فراقني -

كيف خاضتني المدن الضائعة؟؟؟

وكيف تراميت فوق ضريح جميل ...

يقال ضريحي

فغنيت لامرأة أورشيف ،

وغنيت للحلم والفاجرة .

ما الذي لا يجيء غدا؟؟

ما الذي لا يضيء؟؟

ومن لم ير القلب؟؟

حين يصير شظايا

الدما تصوير مرايا

وتقتنص الضحكة الساطعة .

على كل نافذة في البيوت البعيدة . .

وجه صغير

وعرس

لمزيتهي الحروف الجميلة في البندقية ،

أمي تظللني

والسماء

فكيف يفاجئني حزنك المستبد؟

وهذا الغناء؟

دمي شاهد يوم أوصيت هذى البلاد بها ،

اعتصمي بالصخور

وبالشجر المتحفر . .

لا شيء يمكن أن لا يجيء

صباياك ما زلن ينجبن

آمالنا بللتها الدموع ،

ولكننا نرتديها مع الشمس ،

لا شيء يمكن أن لا يجيء

تعلمني الاغنيات البسيطة في قريتي

أن لي خطوة

كلما اتسعت مرة

زاد سرب العاصفير أفقين

سنبل

كلما انفطرت مرة

زاد حقل البروق زمانين

ثم تفيض .

الم تكشف بعد؟؟

أن لكل نقيض نقيض .

نرى؟؟!!

ما الذي أذهل البندقيـة؟؟

بين افتناص فدائية الحلم والشفق الحجري
أذكر آخر موت تسلقه الضالعون به . . . ؟

لم تكن واحدا

غير أنك أفردت من أحرف الصخر

حتي النشيج

أراك ارتديت انسلاخك عنك

دمي يعتريني ،

المجازر تدخل برنامجا مغربا

وطني يعتريني .

مناقصة حرة

فرمى مكافئة للذين يموتون ،

أنم أن التراب اعتراني

من الشهداء الصغار الى عصب القنبلة .

جميع الملفات كانت تؤكـد لي

أنني سوف أهوي على القمم النائية

وكنت اعلق بعض النجوم بأحذية القادمين

وامضي .

هي النار تعدي ونشتد فيها

لذا يا بلادي التي كلما اقبلت من حريق

- وحاصروها ساكنوها -

اعيش انتحارا جديدا

وامتد

هذي الحدود تطاردني باتجاهي . . . بعيدا

تطاردني بانكساري

تطاردني بانتصاري

تطاردني بالصدى والدعاء

وهذا الاله المهادن .

وها أنت أبعد من أي آفق بعيد .

وأنت الثواني التي عاصرتني ،

المواني التي حاصرتني ،

فقامستها الدرس والقهر والاعتراب

أمي تظللني .. كل موت .. بهذا النقاء الاصيل
 الذي لا يحيى غدا
 والذي لا يضيء
 يحيئان ...
 ثم يضيئان أول أطروحة للنخيل
 فتظف دماءك من أضلعي والطوائف ..
 يا أيها الظل ،
 نظف دمي منه ،
 نظف بلادك من لا بلادي
 غبارك من دمة أشتيهيها على السكر ،
 واترك عجينتي الطرى
 محاولة صعبة فوق مجد الجنازير
 ان الفصول التي اعتقلت
 في حقائق أطفالنا
 حابيت بالزيف
 ولم تنتصر ..
 فانحسرت .
 سيدى النورس الحر ..
 لم تغتصبك البرارى
 دمي رعدة من حنان السواحل والامهات
 لهذا ... قصي دمي في المكان ..
 لهذا أخاف من الامتحان
 اذا اكتشف البحر
 أن مراكبنا لم تزل ورقا
 وانتاصراتنا سحبا من دخان ..
 لا أرى حرجا في اعترافي الي ...
 " أنا خبأت عيونني
 هل من العتمة أم من قمر الليلة ؟؟
 لا أعرف ..
 الا ان عينيك سبيلان الى المنفى
 الذى يزحمني الان بأصناف السجون
 قلت . عيناك احتملان ،
 عن الاسر ...
 وعن هذا الفضاء المتنامي
 ضيقا كان ولكننا تنامينا معا
 حتى توصلنا اليها

شجرا يمتد اذ ترتد
 لا بد من الحب قليلا
 ومن الصمت قليلا
 نحن نحتاج الى بضع شطايا
 كبدايات الى بضع قصائد ..
 اذن حاولي ...
 فسيح حمارك ما دمت في القلب
 اني تنصّلت فيك من العيب
 والصفحات ..
 انتظرتك عشرين حرشا من الوقت ،
 عشرين وقتنا من الرمل والاغنيات
 التي انطقت في مقارة عرسان لوبيا
 ولوبييا
 تخبي تحت الاسرة أطفالها
 ويحابة عرسانها القصف
 بالانقاص ...
 الحجارة شاهدة ...
 وقيل شهيد صغير من الشهداء الهواة ،
 فصّح بما شئت ،
 هذا زمان صريح
 يوكد انك لن تبصر الكون
 أو تدخل اللحظة الوطنية
 الا من الفوهات
 أتذكر ...؟؟
 — اذ لا يعود الشهيد مع البندقية -
 كيف تغني له أمه ...؟؟
 ويصلي التراب ..
 لامي غناء جميل
 جميل وقاتل .
 ولي كل هذى الشوارع
 هذى الموانع ،
 هذى السواحل .
 ولي ...
 أن أحاول ..

أقلام شابه

المخاصِر

شعر

سلام حرب

ننتظر الميلاد بلهفة
أنسجت صارت اغصانا
تورق في ذاتي انسانا
أوردتي صارت وديانا
تنساب حنينا وحنانا
تسقيه وتسقيني رشقه
من غضب خصب دمي ثورة
لتصير الاغصان جذورا
وتصير الوديان بحورا
وتصير النطقة عملاقا
يتحدى طيات اللفه
ما هم اذا مرت تسعه
شهور او تسعة أجيال
ما دام سولد يوما ما
طفل يبتسم ... بلا رجفة !!!



كبرت في أحشائي النطفه
صارت عملاقا يتمطى
يرفض زنانة أنسجتي
يكبر في رحمي ..
يتخطى
حد شراييني .. لا يرضى
أن يخرج للعتمة .. نهفه
قد جاء مخاضى لكني
أطبقت عليه كالصدفه
ذاك لاني
ولان ابني
يعرف بطني
لا تحمل كرها .. أو صدفه
كم تسعاً مرت !!
لا أدري ..
وأنا وجنيتي وعذابتي

أفلام شابه

انا انسان

أدرة عوض
جامعة بيت لحم



السماء - والارض
الصوت - والرفض
لاني ارفض ان اختار بلا صوت
فلن ينكر حبي - وفقرى
ولن يعلن صمتي
فانا عاشق منذ الازل
بأعلى صوتي

x x x x x

ربما انتهي في قبر
او أموت صلبا
ربما أسلب طفلا رضيعا
أو أجلد عاريا
ولكن لا تتبعدى
لان القبر لن يحولني الى رماد
وصرخات الجلالد لن تهز بي قصة
فانا مغروس في شوك حزني
احتضن النار - والدخان
افجر كل براكين النار
في وجه من ينكر - باني انسان
وليكون من بعدى اشلا
تنتهشها الغربان
فلا تتبعدى
فانا انسان

خيّرت - فاخترت
الغوص - عميقا
اخترت الانتحار بين يديك
والصمود امام عينيك
وكل الحب - لك
فلا تتبعدى
ثوري . تناثري
العني القدر الاحمق
ولكن . لا تتبعدى
فقد سئمت الانتظار
والمد المرجوع
وثورة العشاق لقد نسيت نفسي
فعشقت صراخ الاطفال
فلا تتبعدى
سأفجر كل عذابات الارض
والنقط
سأصرخ في قلب الاعمار
بأن من صلب الاياء فقرى
من دمع اغنياتي
من عطش اطفالي
ولن اتراجع .
فقد خيّر - فاخترت
اخترت الانتحار بين يديك

تحقيق حول مجزرة صبرا وشاتيلا
لا منون كاليبوك

عن منشورات المكتب العربي في باريس
صدر باللغة العربية كتاب "تحقيق حول مجزرة
صبرا وشاتيلا للكاتب والصحفي الاسرائيلي
أمنون كاليبوك وقد جاء هذا الكتاب الذي
كانت له أصداء عالمية في ١٢٤ صفحة من
القطع المتوسط .

تقرير لجنة كاهان بمذابح
صبرا وشاتيلا

القدس . عن وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر
صدر كتاب "تقرير لجنة كاهان بمذابح صبرا
وشاتيلا" وقد ترجمه الى العربية مفيد الديك
وقد جاء هذا الكتاب الذي يتضمن النص
الكامل لوثيقة كاهان في ١٥٨ صفحة من القطع
المتوسط .

كتابان جديان
لجميل السلحوت

يصدر قريبا كتابان في التراث الشعبي
للجميل جميل السلحوت الاول ويحمل عنوان
"مضامين اجتماعية في الحكاية الشعبية
الفلسطينية" وتصدره دار الاسوار في عكا
والثاني "القضاء العشائري" وتصدره منشورات
الكاتب في القدس .

ضوء النفق الطويل
رواية لعلي الخليلي

يصدر قريبا عن دار الاسوار في عكا رواية
جديدة للشاعر علي الخليلي بعنوان "ضوء في
النفق الطويل" وهي روايته الثانية بعد
"المفاتيح تدور في الاقفال" التي صدرت قبل
سنتين .

اصدااء ثقافية

الحرب ونجربة الحركة الوطنية اللبنانية

جروت : صدر في شهر آذار الماضي كتاب
الحرب ونجربة الحركة الوطنية اللبنانية
لأمين العام لمنظمة العمل الشيوعي محسن
ابراهيم ويتناول الكتاب نقاشا في المسائل
التي طرحتها الحرب الاهلية اللبنانية وصولا
الى الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف ١٩٨٢
والدكت فواز طرابلسي مقدمة للكتاب موضحة
في نقد التجربة الماضية هو الوسيلة الوحيدة
للتحرر من ثقلها الذي يتحكم بالحاضر
والاستقبل ، وعلى اساس هذا النقد ، تصاغ
ناصر الجواب التاريخي على الاحتمالات
الارثايلي والصاية الامريكية ومشروع الهيمنة
الغربية . واذا كان النقد قاسيا فانما للتوكيد
على الحسم في الخيار لاخلاص للوطن بدون
قشة جديدة للحركة الوطنية اللبنانية ١١

نيزون على ابواب بيروت - صبرا وشاتيلا
ديوان شعر لمحمود دسوقي

صدرت في الطبعة - المثلث . المجموعة
الشعرية الخامسة للشاعر الفلسطيني محمود
دسوقي وهي تحت عنوان "نيزون على ابواب
بيروت - صبرا وشاتيلا" وقد جاءت هذه
المجموعة في ٨٤ صفحة من القطع المتوسط
وتزينها لوحات فنية متعددة .

قررت دائرة الاعلام والثقافة في منظ
التحرير الفلسطينية تصوير رائعة الادب
الفلسطيني الكبير اميل حبيبي "الوقائع"
الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحر
المتشائل" تلفزيونيا وسيتم التصوير في
استوديوهات التلفزيون العربي السوري.

أبطال قلعة الشقيف
لسعدى المالح

نشرت هذه القصة في موسكو للكانـ
العراقي التقدمي سعدى المالح وهي تتحد
عن بطولة المقاتلين الفلسطينيين
واللبنانيين واقدامهم في التصدي لـ
الاسرائيلي للبنان . كما سيقوم نفس الكا
بنشر مجموعة من القصص تحت عنـ
"يوميات بيروت" في مجلة الاداب السوفيـ

المذبحة .. عن صبرا وشاتيلا

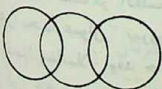
لعبد الحفيظ محمد صدر كتاب "المنـ
.. بيروت، صبرا وشاتيلا" ويتناول احد
لبنان الاخيرة، واطول حرب عربية اسرائـ
بين الفلسطينيين واللبنانيين من جهـ
واسرائيل من جهة ثانية ..
الكتاب صدر في كانون اول ١٩٨٢
جريدة " اخبار الاسبوع " الاردنية .

عمار : أنشأت اميرة السواحري زوجة الاديب
اللسطيني خليل السواحري دارا للنشر في
عمار تحمل اسم "دار الكرمل" وستصدر
الدار باكورة أعمالها مجموعة قصصية للفاص
جمال بنورة تحمل اسم "الموت الفلسطيني"
ومجموعة شعرية لعلي الخليلي تحمل عنوان
"الانتشار على باب المخيم" وديوان شعر
جديد للشاعر هارون هاشم رشيد وجميعها
تنشر لأول مرة .

٢٠٠ سنة على ميلاد الكاتب الفرنسي
العظيم ستانندال

— تجرى في فرنسا، هذا الشهر، احتفالات
واسعة للاوساط الادبية والثقافية بالذكرى
السئوية ال ٢٠٠ لميلاد الكاتب الفرنسي
العظيم ستانندال، الذي اشتهر خصوصا بروايته
الخالدين "أحمر وأسود" و"دير بارما".
وفي هذا الاطار من الاحتفالات يعاد طبع
مؤلفاته الكاملة، كما تقوم العديد من دور
النشر بنشر ابحاث اساسية حول البعد
الاجتماعي لاداعه واسلوبه القصصي .

وتمتاز روايات ستانندال بالتحليل الاجتماعي
— التقدي العميق والتفصيلي بحيث يمكن
القول انه من نفس المدرسة التي ينتمي اليها
الكاتب الفرنسي العظيم اونورا دي بلزاك ،
وخصوصا التحليل الاجتماعي النقدي لعالم
البرجوازية الصغيرة، وقد اهتم مكسيم غوركي
اهتماما شديدا بالكاتب ستانندال ودعا الكتاب
الشباب الى الحرص على قراءته بعمق ودراسة
نظرا لما يتميز به فن هذا الكاتب من دقة
وصفيه مثيرة للمراعات الاجتماعية والعالم
النفسي لابطالـه ..





كتب للبيع

بعد قيام سلطات الاحتلال بالاخراج عن كتب مكتبة شروق ، يعلن
صاحب المكتبة عن طرحها للبيع بأسعار مخفضة ، وسوف تطرح قائمة
باسماء الكتب وأسعارها في وقت لاحق ...

على الراغبين في شراء كتب . الاتصال بصندوق بريد ٩٩٥ رام الله
أو الاتصال بأسعد الاسعد مباشرة .

ملاحظة :
يمكننا ارسال الكتب خارج البلاد بالبريد شريطة أن تضاف تكاليف
الشحن على أثمان الكتب .

— اعلان —

لعل ما حدث للسفارة الأميركية في بيروت يؤكد حقيقة ما قلناه ونقوله الآن وسنظل نردده، ذلك ان الاحتلال الاسرائيلي لنصف لبنان، جاء تنفيذا لرغبة الولايات المتحدة، وتجييدا لسياستها في المنطقة، وان كان ريعان يعتقد ان مسرحية القوات المتعددة الجنسيات قد تنطلي على الشعب اللبناني، فقد جاءه الحواب احيرا فتملأ الاحتلال الاسرائيلي مرفوض، فان الاحتلال متعدد الجنسيات مرفوض أيضا. أما الاعتقاد بان اخراج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان واحتلال انقواء الاسرائيليين او القوات الاميركية محلها يعطي الامان للاميركيين والاسرائيليين وعملائهم في لبنان، فهو اعتقاد أنتهت الوقائع بطلانه فيها هو الشعب اللبناني. يعطي الرد على مثل هذه الطروحات، وسائل الاعلام الاسرائيلية الرسمه تحدث عن التبر من واقع في كل يوم، تؤكد رفض السياسات للاحتلال الاسرائيلي بالفعل، كما أكدت مؤخرا رفضها للاحتلال الاميركي المطلق بقوات حفظ السلام المتعددة الجنسيات، أما المراهنة على حفضة من عملاء، فذلك لن يحوي، اذ ان الصحيح هو الذي يصح نطق والصحيح ان يتدحر الاحتلال الاسرائيلي ويحمل ريعان وحلفاءه عصاهم ويرحلون عن الاراضي اللبنانية...

تفجير السفارة الأميركية في بيروت دليل على رفض الشعب اللبناني للاحتلال